



2272.6259.3656 al-Mawdūdī Nahnu wa-al-hadārah algharbīyah

DATE

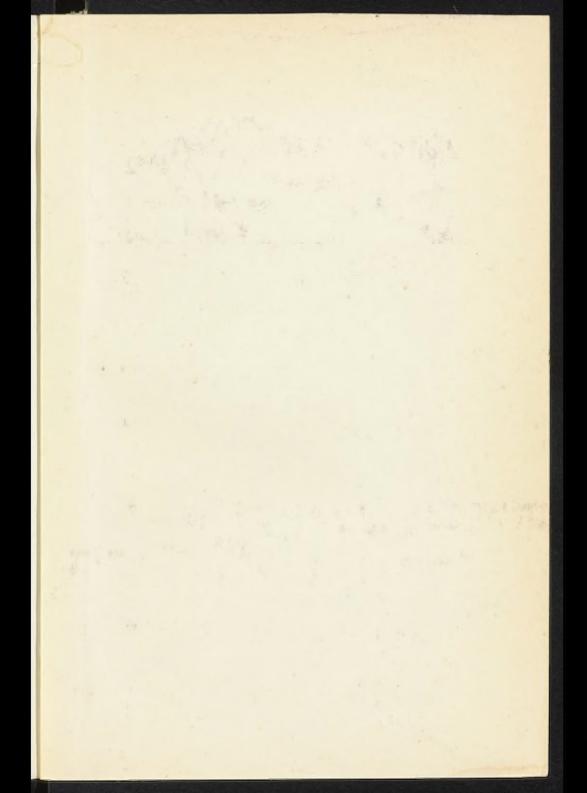
DATE ISSUED DATE DUE DATE ISSUED	DATE DUE
OCT 28 JUN 1 5 78	
OSKYKO SETE	FE
DETU	
AETUkna. JUN 1 0'81	
DUE MAR 241992	eq.
996	
DUE	
	gar paragraphic and a second

PRINCETON U.





ا بوالأعلى المودودي د ار الفكربيمشق



al-Mawdidi, Abir al-A'la

ابوالأعلى المودودي

Nahmu wa-al-hadarah al-gharbiyah



ish of the costs

2272 6259 .3656

STATE OF THE STATE

alattila sois

لبس موضوع الصراع بين الفكرة الاسلامية والحضارة الفربية موضوعاً قليل الأهمية بالنسبة للمالم الإسلامي ، فعلى مدى وعي المسلمين لطبيعة المركة الفكرية التي يخوضونها مع الحضارة الفربية يتوقف مستقبل فكرتهم ورسالتهم الإسلامية . . هل ستصمد هذه الفكرة في وجه الثقافة الفازية مستمدة من مبادئها ما يلي كل حاجات المصر وبحل مشكلاته ؟ أم سنتلاشى أمام نفوذ الحضارة الفربية وسيطرة ثقافتها وقيمها على مفاهم المصر ؟!

وعلى الرغم مما لهذا الموضوع من أهمية بالغة ، فإن الذين تناولوه بالبحث هم قلةنادرة جداً من كتاب العالم الاسلامي ، كما أن الذين يتلقفون هذا النوع من الأبحاث بالعناية والدراسة هم أيضاً قلة من القراء ... هذه الظاهرة إنما تدلنا على مدى و فقر المسلمين بالأفكار ، في عالم أصبحت فيه وثروة الأفكار ، هي مقياس تقدم الأمم ورقبها .

إن الأستاذ الكبير و أبو الأعلى المودودي ، هو من هذه القلةالنادرة التي تكتب للمسلمين ما يكشف لهم أسباب تخلفهم وانحطاطهم ، وينير لهم سبيل نهوضهم وارتقائهم .

7-1-65 194

وكتابه دنحن والحضارة الغربية ، موضوعات كنبت في مناسبات مختلفة ، وفي أزمنة متباعدة ، بمضها يمتدإلى ما قبل ربع قرن من الزمان... ظاهرة أخرى – إلى جانب الفقر بالأفكار – ندل على قوة العلاقات والروابط الفكرية بين المسلمين كم هي ضعيفة واهية !!

ولقد كنا نتمنى أن يكون الأستاذ المودودي هو نفسه الذي يتولى تقديم كتابه الجديد و القديم ، إلى قراء العربية ، لولا أننا أردنا توفير بعض الوقت ، آملين أن يكون في جهدنا الصئيل إغناء للثروة الفكرية الإسلامية وتوثيق للعلائق الفكرية بين المسلمين .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الناشر

# عبودتيت ناالفكرتة وأسيبابها

إن الحكم والسيادة ، والفلية والاستيلاء نوعان: أحدهما الفلية الممنوية والخلقية، والآخر المادية والسياسية . فأما الفلية من النوع الأول في أن تنقدم أمة من حيث قواها الفكرية والعلمية تقدماً بحمل الرالامم تؤمن بأفكارها، فتنفل نظر الهاعلى الأذهان وتستولي منازعها وسعتقداتها على المشاعر وتنطيع بطابعها العقليات . فتكون (الحضارة) حضارتها و (العاوم) علومها و (التحقيق) ماتقوم به هذه و (الحن) ماهو عندها حق و (الباطل) مانحكم في عليه أنه باطل. وأما الفلية من النوع الآخر في أن نصبح أمة من شدة الصولة والبأس باعتبار القوى المادية بحيث تعود الأمم الأخرى الاتستطيع أن تحتفظ باستقلالها السياسي ازاءها . فقستبد هذه مجميع وسائل الثروة عند تلك الأمم وتسيطر على تدبير شؤونها كاملة أو إلى حد ما . وكذلك الحقرية والخاوع فوعان : أحدهما الهزية الفكرية والآخر السياسية . وقس بيان هذين على ماسبق من بيان فوعي الغلبة .

وهذان النوعان من الغلبة والاستيلاء متفصل بعضها عن بعض، فلا بازم أن توجد الغلبة المعنوبة حيثًا كانت الغلبة السياسية ، كما لايارم أن تكون الغلبة المادية مصحوبة بالغلبة المعنوبة فيكل حال . على أن القانون الطبيعي هو أن كل أمة تستممل ما آناها الله من قوى الفكر والعقل ونحضي قدماً في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف تتمتع إلى جانب رقبها الفكري بالرقي المادي أيضاً. وكل أمة تنقاعد عن السباق في حلبة التفكير والنعمق في العلم تصاب مع انحطاطها المقلي بالنقيقير والاضمحلال المادي كذلك . ثم انه لما كانت الغلبة نتيجة القوة، والمختجة عاقبة الضعف فإن الأمم المتخلفة من الجهنين المعنوية والمادية كلها تهبط في دركات الضعف والفتور تكون أصلح للبودية وأكثر استعداداً للخنوع ، وتصبح الأمم القوية بالاعتبارين المادي والمعنوي حاكمة على عقولها وأجسامها معاً .

إن المسلمين يمانون اليوم هذه السودية المضاعفة ، فمن أوطانهم مانوجد فيه العبودية بنوعها جميعاً . ومنها ما يقل فيه جانب المبودية السياسية ويرجح جانب العبودية المعنوية . ومن سوء الحظ أنه ليست لهم على ظهر الأرض رقعة إسلامية واحدة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهتين السياسية والمعنوية . وأما البلاد التي قد حسلت لهم فيا الحرية والاستقلال السياسي فهم ليسوا متحررين فيها من ربقة العبودية الفكرية . فها في ذي مدارسهم ومكانهم ويونهم وأسوافهم ومجتمعهم حضارة الغرب وامتلكت تفوسهم علومه وآدابه وأو كاره . فهم لا يفكرون الغرب وامتلكت تفوسهم علومه وآدابه وأو كاره . فهم لا يفكرون الا بمقول غربية ولا يسمرون إلا بأعين غربية ولا يسلكون إلا الطرق التي قد مهدها لهم الغرب . وقد رسخ في نفوسهم ، سواء الطرق التي قد مهدها لهم الغرب . وقد رسخ في نفوسهم ، سواء المسروا به أم لم يشعروا ، أن الحق هو ما عند أهل الغرب حق

- 7 -

والباطل ما يمدونه عم باطلا ، إن القياس الصحيح للحق والصدق والإداب والأخلاق والإنسانية والتهذب هو الذي قد قرره الغرب المكل ذلك . فيقيسون جذا المقياس ما بأيديهم من المقيدة والإيمان ويختبرون ماعندهم من الأفكار والتصورات والمديية والتهذيب والأخلاق والأداب . فكل مايطابق منها ذلك المقياس يطمئنون إلى صدقه ويفتخرون عجي المر من أمورهم موافقاً المعيار الأوربي وأما ما لايطابقه منها فيظنونه خطأ وباطلا ، شعروا بدلك أم لم يشعروا ، ثم يأتي المتعسف منهم فيتبرأ منه ويرفضه علنا ، ويقف المقتصد منهم باخماً نفسه عليه ، أو يعود يمالجه جذباً ومدا حتى ينطبق على المعيار التربي بوجه من الوجوه .

#### 女 女 女

وإذا كانت هذه حال الأمم المستقلة منا فحدث ولا حرج عن حال المبودية الفكرية في الأمم السلمة التي هي واقعة نحت حكم الغرب. أما السبب لهذه المبودية الموضوع بحتاج التبسط فيه إلى كتاب خاص ، ولكنا استطيع أن نختصره وقلم به في كلمات معدودة :

إن النئية والاستيلاء المنوي يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي . فكل أمة تسبق غيرها اليه تتولى قيادة المسالم وزعامة الأمم ، وتستولي أدكارها هي على المقول . وأما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق قلا تجد مناصاً من اتباع الهير وتقليده، إذ لا تبقى في أفكارها ومعتقداتها من الفوة والاصالة ما يكسبها

السيطرة على الأذهان ، فيجرفها تيار الأفكار القوية والمتقدات الراسخة التي تتقدم بهما الأمة الباحثة الحِبْهدة ، وهي تكون في وحه كغثاء السيل ، لاتستطيع أن تدافعه أو تتبت أمامه . إن المسامين ماداموا يتقدمون في مضار التحقيق والاجتهاد بقيت جميع الأمم تابعة لهم وسائرة في ركابهم ، وما برح الفكر الإسلامي غالباً على أفكار النوع الاسلامي بأجمه ، وكل ما اتخذه الاسلام من المقياس للخير والنمر والحسن والقبيح والخطأ والصحبح تقدر مقياماً أصيلا لكل ثلك الصفات عند جميع أهل الأرض ، سواء أعرفوا أم لم يعرفوا . وما زالت الدنيا تحاول أن تطبق أفكارها وأعمالها على ذلك المقياس الإسلامي طوعاً أو كرهاً . ولكنه لما انقطع في المسلمين نبوغ أهل الفكر وأصحاب التحقيق ولما ترك القوم مزاولة النفكير والبحث والتدقيق ، وقمد بهم اللغوب عن موالاة الاجتهاد وتحصيل الملم ، فلكأنهم تنازلوا من نلقاء أنفسهم عن مكانتهم من قيادة المالم ، ونهضت من جانب آخر أمم الفرب تتقدم في هـ ذا السبيل ، تستعمل ما آناها الله من قوى الفكر والتدبر وتنقب عن أسرار هذا الكون وتبحث عن ذخار القوى الفطرية المكنونة في جوف الأرض وأعماق البحاد . فكانت نتيجة ذلك ما يجب أن تكون \_ هو أن انتقلت قيادة العالم إلى أمم الغرب، وأضطر المملمون إلى الخضوع لسلطتها كمثل ما خضمت الأمم - من قبل - لسلطتهم .

ما زال المسلمون يتقلبون في أعطاف المنز والمجد والنعيم الذي

ورثوء عن آبئهم مدة أربعة قرون أو خمسة . ويقيت الأمم الفربية في أثنائها تسل وتسمى وتجتهد .... - وعن غير بعيد تدفق سيل السلطة الغربية فجيأة وجعل يمند إلى التبرق والفرب حتى غمر ربوع الأرض في مدة قرن واحد . ولما تنبه هؤلاء الفاللون النيام من سباتهم الطويل وفتحوا أعينهم ليتبينوا ماذا طرأ على الدنيا في أثناء ذلك ، رأوا المجب الماجب ، رأوا أمامهم أوربا المسحية متسلحة بالقوانين – قوة العلم والسيف مما ، ومستبدة بالحكم والسيادة في الأرض بالقوتين جميداً . عند ذلك انبرت من بين السلمين فئة تحاول سد نفودها ودفع تيارها عن بلاد التسرق ، ولكنها ماكانت من هاتين القوتين –العلموالسيف – على شيء يذكر، فظلت تفشل وتنهزم في وجهها . وأما السواد الأعظم من الأمة المللة فسلكوا ماكان منذ الأول مذهب أعل الضعف وأبناء الهوان ، وذلك أنه كلما جاءهم من قبل الغرب من الأفكار والمبادى. والنظريات مدعما بيأس الحديد ومعززا بقوة الحجاج وشواهد العلم ومزحرفا بغاتن الألوان أنزله ذوو المقول الفاترة والمقلبات المناوبة هؤلاء منزلة الحقائق التي نجب الإعان يها . وأما للمتقدات الدينية والبادىء الخلقية والقوانين المدنية العنيقة التي كانت بافية فهم على أساس من التقليد والآثار فحسب فقد ذهب ما هذا التيار الجديد القوي ، واستقر في سويدا، فلوجم – من حبث لا يشعرون\_أن كل مابأتي من الغرب هو الحق ومن المقياس للصحة والصواب.

إن الأمم التي عارضت حضارة الغرب وزاحمتها كانت من أنواع

المنافة : أمم لم تكن لها حضارة مستفلة مختصة بها . وأخرى كانت لها حضارة مخصوصة ولكنها لم تكن من القوة بحيث تستطيع أن تحاول الحفاظ على خصائصها بازاء حضارة قوية أخرى . وثالثة لم تكن حضارتها تختلف في مبادئها كثيراً عن هذه الحضارة الطارئة . كل هذه الأمم ذابت بكل سهولة في الحضارة الغربية وتلونت بلونها بدون أن بقع بين هذه وتلك كبير احتكاك ولكن المسلمين كانت حالهم غير حال تلك الأمم جميعاً ، لأنهم حاملو حضارة مستقلة تأمة ذات دستور واضح مكنمل شامل لجميع شعب الحياة الإنسانية من ناحيتي الفكر والممل ، نختلف اختلافاً كلياً عن مبادى والحضارة الغربية . فكان \_ بطبيعة الحال \_ أن جاءت هاتان الحضارتان المنادي كل محمل في كل صعيد . ولا يزال هذا النوادم قائماً بين القوتين إلى هذا اليوم بؤثر في كل شعبة من شعب حياة المسلمين العملية والاعتقادية أسواً الآثار .

## \* \* \*

إن الفلسفة والعلوم التجريبية (Science) اللتان نشات في أحضائها المدنية الغربية عازال المجاهما إلى الدهرية والإباحية والإلحاد وحب المادة منذ خمسة أو سنة فرون . لذلك ما أن ظهرت هذه المدنية إلى حيز الوجود حتى قامت تعارض المدني وتخاصحه . بل الأصح أنها كانت وليدة صراع العقل والتجربة مع الدين والإيمان . ومع أن الدين لم يناقض شيئاً من مشاهدة آثار الكون والتنقيب عن أسرارها واكتشاف قواعدها الأصولية ، ولا خالفت تعاليمه عملية

التفكير في مظاهر تلك الآثار واستخراج النتائج منها بعد ترتبها وإعمال القباس والاستدلال فيها ، إلا أنه كان من سوء الصادفات انه لما ظهرت الحركة العلمية الجديدة في أوربا على عهد النهضة الحديدة ( Renaissance ) وقع عراك شديد بينها وبين القسس النصارى الذين كانوا قد بنوا عقائدهم الدينية على أسس الفلسفة والحكمة البونانية القديمة ، وكانوا يزعمون أنه إن جاء التحقيق العلمي والاجتهاد الفكري الجديد يصطدم بتلك الأسس ويهدم ركناً من أركانها فال الدين بنفسه سينهدم ويتسوى بنيانه مع الأرض . فهذا الرعم الخاطبيء حملهم بخالفون الحركة العلمية الجديدة ويستحدمون القوة والعنف لمنعها والصد عنها . فأقيمت محاكمالتفتيش(Inquisitions) لهاكمة القائمين بنلك الحركة فعوقبوا أشد العقوبات ونكل بهم من غير رحمة ، ولكن هذه الحركة التي كانت نتيجة نهضة حقيقية راسخة الأصل بقبت تقوى وتنمو على رغم أنف الشدة والقهر ، إلى أن طفى سيل الحركة الفكرية في البلاد وذهب تياره بالسلطة الدينية .

وكان الصراع في بدء أمره بين دعاة حربة الفكر وبين الزعماء الدبنيين . ولكن هؤلاء الزعماء لما كانوا بحاربون أنصار الحربة الفكرية باسم الدين ، لم يلبث أن تحول هذا الصراع إلى حرب بين حربة الفكر والنصرائية ، شم جعد الدين في نفسه أيا كان خصيم هذه الحركة وندها المحارب . وأصبح النفكير على الطريقة العلمية المنسقة شبئاً مضاداً لطريق الفكر الديني ومختلفاً عنه .

ووحب على كل من يفكر في مناثل هذا الكون بالطريقة المامية المنطقية أن يشق لفكره طريقاً آخر مغايراً للنظرية الدبنية في ثلك المسائل . إن التصور الأساسي النظرية الدينية في عــذا الكون هو أن كل مالهذا العالم الطبيعي ( Physical world) من المظاهر والآثار بحب أن ترد علتها إلى قوة أعلى وأرفع من هذا العالم . ولكنه لما كانت هـذه تفارية أعداء الحركة الطبية الجديدة قرر أصحاب الحركة العلمية أن محاولوا حل لغز هذا الكون بدون أن يفرضوا وجود إله أو ذات فوق الطبيعة ( Supernatura ) وأن يمدوا كل طريقة تبحث في مسائل الكون بفرض وجود الإله طريقة رحمية غير علمية (Unactiontific) . وبدلك نشأ في قلوب أهل الحكمة والفلسفة في هذا المصر الجديد تعصب على الوجود الإلهي والروح والروحانيات وكل ما فوق الطبيعة ، لم يكن آنياً من ناحية العقل والاستدلال ، بل كان نتيجة النورة العواطف وغلبانها . فَذَكَانُ هُؤُلاءُ الحَبِكَاءُ وَالْفَلَاسَفَةُ السَّتَمْرُونَ لَا يُتَمِّرُأُونَ من دات الله محجة أنه قد ثبت لهم عدم وجوده أو عدم وجوبه بالأدلة والبراهين ، بل كانوا ينفرون منه لكونه ممبود خصومهم وإله الحالفين لحرية فكرية . ومن ثم كان علا آنت به عقولهم وأه كمارهم وأنتجته مساعبهم الملمية في الفرون الحمسة النالية نابتاً من حذور هذه النزعة غير المنطقية .

إن الفلسفة والعلوم التجريبية لما بدءا سفرهما في مضهار المعال فع أنهما كانتا تتجهان إلى الجهة المخالفة للايمان بافت ، كانتا بحكم

الوسط الدبني الذي بكتنفها تتكلفان الموافقة بين المذهب المادي والإيمان بالله بادى وي بدء . ولكنه كلم تقدما في المسير ظل المذهب المادي يتغلب على الإيمان حتى خلت تلك الفلسفة والعلوم من تصور وجود الإله وكل مافوق الطبيعة . وانتهت بها الحال إلى أن لم ببق شيء من أشياء هذا الوجود ، سوى المادة والحركة ، حقيقياً عنده وأسبحت المعلوم التجريبية ( Naturalism ) صرادفة للمذهب المادي، وقر اعتقاد أصحاب الحيكة والفلسفة على أن كل ما لم يكن قابلا للوزن والفرع ، فهو خيال لا حقيقة له .

يشهد بهذا كله تاريخ الفلسفة والعلوم الغربية ، فهذا ديكارت (Descartes ) (الذي يعد أبا عندر فلسفة الغرب بؤمن - بجانب بوجود الله أحر ما يكون من الإعان وبقر بوجود الروح مستقلا عن المادة . ثم هو الذي يتدع - بجانب آخر - تعليل آثار العلم الطبيعي على الطربقة الميكانيكية ويضع الصخرة الأساسية لذلك الطربق الفكري الذي نحول فيا بعد إلى عادية خالصة (Materialism) . ويتلوه هويز الذي نحول فيا بعد إلى عادية خالصة (Materialism) . ويتلوه هويز علناً ، ويعد نظام هذا العالم وكل شيء من أشيائه قابلا للتعليل الميكانيكي ولا يقول بوجود قوة نفسية أو روحية أو عقلية تملك التصرف في هذه الدنيا المادية . ولكنه مع ذلك كله يعتقد بالله وذلك من حيث أن

<sup>(</sup>١) التوفي سنة ١٩٥٠

<sup>(</sup>٢) المتوفى سنة ١٦٧٩

الاعتقاد بمثل هذه العلة للعلل ضرورة بستانرمها العقل. وفي هذا العهد بظهر سبي فوزا ( Spinoza ) (() زعم حاملي رابة النزعة العقلية (Rationalism) في القرن السابع عشر ، فلا بفرق بين المادة والروح والوجود الإلهي بل بجمع بين الإله والكائنات وبجعل منها كلا واحداً ولا يقر جذا الكربطة القالطلقة. كذلك بحيء لينيز (Leibuitz) (() ولوك (Locke) الإنجليزي (()) كلاهما بقول بوجود الله و ينزع معذلك إلى المذهب المادي .

هذه فلمنفة القرن السابع عشر التي كان الإيمان بالله يتاشي مع المذهب المادي فيها جنباً لجنب ، وكذلك كانت العلوم النجريبية أيضاً لم بغلبها طابع الإلحاد الكامل إلى هذا العهد ، فلم بكن كوبرئيكس (Copernicus) وكيبار (Kepler) وجيلباو (Galilin) وفيوق وغيرهم من أساطين العلوم الطبيعية له يكن أحد منهم منكراً للوجود الإلهي ، ولكنهم كانوا بقصدون ، من بحثهم عن أسرار هذا الكون بقطع النظر عن النظرية الإلهية ، أن يعتروا على تلك القوى التي تدبر هذا النظام ، وعلى القوانين التي هو جار عليها . وهذا النفور من النظرية الإلهية كان هو النواة للدهرية والمادية اللتين طلعتا من شجرة من النظرية الإلهية كان هو النواة للدهرية والمادية اللتين طلعتا من شجرة حرية الفكر فيا بعد . غير أن حكاء القرن السابع عشر لم يشعروا لذلك . وما استطاعوا أن يضعوا الحد الفاصل بين الإيمان بالله

<sup>(</sup>١) المتوفى سنة ١٦٧٧

<sup>(</sup>٢) المتوفى سنة ١٧١٦

<sup>(</sup>٣) المتوفي سنة ٤٠٧٠

والمادية ، وإنما ظلوا يزعمون أنهما عقيدتان متآخيتان قد بجمع المرء بينها في الوقت الواحد .

حتى جاء القرن الثامن عشر ، فتبين فيه لأهل النظر أن كار أسلوب للفكر ببحث عن نظام هذا الكون بصرف النظر عن وجود الاله لابد أن يصل إلى الالحاد والمادية واللادبنية . وفي هذا القرن نبغ أمثال جان طواند ( Toland )وداوود هار تلي (David Hartley) ويوسف بريستلي وقولتير ( Voltaire ) ولامتري ( La Mettrie ) وهولباخ ( Holbach ) و كيبائس ( Cabanis ) ودينس ديديره ( Denis Didero ) ومو نتسكيو ( Montesquieu ) وروسو ( Denis Didero من أفطاب الفكر الحر من الحكماء والفلاسفة الذين جاؤوا إما ينفون وجود الله علمناً أو يصدقونه من حيث هو حاكم دستوري ( Constitutional Monarch ) ليس إلا ، قد ازوى في ملكوته البهاوي بمد أن أعطى هذا الكون خلقه وحرك دولابه ، فليس له الآن في تدبير هذا النظام بد . كان هؤلاء لا بمتقدون بدى، خارج الطبيعة وفوق عالم المادة والحركة ، وكانوا لايعتقدون الحقيقة لتيء سوى مايأتي تحت مشاهدة الإنسان وتجربته . وجاء هيوم (Hume) يؤيد هذا الطريق الفكري أقوى مابكون من التأييد بنظرينه التجربيية (Empiricism )و فلسفته التشكيكية (Scepticism ) التقلية , وقام بركلي ( Burkeley ) إلى هذا التيار المادي المتدفق يزاحمه وبدافعه بكل ما في وسمه ، إلا أنه لم يوفق . وكذلك

ابنغى هيجل (Hegel) أن بعارض المادية بإشاعة المثالية (Hegel) بين الناس ، ولكن قل من عكف على هذا المذهب الخيالي اللطيف منصرفاً عن المنجسمة المرئية ، وحاول كانت (Kant) أن ينهج طريقاً وسطاً بين المادة والروح ، فقرر أن وجود الآله وبقاء الروح وحربة الارادة كل أولئك ليس نما يقم تحت علم الانسان ومشاهدته ولذلك فين غير المستطاع إدراكه بالحواس ، إلا أننا مع ذلك فستطيع أن نؤمن بكل ذلك إعاناً بالنيب ، وتقانانا الحكمة المعلية (Practical Wisdom) أن نفعل .

هذه كانت آخر محاولة الموافقة بين الاعتضاد بالله والمذهب المادي ( Naturalism ) ولكنها بانت بالفشل . ذلك بأن الضلال الفكري والمقلي لما جمل الوجود الالهمي تتيجة وهم خيال أو أنزله — على أكثر التقدير — منزلة وجود منسزل عن تدبير لا أمر له ولا سلطان ، عاد الاعتقاد والخشية له والرغبة في رضاه لحجرد الأخلاق والآداب شيئاً عبئاً لا يرضى به المقل .

# \* \* \*

وفي القرن التاسع عشر بلغت المادية منتهاها . إذ جاء كل من الموغث ( Cxolbi ) وبوختر ( Hoehner ) وزوايي (Cxolbi ) وكومت ( Molschotte ) ومولشات ( Molschotte ) ومن ألف لفهم من الحكاء والفلاسفة يبطل وجود كل شيء ما خلا المادة وخصائصها . وقام مل ( Mill ) باشاعة التجربية (Empiricism ) في الفلسفة والنفسة ( Spencer )

بكى قوة وشدة النظرة القائلة محدوث هذا الكون بدون خانى، وظهور هذه الحباة من تلقاء نفسها . وجاءت موجة الاكتشافات العلمية في مختلف العلوم والفتون كعلوم الحياة(Biology )والعضويات ( Physiology ) والحيوان (Zoology ) وطبقات الأرض (Geology ) وتقدم الطوم التجريبية وتكاثر الوسائل المادية يجاء بكل فلك بؤكد ويثبث في نفوس الناس أن هذا الكون قد حدث من نفسه ليس له خالق ، وهو سائر في طريقه على قوانين معلومة وايس من وراثه مدير ، وقد بقى بتدرج في منازل الرقي بدون أن يكون الدات فوف الطبيعة نعرف في هذه الآلة المتحركة بنفسها . وان المادة غير ذات الروح لم تكن تناقى الروح بأمر من رب ، وإنما المادة متى ارتفت في نظمها وتركيما وقعت فيها الروح من ذات نفسها . وان النمو والحركة النابعة للارادة والإحساس والشعور والفكر كزأولئك حصائص لثلك المادة المرتقبة . وكل من الحيوان والانسان آلات تجري ونتحرك محسب قوانين الطبيمة ، وتصدر منها الأفعال والحركات على حسب التركيب الذي قد ركبت عليه أجزاؤها وآلاتها . وهي ليست على شيء من الاختيار الذاتي والإرادة المستقلة . وأما إذا اختل نظام تلك الالات أو نفدت قوتها فعندلذ محدث الموت،وهو عِنابة الفناه الأبدي ، لأن الالة إذا انكسرت وتفرقت أجزاؤها ، بطلت أيضاً خصائصها ، ولم يعد من الممكن جمعها وإعادة تركيبها مرة أخرى أبدأ .

شم كان لنظرية دارون ( Darwin ) في الارتقاء أوفر النصيب

في تدعيم هذا المذهب المادي وإحلاله محل النظرية العلمية المنظمة القائمة على الأدلة والبراهين. ويعد كتابه أسل الأنواع (Origin of Species) على الأدلة والبراهين. ويعد كتابه أسل الأنواع (١٨٥٩ فاستدل دارون الذي ظهر سنة ١٨٥٩ لأول مرة كتابا انقلابياً عجبياً. فاستدل دارون بالعلم بقد التي كانت أمين العارف للاستدلال عند العقول المستنيرة السانيفيكية في الفرن الناسع عشر ، وصد ف النظرية القائلة بأن نظام هذا الكون يمكن أن يجري بدون الاله ، ولم تكن آثار الطبيعة ومظاهرها لتكون لها علة أو مرجع غير قوانين النظرة نفسها ، وإن ارنقاء الموجودات من أبسط مراحل الحياة إلى أعلاها وأفصاها نتيجة عمل تدريجي لقوة طبيعية متجودة من صفات العقل والحكة . وابس خالق الاندان وخالق سائر الانواع الحيوانية بسانه حكيم ، بل الامر أن تلك الالة الحية التي كانت في بداية أمر هسا دوداً بدب قد أصبحت بفعل العوامل الحقائفة كتناز عالبقاء و بقاء الاصلحوالانتخاب الطبيعي إنسانا ناطفاً ذا إحساس وشعور .

هاتان هما الفلسفة والعلوم التجريسة اللتان قد نتجت عنها الحضارة الفرسة وهي كما ترى لادينية بحتة لا مجال فيها لمخافة إله في السهاء عليم وقدير ، ولا وزن فيها لنبوة أو وحي وإلهام ، ولا نصور فيها لحياة أخرى بعد الموت ، ولا خوف من المحاسبة على أعمال الحياة الدنيا كما لا وجود فيها لمسؤولية ملقاة على الانسان ، ولا إمكان فيها لمقصد أو غاية أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الانسان . هذه حضارة علية أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الانسان . هذه حضارة مادية تماماً بخلو نظامها من كل ماتقوم عليه حضارة الاسلام من خشية الله واتباع القصد وحب السدق وطلب الحق وطهارة الاخلاق والنزاهة

والامائة والبر والحياء والتقوى والنظافة ، ونظريتها على نقيض من نظرية الإسلام ، وطريقها واسع في الحية الماكسة لطريق الاسلام ، فكل مايني عليه الاسلام نظام الاخلاق الانسانية والتمدن، تكاد هذه الحضارة تأتي عليه من القواعد . كما أن الأسساني ترقع هذه الحضارة عليها قواعد السلولا الفردي والنظام الاجتماعي لا يمكن أذا يقوم عليها بنيان الاسلام ولو سساعة من الدهر . فكأن الاسسلام والحضارة الفريية سفينتان تجربان في جهتين معاكستين ، فمن ركب إحداهما هجر الأخرى ولا يد . ومن أبي إلا أن يركبها في الوقت الواحد ، فاتناه معا والمشق بينها نصفين .

### \* \* \*

ومن سوء المصادفات أن القرن الذي بلغت فيه هذه الحضارة الجديدة أوج كالها من المادية والدهرية والالحاد كان هو القرن الذي ابتليت فيه محالك الاسلام من لدن مراكش إلى الشرق الاقصى بغلبة أمم الغرب في الحمكم والسياسة . فكان هجوم الغرب على الشعوب المسلمة في ميدان القلم والسيف معاً . وأصبح محالاً للعقول التي راعتها غلبة الغرب السياسية وجهتها أن لا تتأثر بروعة الفلسفة والعلوم الغربية وببريق المدفية التي نشأت في أحضائها . وصاءت الحال خاصة في الائم المسلمة التي دخلت تحت حكم دولة من دول الغرب ، لانها اضطرت لا محل الحفاظ على مصالحها الدنيوية إلى تحصيل علوم الغرب. ولما لم يكن هذا التحصيل مقصوداً من ورائه طلب العلم مجرداً وكان يجلس التلامذة الشرقيون أمام أسساندتهم الغربيين بعقول مرتاعة

مفتنة ، درج النش المسلم الجديد على أشد ما يكون من الانفعال والتأثر بالافكار الغربية والنظريات السائيفيكية الملمية . وظلت عقلياتهم تلون بلوث الغرب وبني يجند في نفوسهم نفوذ المدنية الغربية ولم يفتح الله عليهم بالبصيرة الناقدة التي تميز بين الصحيح والزائف فتجعلهم مختارون الصحيح دون الزائف . ولا هم وجدوا في أنفسهم من الاهلية والكفاءة مايفكرون به نفكيراً حراً مستقلاً ويرون آراءهم في مسائل حيانهم بالاجتهاد الشخصي . وكان من عواقب ذلك ما نشاهده اليوم من أن الحضارة الاسلامية قد تزازات أركانها وأن العقليات التي كانت حري بأن تفكر النفكير الاسلامي الصحيح قد فسد تكوينها . وأن المقول التي تمودت أن تفكر بأسلوب الغرب وتؤمن بمبادى حضارته لاتصلح بحكم مزاجها وتركيها المخصوص أن تستقر فها مبادى الاسلام، وإذا هي لم تتسع الهبادى، فما أحراها أن تنفر من الجزئيات والفروع وتخالجها في بابها أنواع الشكول .

ما من شك في أن السواد الأعظم من المسلمين لا بزال إلى هذا اليوم بعتقد بصدق دعوة الإسلام ويريد أن يبقى سلماً , ولكن كثيراً من المقول الناشئة لا تزال تتأثر بالفكر الغربي والحسارة الغربية وتنحرف عن جادة الاسلام انحراها هو إلى الزيادة والانتشار كل يوم ، وان سيطرة الغرب الفكرية وتحكنه العلمي بصرف النظر عن غلبيته واستيلائه السيامي — قد غمر الجو الفكري العالمي وغير من وجهات نظر الأبصار بحيث أصبح لا يتأتى لأولي النظر أن ينظروا بعين المسلم ولا لأولي الفكر أن يفظروا بعين المسلم ولا لأولي الفكر أن بفكروا بأسلوب الفكر الاسلامي. وهذا

الوضع الحرج ان بخرج عنه المسلمون ما لم ينبغ فيهم عبافرة من أهل حاجة إلى نهضة جديدة ( Renaissance ) وات إنتاج المفكرين والمحققين من أسلافنا القدامي لم بعد ذا غناء وكفاية ، لأن الدنيا قد بمدت في سيرها إلى الأمام ولم يمد من الممكن أن يرجع بها القهقرى إلى المراحل التي كانت جاوزتها قبل سَمَائة سنة . وان الزعامة في سيدان العلم والعمل اليوم لا ريب مكفولة لمن يتقدم بالدنيا إلى الأمام لا لمن يجذبها إلى الوراء . فاذا كان الاسلام بريد أن يعود إلى مكانته من سيادة العالم فلا سبيل اليه إلا أن ينيغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والتجفيق ء جدمون بقوة فكرهم ونظرهم وبحثهم واكتشافهم تلك الأسس القائم عليها صرح الحضارة الغربية . ثم بمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدى الأسلوب القرآني للقكر والنظر ، ويبنون بذلك نظــــاما للفلــفة جديداً منتزعًا من الفكر الاسلامي الخالص ، ورفعون نواعد علوم طبيعية (Natural Science ) جديدة تنهض عمارتها على الخطوط المرسومة في القرآن الكريم ، ويبطلون النظرية الالحادية إطالاً ، ويؤسسون الفكر والتحقيق على النظرية الالهية ، ثم يتقدمون بهذه الحركة ــ حركة الفكر والتحقيق الجديد ـ بقوة وعزيمة تضمنان السيطرة على جميع السالم ، وتقوم في الدنيا حضارة الاسلام الحقة مكان حضارة الفرب المادية .



كل ما قلتاه آنفا نستطيع أن نفهم مغزاه ومقصوده بالتمثيل الآتي : إن هذه الدنيا قطار تسيره قاطرة الفكر والتحقيق . ومقاليد هذه الفاطرة بأبدي المفكرين والمحققين والنواخ . والقطار جار لا محالة إلى حيث يريد سافته أن بجري . والسفر الرا كبوت ميه مضطرون بطبيعة حالهم أن يسيروا معه كيف سار ، سواء رضوا أو سخطوا . فاذا كان من ركب القطار من لا بريد أن يسافر في الجهة التي هو سائر فيها ، فقصاراه أن يغير وجهة مقعده من القدام إلى الخلف أو إلى اليمين أو اليسار ، على حين القطار بجري وهو بعد قار في موضعه فيه . ولكنه لاشك ليس بمفير وجهة سفره بتغيير وجهة مقده على هذا النحو . لأنه ماهناك من سبيل إلى تبديل وجمة السفر إلا أن 'يسطى على مقاليد القاطرة ويدار وحيها نحو الحبة الطلوبة . فالذي ه قابضون الآن علىأزمة هذا الجهاز المحرك همكلهم معرضون عناللة جانب عنالفكر الاسلامي. لذلك لايزال الفطار يسير بمن فيه إلى المادية والإباحية والالحاد، وجميع الراكبين فيه يزدادون بمدأ عن غلة الاسلام ومقصوده. فالأأر بد تبديل هذا الاتجاه المنحرف وتصحيح الجهة الخاطئة التي يسمى الها قطار الانسانية فلا بد من رجال أولي همة وعزيمة صادقة بنهضون من صفوف أهل الاعان وعارسون العمل الجدي والسمي الدؤوب والاجتهــــاد المتواصل ، حتى ينتزعوا مقاليد الأمور من أبدي الملحدين ومن البديهي أنه ما لم يتحقق ذلك وما دامت الحال على ما هي عليه، فلاشك أن القطار لن يزال يسير في هذا الطربق الخاطيء الذي يسوقه البه أصحابه اللاربانيون مهما كان من ضجر الركاب منه وغضهم له واحتجاجهم عليه ا

# انحطاط حفيارة الإسلام في الهند

إن الجانب الأكبر من دنبا الاسلام يشتمل على المالك التي فتحت على أيدي المسلمين المجاهدين من الصدر الأول لتاريخنا. والذين افتتحوها لم يكونوا خرجوا من بيونهم انتح الأسواق ولا لجلب الغنائم . وإنما خرجوا في الارض برفعون كله الله في أنحائها ويطلبون الموت في هذا السبيل . كان القوم أشربوا في فلوجهم حب الآخرة قبل طلب الدنيا ، فلم يجتزئوا بأن بجملوا مفتوحيهم مطيمين لهم يمطونهم الجزية عن بد وهم صاغرون ، بل صبغوه بصبغة الاحلام ، واحتذبوا رعاياه كلهم أو السواد الاعظم منهم إلى الملة الحنيفية السمحة ، وأثبتوا فيهم الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية إثبانأ حملهم أنفسهم طملين لمشعلاالاسلام ومعلمين لطومه وممارفه . وهذه المهالك تتيمها في التاريخ بمالك أخرى، وإن فتحت في عهد مثأخر عن ذلك الصدر الاول ، في عهد كان الحاس الاسلامي قد فتر فيه واسترخى وغلب في قلوب الفاتحين طلب الغنائم والفتوح على روح الجهاد في سبيل الله ، إلا أنَّ الاسلام تمكن \_ برغم ذلك ــ من أن يتأصل في تلك البلاد وينمو وينتسر ، وأن ينزل فيها على مر الأيام منزلة الدين الفومي والثقافة القوسية . أما القطر الهندي فمن سوء نصيبه أن أمره بختلف عن كلا هذين النوعين من الأقطار .

فهذا القطر فتح جانب قلبل حداً منه في الصدر الأول . وهذا الجانب القليل أيضاً ابنلي بنيار الباطنية الذي اجترف كل ما كان فيه من آثار التعليم الاسلامي والحضارة الاسملامية . ولما ابتدأت بعد ذلك سلسلة فتوح المسلمين في المند ، لم يكن الفاتحون على شيء من خصائص الفاتحين الأول . بل استممل هؤلاء كل ما أوثوا من القوى في توسيع محلكتهم بدل إشاعة الاسلام . وطالبوا الناس بإطاعتهم أنف بم يدل إطاعة الله والرسول ، وبأن يؤدوا البهم الخراج بدل أن يمتنقوا الاسلام . فكان من نتيجة ذلك أن بتي السواد الأعظم من أهالي الهند غير مسلم على رغم حكم المسلمين فيها قروناً متمددة ، ولم تتمكن الحضارة الإسلامية من أنَّ ترسح في أرض الهند أبدأ . ثم ان الذين أساموا من أشائها لم يمن أحد بأن يتمهدهم بالتعلم والتربية الاسلامية . ثما زالت الافكار والثقاليد الهندكية(١) القديمة باقية \_ في قليمال أو كثير \_ في الجاهير الحديثة العهد في الاسلام ، وأصبح المسلمون القدعو الاسلام \_ الطار تور من الخارج \_ أنفسهم يتسامحون فيما يرون من حولهم من طرائق الشرك ، ويتبمون كثيراً من تقاليد الجاهلية ، بفضل مخالطتهم لأهل الهند .

ويتضح من النظر في تاريخ الهند الاسلامية وفي أحوالها الحاضرة آن الزمان الذي كانت سلطة المسلمين السيساسية فيه قد امتدت على الهند بكل قوتها كانت آثار الاسلام ضعيفة فائرة فيها حتى في ذلك الحين ، ولم تكن البيئة في هذه البلاد بيئة إسلامية خالصة . وان الديانة والحضارة

 <sup>(</sup>١) تسبة الى هندكي ج هنادك ، رجل من غير المسلمين الهنديب. أما الهندي
 قـكامة جامعة تطاتى على المسلم وغير المسلم من أهل الهند .

الهندكية وإن كانت بذاتها ضعيفة وقد زاد في ضعفها كونها ديانة أمة مفاوية ، إلا أنها على رغم ذلك كله بقيت مستولية على السواد الاعظم من أهالي القطر لففلة الحاكمين المسلمين وآنه بسبب استيلائها على جو القطر الهندي وبسبب كون التعليم والتربية الاسلامية غير كاملة مين المسلمين أنفسهم لم يتسن لمظم مسلمي الهند أن يكونوا أصحاء في عقيدتهم كاملين في إسلامهم راسخين في تقافتهم وتهذيهم اكما عساهم أذ يكونوا لو أنهم عاشوا وسطاً إسلامها خالصاً .

وفي القرن الثامن عشر انتزعت من أبدي المسلمين حتى تلك السلطة السياسية التي كانت أكبر عماد للحضارة الاسلامية في الهند . فكان \_ أولاً \_ أن تفرقت حكومة المسلمين وانقسمت إلى ولايات صغيرة . وتبع ذلك سيل حارف من المرهنة (١) والسبغ (١) والانكايز، أتى على أكثر ثلك الولايات الصغيرة واحدة بعد أخرى . وشاء القدر بعد ذلك أن تنتقل أزمة الحكم والأمر في هذه البلاد إلى أيدي الانكايز، فلم يحض على ذلك قرن واحد حتى أصبح المسلمون محكومين في الارض التي كانوا حكوا فيا و سادوا على طول القرون . وبقدر ما امند الحكم الانكليزي واتسمت سلطنه ، غدا بنزع من أيدي المسلمين بقدر ذلك تلك القوى التي كانت الحضارة الاسلامية قائمة بفضلها في الهند . فاتحذ

 <sup>(</sup>١) المرحمة ( Marhattas ) دوم من الهنادك الفاطنين في جنوبي الهند
 اشتهروا بسيلانهم الى اللةن والحروب .

 <sup>(\*)</sup> السيغ ( Sikks ) قوم من غير المسلمين الفاطنين في البنجاب،عرفوا
 بسذاجة الطبع وقوة الأبدان .

اللغة الانكليزية في أداة النمليم بدل اللغة الفارسية أو العربية ، ونسخ القوانين الاسلامية وألغى المحاكم الصرعية ، وأنفذ في الشؤون المدتية والحنائية قوانيته الوضعية ، وحصر تنفيذ القانون الإسلامي في شؤون الزواج والطلاق وحدها بين السلمين أنفسهم . ثم جعل أمر هذا التنفيذ المحدود أيضاً بيد المحاكم المدنية العامة بدل القضاة المسلمين ، وحكام تلك المحاكم من غير المسلمين في الأغلب ، عسخون القوانين الاسلامية الشخصية ( Mohammadan Law ) مسيخاً مع الأيام . زد علىذلك الشخصية ( المحالمة الحكم الانكليزي من أول يومه أن تشد الوطأة على المسلمين في حقل المبتة والاقتصاد ليكثر بذلك فخارهم القومي الذي المسلمين في حقل المبتة والاقتصاد ليكثر بذلك فخارهم القومي الذي مازال ينمو فهم من حبث أنهم أمة حاكمة . وتأدى الأمر بقضل هذه الخطة المدبرة إلى أن تركت الأمة المسلمة في الهند فها شاء لها حاكمها من إفلاس وجهالة وتخلف فكر وضاد أخلاق ومهانة ؛

وكانت الضربة القاضية على هذه الأمة المتساقطة ما أصابها أبات أورة ١٨٥٧ م، فذلك لم يسلب المسلمين قوتهم السياسية وحدها ، بل أضعف قيم الهمم وأدخل على نفوسهم اليأس وشمور الذلة والهوان ، وأوقع في قلوبهم من الروعة والفزع للسلطة الانكليزية ما لم تبق معه إثارة من الفيرة القومية فيم ، ولما وصلوا إلى هذا القرار من الذل والمسكنة اضطروا إلى الاعتقاد بأن السلامة في هذه الدنيا هي في إطاعة الانكليز ، وان المزة في خدمة الانكليز ، وان التقدم والرفي في نقليد الانكليز ، وان العزى والدار ومسبب للنكية .

ولما هب القوم في النصف الآخر من القرن الناسع عشر وهموا بالنهوض من كبوتهم وجدوا أنفسهم في نوعين اثنين من الضف تأولهما أنهم لم يكونوا — مذ أسلموا — راسخين في العقبدة والنقافة الاسلامية من ناحبتي الفكر والعمل وكان يحيط بهم فوق ذلك وسط غير إسلامي بأفكاره الجاهلية وتحدته الجاهلي. والآخر أن العبودية قد استولت لا على أجسامهم وحدها بل على قلوبهم وأرواحهم أيضاً وأنهم قد سلبوا جميع القوى والمقدرات التي تستطبع بها الأمم أن تحافظ على تمدنها وحضارتها .

فلم فتح المسامون أعينهم في هذه الحالة من الضعف المضاعف رأوا أن الحدكم الانكليزي قد أقفل بدهائه أبواب المبشة والانتصاد كالها ووضع مقاليدها في المدارس والكليات الانكليزية . فلم ببق بأيديهم إلا أن بعنوا بتحصيل التعليم الانكليزي . وقامت لأجل ذلك حركة جبارة تحت زعامة السير سيد أحمد خان ، بعث في نفوس مسلمي الهند كلها الشمور القوي لضرورة التعليم الانكليزي . وخالف هذه الحركة فريق من المسلمين النازعين إلى القديم ، ولكن غالفتهم لم تفعل شيئاً ، والذين كانت بيدهم القوة المحقيقية باعتبار التروة والمنز والنفوذ أيدوا جميعاً هسده الحركة الجديدة ، وأقبل المسلمون على النعليم الانكليزي بسرعة مدهشة ، الجديدة ، وأقبل المسلمون على النعليم الانكليزي بسرعة مدهشة ، وكان من نتيجة ذلك أن النخالة من أبناء الأمة تركت للمدارس وكان من نتيجة ذلك أن النخالة من أبناء الأمة تركت للمدارس وأما المدن الخالص من الاولاد الاذكياء للطبقات المترفية فبعنوا

إلى المدارس والـكليات الانكليزية لـكي تنقش في ألواح قلعوبهم وأذعانهم الصافية نقوش النلوم والفنون الافرنجية .

كان ذلك في الرم الاخير من القرن التاسم عشر ، و كان المظهر الاوربي إذ ذاك أن كانت المادية قد بلغت هناك أوج كالها ، وكانت العلوم التجريبية ( Science ) قد تم لها الانتصار على الدين ( Religion ) ، وكانت النظريات القديمة في السياسة والاجتماع والاخلاق والاقتصاد قد بطلت وقامت مقامهـا النظريات الحديدة تحت إشراف الفلسفة والعلوم الحديثة . وقولدت في أوربا حضارة الانقلاب المظم وإن كان قد طرد الدين وطرد المبادى. المبنية على هدايته عن شؤون الحياة العملية طرداً كاملاً ، إلا أن النفيدة الدينية قد كارن لها مقام في دنيا الفكر والتمور إلى العهد القريب ، واكن قامت الآن حرب في وجهها أيضاً . وان العلوم التجريبية وإن لم يأت أي علم سنها ببرهان – يمكن أن يدعى برهاناً - في تقض النظرية الإلهية لهذا الكون ، إلا أن أصحاب تلك الملوم غدوا مستنفرين من تصور الوجود الالهي وأعداء للنظرية الالهية ، وذلك بغير برهان أو حجة علمية، وإنما صدروا في ذلك عن طبعهم ومزاحيم فحسب . ولأنهم هم الذي كانوا يقفون موقف الزعامة المقلية والملمية في العالم شاع بتأثيرهم مرض النفرة من الإله ( Theophobie ) كالعدوى المنتسرة . فأصكار الوجود الإلهي واعتقاد هذا الكون شيئاً وجد من تلقائه وبجري

بنفسه نحت القوانين الطبيعية ، واعتبار عبادة الله نوعاً من التوهم (Superstition) والحركم على الدين بأنه شيء عبث ، وعلى النظرية الدينية بأنها عبارة عن ضيق النظر وظلمة الفكر ، وظن المذهب المادي (Naturalism) شيئاً مرادفاً للتنور المقني، كان كل ذلك قد أصبح طبيعة العصر ومقتضى التجدد . وكل رجل وإن لم بؤت نصيباً من الفلسفة والملوم ولم بجهد شيئاً في محقيق هذه المسائل بنفسه ، كان يبدي هذه الافكار ويتحمس لها لركي بعد في المجتمع من أصحباب الفكر النبر . وكان التقوه بديء في حماية الروحانية (Spiritualism) أو فوق العلبيمة (Spiritualism) من باب الكفر . ولو أنه يبدي مثل هسدذا الرأي عالم من علماء الطبيعة والكيمياء مهما علت منزلته ، كان يفقد اعتباره في الدوائر العلمية السائتيفيكية ميزلته ، كان يفقد اعتباره في الدوائر العلمية السائتيفيكية وتحبط أعماله ومآثره جيعاً ، ولا يعود جديراً بأن يقبل عضواً في هيئة علمية .

وفي سنة ١٨٥٩ تشركتاب أصل الأنواع ( The Origin of Species الدارون , وهذا الكتاب هيا الحطب الجزل اللبيب المدّهب المادي والالحاد المستمر . وإن الحجيج التي ساقها دارون الاثبات نظريته الحسوسة للارتقاء وإن كانت ضعيفة ومفتقرة إلى الشوت ، وكانت سلسلة الارتقاء التي قدمها دارون بكل حماس وجزم الا تفتقد حلقة واحدة ، بل حلقات سعددة من قبل ومن بعد كل حلقة موجودة وان أهل البصيرة والفكر لم تعلمئن نفوسهم على هده النظرية عندما عرضت ، حتى لم يؤمن بها حينئذ أكبر الدعاة الها النظرية عندما عرضت ، حتى لم يؤمن بها حينئذ أكبر الدعاة الها

وهو هكسلي ( Huxley ) ، إلا أنه قبل الناسهذا التعليم الداروبني لنفرتهم من الله ونشروه في مشارق الأرض ومناربهــــا واستخدموه كسلاح فناك في محاربة الدين ، لأن هذه النظربة \_ على حد زعمهم ـ قد هيأت البرهان لدعوام \_ والحق أنها إنما قدمت دعوى تحناج إلى برهان \_ إن نظام هذا الكون جار من تلقاء نفسه على القوانين الطبيعية بنير قوة فوف طبيعية . وقام حماة الدن مخالفون هـ ذه النظرية ، واستنفد أسقف اكسفورد والوزير جلادستون كل مايملكان من البلاغة واللسن في الرد عليهـا ، ولكنها انهزما ، وفي آخر الأمر ارتاع حماة الدين لهذا الإلحاد السانتيفيكي إلى حد أنه حبها توفي دارون سنة ١٨٨٢م ، كرمته الكنيسة الانكليزية ( Church of England ) بأعز ماعندها من تكريم ، وذلك أنها أذنت بدفنه في عمارة ويست منستر ( West Minster Abbey)والحال أنه كان زعيم الطبقة التي حفرت الدين القبر في أوربا وكان له النصيب الأوفى في توجيه الأفكار إلى الإلحاد والزندفة واللادبنية فيخلق العقلية التي نشأت في جوها البالشفية والفاشية بمد حين.

#### \* \* \*

هذا هوالأوانالذي بُمَتُ فيه العسبية والشبان من أمتنا إلى المدارس والكليات الانكليزية للارتواء من التعليم الانكليزي والثقافة الانكليزية. قوم أجانب عن التعليم الإسلامي ضعفاء من الثقافة الإسلامية ، مرتاعون للعجكم الانكليزي ، متهافتون على بريق الحضارة الافرنجية ، لما دخلوا المدارس الانكليزية كان أول ما انطبعوا به أن تقلبت لما دخلوا المدارس الانكليزية كان أول ما انطبعوا به أن تقلبت

عَقَلْيَتُهُمْ وَانْحُرُفْتُ مَيُولِهُمْ وَمَنَازَءُهُمْ مِنَ الدِّينَ ءَ لأَنَّهُ كَانَ مِن أُولَ مؤثرات ذلك الجو المدرسي فيهم أن يقولوا آمنا، لكن ما يعرض عليهم باسم كاتب أو محقق من أوربا ، وأن بطالبوا بالحجة والدليل لكل ما يعرض عليهم من الفرآل الكريم أو الحديث النبوي أو من آثار أثمة اللدين . وإن العلوم الغربية التي تعلمها شبانك في المدارس والكلبات بثلك المقلية المنقلبة كانت أصولها وفروعها في الأغلب مخالفة لأصول الأحكام الإسلامية وجزئياتها . ومن الأمثلة لذلك أن تصور الدين في الإسلام هو أنه قانون للحياة الإنسانية ، وتصور الدين في الغرب هو أنه عقيدة شخصية وكفي ، لا علاقة لها في شيء بالحياة الانسانية العملية . وان الإسلام أول مقتضياته الإيمان بالله ولكن لبس الوجود الإلهي في القرب بشيء ثابت محقق . وان الإسلام يقوم نظمام حضارته كله على الإيمان بالرسالة والوحي ٥ وأن الوحي هناك شيء مرتاب فيه وكون الرسالة والنبوة من جانب الله أمر محقوف بالشهات ، وان الإيمان باليوم الآخر حجر أساسي لظلم الأخلاق بكامله ، وهذا الحجر الاساسي شيء لا أساس له في الغرب. والاالمبادات والاعمال التي هي في الاسلام فرائض وواجبات تمد عند الفربيين من تقاليد المصور الظلمة الحاهلة ، مما لا فائدة منه في هذه الآونة . كذلك إن مبادى، الحضارة والتمدن في الاسلام مختلفة غاماً عن مبادىء الحضارة والتمدن الغربيين. فأصل الاصول والمبدأ الرئيسي في الاسلام في باب القيانون أن الله تمالي هو نفسه واضم القانون ، وأن رسول الله مُنْتَقِيَّةٍ ـ شارح القانون

ومبيته ، وأن الانسان متبع الفانون ، ولكنهم في الغرب لابعرفون لله حقاً في وضم القانون ، بل واضع القــانون هناك هو المجلس التشريعي ، وان الامة ناخبة لذلك المجلس . وفياب السياسة يطمح الاسلام إلى الحكومة الاسلامية وهدف الفرب في ذلك هو الحكومة القوصية . واتجاه الاسلام إلى الدولية ( Internationalism) وقبلة الغرب عي النمومية ( Nationalism ) . وفي النظام الاقتصادي محض الاسلام على أكل الحلال والصدقة والزكاة ومحرم الربا يكل شدة ، ونظام الاقتصاد في الغرب فائم في صميمه على الربا والربح . وفي باب الاخلاق ينظر الاسلام إلى الفلاح الاخروي وينظر الغرب إلى الربح المادي في هذه الماجلة . وفي الشؤون الاجتماعية أيضاً تختلف طريقة الاسلام عن طريقة الغرب في كل أمر تقريباً . فالستر والحجاب وحدود أعمال المرأة والرجل ، وتعدد الازواج وقوانين الطلاق والزواج ونحديد النسل وحقوق ذوي الارحام وحقوق الزوجين وما شاكلها من الشؤون الاخرى المتعددة هي من الامور التي يبلغ فيها اختلاف وجهتي نظر الاسلام والغرب من الجلاء والوضوح بحيث لا حاجة إلى ذكره . ومرد هذا الاختلاف إلى أنَّ مبادئها مختلفة ومتناقضة .

إن شبيننا لما اكتسبوا هذا التعليم الفربي بتلك العقلية المرعوبة بل المغلوبة ، وبذلك التعليم والقربية غير الاسلامية ونشأوا في يئة الحضارة الفربية ، كان من نتيجة ذلك ما يتقاضاه منطق الاشياء وهو أنهم افتقدوا قوة النقسد والتعبيز ، واعتبروا كل ما تعلموه من الغرب مقياس الصحية والصواب ، ثم راحوا بنتقدون الاسلام جذا المقياس مع علمهم الناقص ونظرهم المون . فكل ما وجدوا فيه اختلافاً بين الاسلام والغرب لم يشمروا بخطأ الغرب فيه ، بل اعتبروا الاسيلام هو على الخطأ في بابه ، وأقبلوا على سادته وقوانينه بحرفونها عن وجهها ويستبدلون بها مبادى، أخرى .

#### ★ ★ ★

وإن من الحق الذي لا مربة فيه أنه مهما كان من القائدة التي فالت مسلمي الهند من التعليم الجديد ، من ناحيتي السياسة والاقتصاد، فان الخسارة التي قد جرها هذا التعليم على دينهم وحضارتهم لا يكن أن تنلافي بأبة منفعة أو فائدة !

# الأمم المربضة في العصر الحديث

سواه هذا النبرق أو الغرب ، وهذه الامة المسلمة أو غيرها من الامم ، نقد حلت بها جميعاً نكبة واحسدة ، هي أنه قد استولت عليها حضارة نشأت في أحضان المادية الخالصة . هذه الحضارة قد أست حكمها النظرية والمملية على قواعد خاطئة . وقد حرت فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها وبالجلة كل مايتصل بها ، قد جرى كلذلك من نقطة انطلاق منحرقة وبني مخطو وبرتني في وجهة غير سجيحة ، حتى انتهى إلى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة ـ وهي الهلاك ـ قريباً .

هذه الحضارة انبعث في أمة لم تكن غلك في الحقيقة نبماً صافياً طيباً من الحكمة الإلهبة . ولا شك أنه قد كان بينها زعماء دينيون، ولكنه لم تكن بيدهم الحكمة . ولا كان عندهم العلم، ولا القانون الإلهبي . أقصى ما كانوا علكون هو نظرية دينية مخطئة لم تكن لترشد النوع البشري إلى السبيل السوي من سبل الفكر والمعلى، مهما شاء أصحابها أن تفعل . كل ما كان لهذه النظرية أن تفعل عو أن تحول دون رقي العلم والحكمة ، فقعلت . وكان من نتيجة عو أن تحول دون رقي العلم والحكمة ، فقعلت . وكان من نتيجة

هذه الحيلولة والمنع أن ١٦ على الدين من كانوا بريدون الرفي ، فنحوه من طريقهم ومضوا في سبيل آخر لم يكن دليلهم فيه إلا المشاهدة والتجربة والقياس والاستقراء . وغدت هذه الدلائل المرشدة التي هي بنفسها تفتقر إلى الهدى والنور عمدتهم وسنده في كل أمر , وفي ضوئها اجتهد القوم كثيراً في ميادين الفكر والنظر والبحث والاكتشاف والتعمير والنظم ، ولكنهم انطلقوا من نقطة خاطئة في كل ميدان ، واتجه رقيهم كله إلى هدف غير صحيح . إنهم انطلقوا من نقطة الإلحاد والمادية فرأوا هذا الكون من حيث أنه لا خالني له ولا إله ونظروا إلى الأنفس والآفاق زاعمين أن الحقيقة كلها متحصرة فيما بحسه المرء أو يشاهده ، وأنه لا شيء من وراء هذا الظاهر المرئي . ودرسوا قانون الفطرة وفهموه بوسائل الطريق إلى واضع ذلك القانون . ووجدوا الموجودات مسخرة لهم فراحوا يستخدمونها ، ولكنه لم يقع في أذهانهم أتهم ليسوا مالكين اللك الأشياء ولا حاكمين عليها ، بل هم خلفاء عليها للهالك الحقبقي . هذه النفلة والجهل جردتهم من النصور الأساسي للمسؤولية وترتب عنى ذلك ألا اعوج أساس حضارتهم وتمدنهم ومال عن الاستقامة . فأمسوا يعبدون ذواتهم بدل الذات الإلهية . وأوقشهم الذاتية والأنانية في الفتنة بما حلت منهم محل الإله. وما هو إلا عبادتهم لهذا الإله الكاذب - الذاتية - ما يسوقهم الآن في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل على طرق لاشك أن منازلها الوسطية رائفة تسر النفار ولكن منزلها النهائمي لبس إلا التردي والهلاك . فيده السادة للذانية هي التي قد انخذت العلام النجريبية (Science) آلة لتدمير الانسان ، وصبت الأخلاق في قوالب الأثرة والرياء والخلاعة والحبون ، وسلطت على الاقتصاد شياطين الاستبداد والفلم والحرمان . ونفتت في نواحي الاجتماع كلما سموم الأثرة وحب الترف ، وأفسدت السياسة بمفاسد القومية الضيقة والوطنية ومفارقات اللون والجنس ، وعبادة آلحة القوة والسلطة ، فحملتها آفة شقاء للانسان . وجملة القول أن هذه البذرة الخبيئة التي بذرت ابان النهضة الحديدة في الغرب وقد انشقت عن شجرة باسقة بغرت ابان النهضة الجديدة في الغرب وقد انشقت عن شجرة باسقة خيثة للمحضارة والتمدن ، أكلها لذيذ ولكنه مسموم ، وزهرها جيل ولكنه شائك ، وأغصانها جيجة ولكنها تنفث سما غير مرثي ولا يزال يسمم دم النوع البصري في الداخل .

وهذه الشجرة الخبيئة قد أخذ يتأفف عنها الآن أهل الغرب أنفسهم الذين كانوا غرسوها بأيديهم لأنها قد خلقت في كل شعبة من شعب الحياة مشاكل وعقد ، تنتهي كل محاولة لحلها إلى عقد كثيرة أخرى . فكلها جزوا منها فرعاً نبتت مكانها فروع كثيرة شائكة . قلع القوم شأفة الرأسمالية فنشأت مكانها الشيوعية . وقضوا على الديتقراطية فنجمت مكانها الفاشية . وحاولوا حل المشاكل الاجتماعية فظهرت الحركات النسوية المنظرفة ( Feminism ) وحركة تحديد النسل . وسعوا وراء استخدام القوانين لمالحة المفاسد الخلقية فنتجت — كرد الفعل — نزعة الخروج على القوانين والاحتراف فنتجت — كرد الفعل — نزعة الخروج على القوانين والاحتراف

بالجرائم . موجز القول أن هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي قد أصبحت تخرج من شجرة الحضارة والنمدن هذم ، وقد جملت الحياة الغربية جرحاً دامياً من المصائب والآلام، يحس في كل موضع منها وفي كل عرق من عروقها وجع الأذى . وان الأمم الغربية قد عيل سبرها على هذا المذاب ، فقلوبها مضطربة وأرواحها نواقة إلى عصير يشفيهم من آلامها . ولكنها لا تدري أن هذا العصير الذي قد تتطلبه . ولا تزال الأكثرية منها تظن خطأ أن منبع كل تلك الفياسد والآلام هو في فروع تلك الشجرة الخبيثة ، فلا يزالون يضيمون أوقاتهم ومساعيهم في تشذيب الفروع ، ولكنهم لايدركون أن الفاد كله في أصلها وجذرها ، وأن الأمل في نشأة فرع صالح من أصل فاسد حماقة وجنون ، وهنماك بجانب آخر قلة قليلة من أصحاء المقول قد أدركوا أن الأصل من شجرة حضارتهم هو الفاسد ، ولكنهم لما نشأوا في ظلال هذه الشجرة وتنذت أحسامهم يتارها بكادون لايفهمون أي شيء يستبدلونه بهذا الأصل الفاسد ، وأن الأصل الصالح هو الذي تتفرع منه أغصان وأوراق صالحة ، وعلى هذا كله تستوي حال الفئتين . فسكل أولئك يتطلبون شيئاً بشني آلامهم ولكنهم لا يطمون ماهو التبيء المطلوب وأتن توحد ؟

وهذا هو الأوان الذي بجب أن يعرض على أمم الغرب كتاب الله وسنة النبي على الله على الله أرواحكم وتضطرب البحث عنه ، وهذا هو المصير الشافي الذي الله أرواحكم وتضطرب البحث عنه ، وهذا هو المصير الشافي الذي

أنتم متعطئون اليه ، وهذه هي الشجرة الطبية التي نبتت من أصل صالح وتفرعت إلى أغصان غضة ، والتي زهرها طيب الرائحة عادم الشوك ، والتي تمرها حلو يلذ ويغذي الجسم ، والتي هواۋهـــــا غليف ومنشط الروحأيضًا . فستجدون الحكمة . وستجدون نقطة انطلاق صحيحة للفكر والنظر . وستجدون العلم الذي يشكل انسلوك الإنساني على أحسن طراز . وستجدون الروحانية التي هي مصدر الطمأنينة القلبية والهدوم ، لا للرهبان وتاركي الدنيا ، بل الذين يىملون ويجهدون في مزدحم الحياة الدنيوية . وستجدون هنا تلك الضابطة للأخلاق والقانون ، التي بنيت على العلم الـكامل الشامل الفطرة الانسانية ، فلم تكن لنتبدل تبعاً لأهواء النفس الانسانية . وستجدون المادى الصحيحة للحضارة والتمدن المادى التي تمحو الامتيازات الكاذبة بين الطبقات وتبطل الفروق المزيفة بين الأسمء وتنظم الجُمَّ الانساني على أسس عقلبة خالصة ، وتخلق جواً آمناً صالحًا للمدل والمساواة والماحة وحسن المعاملة ، لابيق فيه مجال لأن ينشأ بين الأفراد والطبقات والفرق الانسانية تنازع للحقوق أو اصطدام المصالح أو تحارب لأجل الأغراض والأهداف ، بل بتأنى للجميع أن يعملوا لأجل الفلاح الشخصي والجاعي بالرضى والطمأنينة متماونين متماقدين فيا بينهم ، فإن كنتم تريدون أن تقوا أنفسكم الهلاك فعليكم أن تحطموا حضارتكم بضربة من الدهر فتضاف حضارة ميتة أخرى إلى حضارات التاريخ البائدة الكثيرة، عليكم أن تعاهروا قلوبكم من تلك المصبيات \_ضد الاسلام\_ التي

ورثتموها من المغالين الدينيين في القرون المتوسطة والتي لم تهجروها بعد على كونكم هجرتم كل ما يمت إلى تلك العصور المظلمة بسبب ، ثم ترجعوا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، فاستمعوا لهم وافهموهما بقلوب واعية ، فاقبلوهما .

هذا بالنسبة إلى أمم الغرب . وأما الأمم المسلمة فتختلف حالها عن حال الأمم الغربية فالمرض عندها غير المرض ، وأسباب المرض أيضاً مختلفة ، إلا أن علاج مرضها هو الملاج الموسوف لأمم الغرب . وذلك هو الرجوع إلى ذلك المعلم وتلك الهداية التي غد أزلها الله تمالى بصورة كتابه الأخير على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محد ويهيئين .

إن الظروف التي احتك فيها الاسلام بالحضارة الغربية تختلف عاماً عن الظروف التي احتك فيها بالحضارات الآخرى قبل ذلك ، فالحضارات الرومية والفارسية والهندية والصينية صادمت الاسلام في وقت كان هذا الدين مسيطراً بكل معنى الكامة على الفوى الفكرية والمسلية في متبعه ، وكانت روح الجهاد والاجتهاد قوية فيهم. وكانوا أمة غالبة في العالم من الجهتين الروحية والمادية ، يحلون بين أمم السالم محل الصدارة والزعامة لذلك لم يكن لحضارة من تلك الحضارات أن تدافعهم وتثبت أمامهم ، فحيمًا ذهبوا أحدثوا انقلاباً في أفكار الأمم ونظرياتها وعلومها وأخلافها وعاداتها وأسلوب تمدنها ، وكانوا أحرى بالتأثير في غيرهم من أن يتأثروا بهم ، ولا شاب ك أنهم المخذوا أشياء كثيرة من غيره ، والكن كان مزاج حضارتهم قوياً المخذوا أشياء كثيرة من غيره ، والكن كان مزاج حضارتهم قوياً

محكماً إلى درجة أنه كلها دخل فيها من الخارج ذاب في قالبها ، ولم يحدث بذلك فيها سوء مزاج مختلط ، وبالمكس من ذلك ، جاءت الآثار التي تركها هؤلاء في غيرهم سبياً اللانقلاب وتنبر الأحوال . فمن الحصارات غير المسلمة ما انحلت في الاسلام حتى افتقدت فرديتها تماماً . وأما الأخرى التي كانت أقوى على الحياة فتأثرت بالاسلام إلى درجة أنه طرأ على مبادئها كثير من التغير . على أنه حدث هذا كله في زمان كانت الأمة فيه في أوج الشباب . فاروح فتية والمعتمل قوة والهمم تناطح السحاب !

وحدث بعد ذلك أن المسلمين لطول بمارستهم للحكم بالفلم والسيف غلبهم النعب والكلام . فحمدت فيهم روح الجهاد وضعف قوة الاجتهاد . فععلوا كتاب الله الذي منحهم قور العلم وقوة العمل تذكاراً مقدساً غلفوه ووضعوه في المحاريب وتركوا اتباع السنة النبوية ، التي شكات حضارتهم في صورة نظام مكتمل الفكر والعمل . فكانت النبيجة أن قوقف سير رقيهم، وتحول ذلك النهر الذي يقي جارياً منهمراً على طول القرول إلى مستنقع ساكن في وادي الجود . فانعزل المسلمون عني منصب الإمامة في العالم وضعف ماكن لا في أمم العالم . ونشأت إزاء الاسلام حضارة أخرى وتقدمت في موكبها أمم الغرب لتأخذ رابة الجهاد والاجتهاد التي طرحها السلمون . فأما المسلمون بعد ذلك فغلبهم النماس فباتوا لا يتحركون، وثما الأمم الغربة فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأمم الغربية فظات تسير وتتقدم في مضار العلم والعمل حاملة وثما الأم

مدها الملكم الرابة ، حتى تبوأت منصب الإمامة الذي تزل عنه هؤلاء ، ففتحت بسيفها الجانب الأكبر من هذه الدنيا ، واستوات أمكارها ونظرياتها وعلومها وفنونها ومبادثها وحضارتها وقدتها على العالم ، وسيطر حكها وسيادتها لا على أجسام الناس وحدها بل على قلومهم وأذها فهم أيضاً . حتى أنه لما تنبه المسلمون من فومهم المستمر على القرون ، رأوا أنه قد تحت الغلبة الأجانب وأصبحت البلاد تحت حكمهم وسيطرتهم، فلآن لا علم إلا علمهم ولا حضارة اللا حضارتهم ولا فانون إلا قلونهم ولا حكومتم الاحكارة ولم يبق بيد الأمة المسلمة شيء سوى الذكرى للمهود الماضية الزواهر ، وهذه الذكرى أيضاً أخذت تمحى من صفحة الأدهان،

وفي أيامنا هذه أسبح الاسلام محتك بالحضارة الغربية على طراز آخر . انه لا شك في أن الحضارة الغربية لاتستطيع أن تراحم الاسلام بجنكبيها وتقوم أمامه كالنده ولو أن الاحتكاك بكوت بالاسلام السحيح فلا شك أنه ما من قوة في هذه الارض تستطيع أن تقف في وجهه ، ولكن قولوا لي : أن الإسلام اليوم ؟ إن المسلمين ليست فيهم السيرة الإسلامية ولا الخلق الإسلامي ولا الفكر الاسلامي ، ولا شيء من الخاسة الاسلامية . إن الروح الاسلامية الخالفة لا توجد في مساجدهم ولا في مدارسهم ولا في زواياهم ، ولم يبق من علاقة بين الاسلام والحياة العملية ، وليس القانون ولم يبق من علاقة بين الاسلام والحياة العملية ، وليس القانون ولم يبق من علاقة بين الاسلام والحياة العملية ، وليس القانون ولم يبق من علاقة من شعب الحضارة والتعدل يكون تدبير أمرها قامًا هناك شعبة من شعب الحضارة والتعدل يكون تدبير أمرها قامًا

على الطراز الاسلامي الصحيح . فني هذه الفاروف ليس الاحتكاك في الحقيقة بين الاسلام والحضارة الغربية ، بل هو بين حضارة المسلمين الخامدة الجامدة التخلفة وحضارة نابضة بالحركة والحياة نه إشرق في جنباتها ضباء العلم وتدفئها حرارة العمل. وكل ماعكني أن بكون من نتائج هذا الاصطدام بين جانبين غير متساويين من حيث القوة والحبوبة فهو ظاهر للميان ، وهو أن المسلمين لازالون يرجعون على أعقابهم في هذا المضار ولا تزال حضارتهم تنهزم، وهم يتدرجون إلى أن يذوبوا في الحضــــارة الفربية تماماً ويفتقدوا شخصيتهم المستقلة ، وقد غلب قلوبهم وأدهائهم النزوع إلى الغرب في كل شيء ، فلا تزال أذهانهم تنطبع بطابع الغرب ، ولا تزال قواهم الفكرية والنظرية تتمرن على حسب المبادىء الغربية ولاتزال تصوراتهم وأخلاقهم واقتصادهم واجتماعهم وسياستهم ، لايزال يتلون كلذلك بلون الغرب، ولا يزال نشؤهم الجديد ينشأ على نصور أن القانون الحقيقي الحياة هو الذي قد نزل اليهم من الغرب ، فهذه الهزيمة هي في الحق هزيمة المسلمين ، واكنها الموء الحظ تسبر خطاً هزيمة الدن الاسلامي نفسه .

فليس هناك قطر واحد بعينه قد أصابته هذه النكبة ولا هناك أمة واحدة قد أحاق بها هذا الخطر ، بل إن العالم الاسلامي كله يمر اليوم عرحلة هذا الانقلاب الرهيب . إنه كان من واجب العلماء في الحقيقة أن يتنبهوا وينبهوا حيمًا ابتدأ هذا الانقلاب ، فكان عليهم أن يتفهموا مبادى والحضارة الطارئة وينفروا إلى أقطار الغرب ليتفقهوا في العلوم مبادى والحضارة الطارئة وينفروا إلى أقطار الغرب ليتفقهوا في العلوم

الى نهضت على أساسها هذه الحضارة ، كما كان عليهم أن يستعملوا قوة والناهج المملية التي تقدمت بفضلها الأمم الغربية في سبيل الرقي، ويركبوا تلك الأجزاء الحديثة في مكان النظام التعليمي والحباة المدنية عند المسلمين ، ضمن مبادىء الإسلام ، بصورة تتلامى بها الخسارة العظيمة التي قد تنالهم من الجود المستمر على القرون ، ونجمل الركب الإسلامي يتماشي مع الزمن الحديث ، ولكن الأسف أن كان العلماء – اللهم إلا من عنصم – قد خلوا من روح الإسلام الحقيقية ، فلم تكن فيهم قوة الاجتهاد ولا الثفقه في الدين ولا الحكمة النظرية والعملية ولا القوة للممل ، فلم يكونوا أهلاً لأن يستمدوا من كتاب الله والإرشاد النبوي في ناحيتي العلم والعمل مبادىء الإسلام المرنة الدائمة ، فيستخدموها في الأوضاع المصرية السلف ، مما كان مجملهم ببحثون عن كل شيء في تلك الكتب الفقهية التي لم تكن منزلة من عند الله حتى تكون أرفع من قيود الزمن المتطور ، ويرجمون في كل شأن من شؤونهم إلى الأفراد الإنسانيين الذين لم يكونوا أنبياء الله حتى تكون بصيرتهم بالأمور متحررة من قيود الظروف والأوقات . وإذا كانت هـذه حال العلماء على الأغلب فكيف كان من المكن لهم أن يقودوا المسلمين قيادة ســـديدة في حين أن الزمان قد تغير ووقع في دنيا الملم والممل من الانقلاب العظم ماكان للمين الالهية وحدها أن تبصره عبر القرون ، ولم يكن لغير نبي أن يشق بصر محجب الأزمنة والقرون ليبصره . ما من شك في أن العلم، بذلوا جهدهم لقاومة الحضارة الجديدة ولكنهم كانوا لا علكون الوسائل اللازمة لهذه المقاومة ، ودلك أن الحركة لا تحارب بالجود ، ولا سير الزمن يمنع بقوة المنطق وحدها ، ولا يدفع الملاح الجديد الفتاك بسلاح صدىء قديم . وإن الناهج البالية التي أراد العلم، أن بتخذوها لقيادة الأمة لم تكن تنجح ونفيد شبئاً في هذا الزمان. فان الأمة التي أحاط جا طوفان الحضارة الغربية من جميع الأطراف كيف كان لها أن تنمض عينها وتمطل حواسها وتنكر وجود الطوفان وتسلم من آثاره ، وكيف كان لأمة ألقى عليها نظام الحضارة والتمدن الحديث نفوذه السياسي أن تجب حياتها المملية من تأثيره وتفوذه ، على كونها في حال العبودية والهزيمة ، لذلك كان من عواقب ذلك ماينيني أن يكون : وهو أنَّ أَمْزُمُ السَّلْمُونِ. في حلبة الما والحضارة والتمدن أيضًا بعد ال غلبوا في ميدار السياسة . وهانحن زى الآن بأم أعيننا أن نيار الحضارة الغربية لابزال بجرف في كل منطقة من مناطق العالم الإسلامي وقد انساقت فيه الاجيال الناشئة من المسلمين حتى ابتمدت عن مركزها الإسلامي أساداً ساحقة حداً .

ومن سوء الجد أن العلماء الاسلاميين لم يشعروا بخطئهم في الامر حتى إلى هذا اليوم ، فلا تزال جماعاتهم في كل قطر تقريباً ثابتة على مناهجهم القديمة التي خابت لاجلها مساعيهم فيا قبل ،

وما خلا الافراد القلائل لا ينفك يظهر من حال السواد الاعظم من الملهاء أنهم لا مجتهدون أن يفهموا لليول المتجددة لهذا المصر والوضع الحديد للنقليات . إنهم مستعدون كل الاستعداد لان يرفعوا النكبر على كل ماييتمد بالاجيال السلمة الحديثة عن الاسلام ، ولكنهم لا يستطيعون أن يكافوا أنقسهم بتهيئة الترياق لذلك السم الداخل في عروق الامة . إنهم بخفقون دائمًا في حل المضلات الملمية والعملية التي ةد خلقتها للمسلمين هذه الاوضاع الجديدة ، لانه لاعكن حل تلك السائل المقدة بغير الاجتماد ، والاجتماد قد حرمه هؤلاء أنفسهم . وان الاسلوب الذي قد اختاره علماؤنا اايوم لبيان تماليم الاسلام وقوانينه إنما ينفر الطبقة المتحلية بالتعليم الحديد عن الاسلام بدل أن يجفيها اليه ، وإذا استمع المرء إلى مواعظهم أو اطلع على كناباتهم فكثيراً مايدعو الله أن لا يكون إبقاعهم الناشز هذا قد بلغ محامع غير مسلم أو مسلم منحرف. إنهم قد ضربوا حولهم جواً عنيقاً قد مر عليه قرن على الاقل . فهم بعيشون ذلك الجو الماضي ويفكرون فيه ويتكلمون بحسب أحواله. إنه لابشك أحد في أنهم هم الذين قد بقيت نفائس العلوم الاسلامية التمليم الدبني بين الجيل المسنم فهو بواسطتهم وبمجهودهم . إلا أن هذا البرزخ الهائل المريض — عرض المائنين من السنين ــالذي جعلوه بينهم وبين عصر هم الحالي لا يسمح بأي صلة تقام بين الاسلام والعصر الحديث. فالذي ينحو البوم نحو التمليم الاسلامي فهو لايبق أهلأ لشؤون الحياة

الدنيوية . وأما الذي يرضى لنفسه أن يستمد المارسة الشؤون الدنيوية فهو يبقى غريباً عن التعليم الاسلامي . وهذا هو السبب فى أنه يوجد في كل مكان من العالم الاسلامي طبقتان اثنتان تضاد إحداهما الأخرى، فالطبقة الواحدة تقوم بتدبير الشؤون العلمية والأدبية والسياسية للمسلمين ولكنها جاهلة لمبادى الاسلام وأصوله، خالية من روح الحضارة الاسلامية غير مستأنسة لنظام الاجتماع الاسلامي والقوانين المدنية الاسلامية وليس كلاعان في قلبه إلا شعاع ضيل جداً في ناحية بعيدة منه وأما فيا وراء ذلك فليس بينه وبين غير المسلم فرق ولكنه لما كان كل ما عنالك من القوة العلمية والعملية في قبضة هذه الطبقة وكانت هدده هي التي تقوى على تحريك دولاب الحيساة فهي لا تزال تنقدم بالأمة إلى أودية الضلال ، وليس هناك من بهديها الصراط المستقم .

إني أشاهد هذه الحياة وأغتل ما قد بكون لها من عاقبة محزنة وإني وإن لم أكن على سعة العم وشمول الفضل والكمال الذي يستلزمه عمل الإرشاد والتوجيه ، ولا كنت أملك من القوة ماأستطيع به أن أصلح هذه الأمة العظيمة في مثل هذه الظروف الفاسدة ، إلا أن الله تعالى قد أودع هذا القلب المتواضع ألماً لهذه الحال البائسة يدفعني إلى أن أستخدم ماأونيت من قليل العم والبصيرة فأدعو هانين الطبقتين من المسلمين إلى الرجوع إلى المصدر الحقيقي للتعليم الإسلامي والبنبوع الصافي لحضارة الإسلام، وأبذل في هذا السبيل جهدي المستطاع ، إني إذا نظرت إلى عظم هذا الأمر بجانب ، وإلى قلة حيلتي وهو اني بجانب آخر ، لم أر عملي هذا إلا جهد المقلى والكن كل مافي الأمر من الفوز أو الحية هو بيدانة تعالى وحده ، وليس على إلا السعي والحهد وقد أردت أن أو سع نطاق هذا السبي ما استعامت !

## بيرا بشريعية الرمانية والقانون الوضعي

في أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٣ صدر الاعلان الرسمي في أميركا بالغاء قانون التحريم ( Prohibition Law ) فارند أهاني الدنيا الجديدة إلى معاقرة المدامة والكأس بعد أربعة عشهر عاماً قضوها في مشقة نحريها . كان ثوني السيد روزفلت لرئاسية الجمهورية الأميركية فاتحة الاعلان بالتصار ( الحر ) على (الأمر). فأعقبته أولاً إباحة السراب الموزوج بـ ٣٥٣٪ من الكحول في ابريل من سنة ١٩٣٣ بقانون رسمي . ثم لم تحض عليه بضمة أشهر حتى الني التمسديل الثامن عشر من مسودة المستور الاميركي الفاء ، وهو الذي حرم به على الناس بيم الحر وشراؤها وصنعها وتربيها وتصديرها واستيرادها .

كانت هذه أكبر تجربة جربها الانسان لاصلاح الأخلاق والسلوك الاجتاعي بقوة القانون وسلطة الحكم لايوجد لها نظير في التاريخ ، وذلك أنه قبل أن يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الأميركي أقيمت في البلاد دعية واسعة النطاق ضد الحر ، وبقيت الرابطة الحاربة لوجود الحانات ( Anti-Saloon League )

تسمى وتجهد في ترعيب الاميركيين عن الحمر وتثبيت مضارها في قلوبهم ، بالقاء الخطب وتأليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وأفلام السيئا . وأفنت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين وبذلت الأموال ، حتى قدر أن نشرات النشر والاذاعة بلغت تكاليفها من لدن بدء الحركة إلى سنة ١٩٧٥ مبلغ خمسة وستين مليون دولار ، وأنه بلغ عدد الصفحات التي سود بياضها لببان ساوى، الحمر والزجر عنها تسمة آلاف مليون صفحة .

دلك قبل بدء التجربة . وأما مانحملته الأمة الامبركية في الاربعة عدر عاماً الماسية من النفقات الباهظات لاجل تنفيذ فانون التحريم فقدر مجموعها بأربعة ملايين ونصف مليون جنيه . وثدل الاحصاءات التي أذاعها ديوان القضاء الامبركي الفقرة الواقعة بين يناير من سنة ١٩٣٣ أنه قدل في سبيل يناير من سنة ١٩٣٠ أنه قدل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائذ نسمة وسجن نصف عليون وغرم الجناة ما يربو على مليون ونصف عليون جنيه ، وصودر من الاملاك ما يربو على مليون حنيه .

كل هذا النقص الهالل في الانفس والاموال كابدته أميركا المرض واحد هو تلقين الامة الاميركية والتحضرة، مفاسد الحمد المجة وتنبيها على مضارها الروحية والسحية والاخلاقية والاقتصادية. ولكن كل هدف الجهود المتوالية التي بذلت قبل تنفيذ التحريم وبعده بتأبيد من قوة الحكومة وسلطانها خابت لدى الاثمة الاميركية باراء عزمها القوي على معاقرة الراح ، وعاد القوم

من هــــذا الجهاد الاصلاحي العظيم بصفقة خاسرة .

لم يكن إخفاق الحكومة الاميركية في تحريم الحر ولا الناؤها لفانون النحريم بمد تنفيذه راجعاً إلى أن مضار الحمر التي أعيد وأبدىء في بيانها فها قبل واستخدمت سلطة القانون وقوة الدعلة لاستئسالها ، قد تحوات على مرور الايام إلى المنافع والبركات ، أو جاء اكتشاف علمي جديد يصحح آراء الناس في الحر . بل الحق أن قد برهنت لهم شواهد أقوى وتجارب أوسع وأكثر نما كان منها في الغابر أن الحر أم الخيائث ، تمت الها بشابكة النسب القريب جميع الكمائر من الزنا والبغاء واللواطة والسرقة والمقامرة الغربية وتخريب صحة أبدانها وإنساد معاشها واجتماعها . ولكن الذي أحبر الحكومة الاميركية مع ذلك كله على استرداد القانون بعد إسداره واستحلال الحر بعد تحريمها هو مجرد كون الأكثرية الساحقة من أهل أميركا لم ترض مفارقة الحثر ، وكون الشعب الذي كان حرم بأصواته استمهالها قبل أربعة عشـــر عاماً عاد هو نفسه يصر على إباحتها وإطلاق الحربة في استعالها .

الذي نعلمه أنه لم يجحد أحد من خلق الله بمضار الحمر حتى ولا أشد حماتها وهواتها ، ولا تقدم أحد بمن يخالف تحريبها ببيان لحاسنها ومنافعها يقام له وزن في جنب مقاسدها الكثيرة . وعندما عرض على المؤتمر الأميركي الاقتراح بادخال التمديل الثامن عشر على الدستور بتأبيد فوي من الرأي العام تثبت القوم في الأمر ووازنوا

حيداً بين الحياتين ، حياة بليلة ببلال الراح المباح وأخرى جافة يجفاف الزهد والامتناع ، ولم يتفق المؤتمر على هذا التعديل إلا مراعاة لكل تلك المضار التي في الحُمر . ثم أيدته عليه ست وأربعون ولانة من الولايات المتحدة ، وصادق على قانون التحريم التاجمله كل من مجلس النواب (Congress) ومجلس الأعيان ( Senate ) . وتم كل ذلك حسب رضاء الأمة الاميركية وإرادتها . وما دام أمر هذا التحريم حبراً على القرطاس وحديثاً في الأفواء بقيت الأمة تؤيده وتحامي عنه . ولكن العجب \_ وأمر الغرب كله عجب \_ أث لم يكد بدخل هذا القيانون في طور التنفيذ وفي حيز الممل حتى تبدلت الأمة غير الأمة ، فعادت \_ وهي أرقى أمم الأرض مدنية وأقواها سياسة وأغزرها علماً وأرجحها عقلاً وأميلهــــا إلى الحقيقة والواقع \_ عادت لا تطبق الصبر عن أم الخبائث هذه ، وما بانت ليلة واحدة بدونها حتى جن جنونها وطارت حواسها ، وأخذت تأتي من الأفعال ما يخيل إلى الناظر أنها توشك أن تشدخ رأسها بفهر أو صخرة كفعل العاشق الْهِنُونَ فِي غُرِامِيَاتَ التَّمَرِ فِي .

فلم تكد تقلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب حتى انفتحت فيها بجانب آخر آلاف مؤلفة من الحانات السرية ( Speak-casies ) و ( Blind Pigs ) التي بحتال فيها أصحابها ضروباً من الحيل ابيع الحمر وشرائها وشربها وسقيها ، اتقاء مؤاخذة القانون وبلغ من طنيان شهوة الحمر على الناساس أن أصبحت دلالة رجل منهم لآخر من أفار به أو أصدقائه على مكان حانة خفية أو على كلة سرها ( Pass-word )

عملاً من البر والإحسان عظيماً . فبينا كانت الحكومة يتسنى لها قبل التحريم أن تراقب عدد الحانات الحاصلة على الامتياز وتتعهد مايستعمل فيها من أنواع الحتر وتنطلع على أحوال المترددين اليها من الناس ، عادت بعد هذا كله لا تستطيع شيئاً من ذلك ، لأن تلك المريكامن للمصيانُ المنتشرة في أرجاء البلاد أكثر وأعم من أن تحيط بها رقابتها ، وعددهـــــا أضماف عدد الحانات العلنية الموجودة في البلاد قبل التحريم . هذا وطفق يباع فيها كل فوع رديء من المسكرات ، ضرره بصحة الانسان أسوأ من ضرر السم الزعاف. ثم كثر تردد الصفار من أبناء الأمة وبناتها إلى هذه الحانات ، تما ظلى له أهل الفكر الاميركيون وخافوا سوء مغبته . وغلت أثمان الخر غلاء فاحدًا وعادت مهنة بيع الحُمر من أربع المهن وأنفعهـا ، فصــار ظهرت هناك فئة من الحمارين المتجولين (Boot-leggers) هم بمثابة حافات متنقلة يبيعون الناس الحمر في المدارس والمكاتب والفنادق والمنتزهات ويتوصلون البهم حتى في بيوتهم ومنازلهم ، ليجدوا مشترين جدداً ابضاعتهم . والذي قدر على أقل التقدير أنه بلغ عدد الخارين بعد التحريم عشرة أضاف ما بلغه قبله . وجاوزت هذه المهنة مدائين القطر إلى القرى والارباف ، فأقيمت في كل قرية معصرة سربة. وبينا كان عدد مصانع الخر الحائزة للامتياز قبل التحريم لا يعدو أربعائة ، فقد عثروا في مدة سبع سنين بعد التحريم على قريب من ثمانين ألف مصنع ، ووقعوا على أكثر من تسمين ألف اتون لصنع الحر ، إلا أن هذا كله لم يمد على تجارة الحر بشيء من النقصان ، واعترف رئيس سابق لقسم النحريم في الحكومة الاميركية بأنه د لم تتمكن من العثور إلا على عشر مافي البلاد من مصانع الحمر وأتانينها ، وكذلك زادت مقادير الحمر المستعملة زيادة عظيمة حتى لقد حدث أن أصبح الاميركيون يشربون مئتي مليون غالون ( Gallons ) من الحمر في كل سنة ، وكانت هذه المقادير أكثر بكثير مما كانوا يستعملونه قبل التحريم .

ثم إن الحر التي أصبحت تستعمل منها كلك الكيات العظيمة عادت في كيفيتها أردا نوعاً وأشد بالصحة ضرراً ، مما جعل الاطباء يقولون فيها : و إن هذا المشروب أحرى بأن يدعى الم من أن يسمى خراً ، فانه لا ينجدر من حلق الشارب حتى تسري آثاره السيئة إلى معدته ودماغه ، وتبقى أعصابه مأفونة بها مدة بومين كاملين . وما دام الانسان في سكر منه لا يصلح لعمل مسالح ولا لحياة طبيعية ، بل هو عيل طبعاً إلى إثارة الضجة والغوضى والإجرام ،

فالاكثار من شرب هذه الاجناس الرديئة من الحر أودي بصحة أهل أميركا وكثر فيهم الامراض والاسقام . ومن أمثلة ذلك ماتدل عليه الاحصاءات لمديئة فيويورك من الله كان عدد المرضى فيها من استعال الكحول في سنة ١٩١٨ قبل التحريم : ١٩٧١ وعدد المالكين من استعاله : ٢٥٧ نفساً . ثم بلغ عدد المرضى فيها أسنة ١٩٢٧ بغد التحريم أحد عشر الفا وعدد المالكين سبع آلاف ونصف الالف .

وأما الذين تمدت البهم آفات الحَمْر من طريق غير مباشر فأهلكتهم أو جملتهم في حكم الأموات ، فلم يعلم عددهم إلا الله .

كذاك كثرت الجرائم ، ولا سيا جرائم الصبية والفتيان كثرة فاحشة . وشهد القضاة الامبركيون أنه : د لم تعهد في تاريخ بلادنا هذه الكثرة الكاثرة من الصبيان المقبوض عليهم في حالة السكر ، . ولما تجاوزت جرائم الأحداث أقصى الحدود وبلغ السيل الزبي ، قام المسؤولون بالتحقيق في أسبابها فدائهم الحقائق على أنه من سنة ، ١٩ لا تزال معاقرة الحمر والعربدة تزداد وتتفشى بالشبان سنة بعد سنة ، إلى أن تضاعف عدد المتورطين منهم في هذه المماصي عدد سنة ، إلى أن تضاعف عدد المتورطين منهم في هذه المماصي فلائة أضعاف ما كان من قبال في بعض المدن في مدة غائية أعوام ، وصرح الأميرالاي موس ( Col. Moss ) مدير الحجلس الأعلى النظر في الحجرائم وقد ازدادت جرائم القتل عندنا بقدر ( . ٣٠٪) أمير كبين يتعاطى الحجرائم وقد ازدادت جرائم القتل عندنا بقدر ( . ٣٠٪)

وحاصل القول أن النتائج التي ظهرت في أميركا عقب تحريم الحمر تتلخص في آنه :

- والت عن القاوب حرمة القانون ونشأت نزعة لابغي والتمرد
   عليه في كل طبقة من طبقات الحجتمع
- لم تتحقق الغابة المقصودة من تحريم الحمّر ، بل زاد استمهالها بمد التحريم على ماكان عليه قبله .

- تجشمت الحكومة خسائر لا نحصى في تنفيذ قانون التحريم،
   ومثلها أيضاً أصاب الشعب الأميركي لاشترائه الخر خفية،
   فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد .
- كثرت الأمراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات ،
   وفسدت الأخلاق وشاعت الرذائل وتفاحشت الجرائم في
   جميع طبقات المجتمع وعلى الاخص في الجيل الناشىء .

وكانتهذه كلما من تمرات هذا القانون في ناحية التمدن والاخلاق.

ظهرت هذه النتائج كلها في دولة تمد من أرقى دول الارض حضارة ، في زمان هو آلق أزمنة التاريخ بضياء الملم ، واث أبناءها أوفر حظاً من التهذب والثقافة ، تشرق عقولهم بنور الحكمة والعلم ، فهم أحرى أن يعرفوا ما يضرهم وما بنفهم .

وظهرت هــــذه النتائج على حين أنه نهت الامة الاميركية بأسرها على مضار الحمر بدعاية واسعة شاملة بذلت بسبيلها ملايين من الدولارات ونشر لا جلها مئات الملايين من الكتب والرسائل .

وظهرت على الرغم من أن أكثرية ضخمة من الامة الاميركية انفقت على ضرورة التحريم، وبرضاها وتأبيدها عرض على المجلس الاميركي مشروع التحريم وصودق عليه .

وأخيراً ظهرت هـذه النتائج مع كون دولة جبارة كالدولة الاميركية قد أقامت على السبي والجهد للقضاء على شرب الحر وتجارتها بأحسن ما يمتاز به القرن المشرين من الإدارة والتنظيم مدة أربعة عشر ناماً محرمة .

أما قبل أن تظهر هذه الفتائج فكانت الاكثرية من الحكومة والشعب كلبها تتفق على تحريم الجثر ، فحرمت فعلا ، ولكنه لما تحقق بعد التحريم أن الامة لا ترضى هجر الحتر بحال من الاحوال وكانت عواقب إكراهها على تركها أسوأ بما كانت عليه الحال فها قبل ، عادت الاكثرية من الحكومة نفسها والشعب ذائه تتفق على إحلال الحثر ، فأحلت ؛

#### \* \* \*

والآن هيا بنا نرسل الطرف في قطر كان يعد أجهل أقطار الارض في أظلم عصور التاريخ قبل مايزيد على ثلاثة عشر قرناً، أهاليه أميون ، والعلم والحكة فيه شيء معدوم ، والتعدن والحضارة أمر لا يعرفه فيه أحد ، وعدد المتعفين فيه ربحا لا يربد على واحد في عشرة آلاف ، وذلك المتعلم الواحد ليس نصيبه من العلم إلا مثل ما لعاماننا منه في هذه الايام ، ثم ينعدم فيه ما يمتاز به هذا المصر الاخير من الوسائل وإدارات التنظم، ونظام الحكم فيه في حالة بدائية لم يحض على قيامه إلا بضع سنين. وأما أهائيه في حالة بدائية لم يحض على قيامه إلا بضع سنين. وأما أهائيه ونصف مائة علم لهذا الشراب وحده ، مما لا نظير له في أبة المة أخرى ، وإن استزدت دئيلاً على شفقهم البالغ مها فهذا شعره الذي تحد الحر لحمنه وسداه ، مما يخيل إلى القارىء أنهم رضعوها مع قيد الحر لحمنه وسداه ، مما يخيل إلى القارىء أنهم رضعوها مع لبان أمهاتهم وكانوا يستبرونها لازمة لزوم الماء لحياتهم .

هذه هي حالة ذلك القطر وهـ أده صفة أهاليه ، إذ تخطر بيال

الناس مسألة الحمر فيأتون النبي وتشخيرة يستفتونه في أمرها ، فيتلو عليهم قول الله عن وجل : ( يسألونك عن الحمر والميسر . قل فيها أثم كبير ومنافع للناس . وإثمها أكبر من نفهها — القرة ٢١٩) . فيسمع الناس الآية وليس فيها أمر أو نهي وإنما هي خبر وتلقين، يبين الله تعالى به حقيقة الحمر ويخبر عباده بأنها ذات منافع وذات مضار ولكن ضررها أكبر من نفهها . على أنه بكون من تأثير هذا التعليم أن يتركها قوم للائم الكبير ، ويقولون لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير . ويشربها قوم لقوله تعالى : ( ومنافع للناس ... ) .

تم أعيد السؤال فانية عن الحر ، إذ كان بعض الناس يسلون وم سكارى فيهذون فقرأ عليهم رسول الله عليه الله عليه الله الذين آمنوا لا تقربوا العسلة وأنم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون — النساه : جع) . فحرم السكر في أوقات السلاة ، ولكنه تركه — القوم بالمرة وقالوا : لا خير في شيء بحول بيننا ومين السلاة . وقال قوم نشرها ونجلس في بيوتنا ، فكانوا بتركونها وقت السلاة و بشربونها في غير حين السلاة ، وذلك اللا يصلوا وهم تملون ، أو يضطروا إلى ترك الصلاة من أجل السكر .

إلا أن مضرة الحمد الحقيقية ظلت بافية بعد . إذ ربا كان الناس يسكرون فيفسدون . ويؤدي بهم الامر في بعض الاحابين إلى الفتك والقتل . لذلك تطلعت النفوس إلى بيان شاف المخمر . فأترل الله تعالى : ( يا أبها الذين آمنوا إنما الحمر والمابسر والأنصاب

والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه العلم تفلحون . إنما يربد الشيطان أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الحمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم سنتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا . فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين — المائدة : . ٩ — ٩٣ ) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حرمت ، الله عنه : انتهينا با رب : وقال أنس رضي الله عنه : حرمت ، ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الحرب ومئذ عيش أعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الحرب . قال : فأخرجنا الحباب إلى الطريق قصبينا مافها. فنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين . ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كام مطرت استبان فيها لون الحروف وفاحت رسمها .

وقال أنس بن مالك : كنت ساق القوم يوم حرمت الحقر في يبت أبي طليحة ، وما شرابهم إلا ففيخ البسر والنحر ، فادا مناد ينادي ، فقال القوم : اخرج فانظر ، فاذا مناد ينادي ؛ ألا إن الحقر قد حرمت ، قال : فجرت في مسكك المدينة ، فقال في أبو طليحة : احرج فأهرقها ، فهرقها ، وقيل كان رجل بشرب الحقر وأوشكت الكأس أن تمس شفتيه إذا بداخيل دخل عليه وقرأ آية التحريم ، فانفصلت الكأس من فيه قلحال ، ولم بذق المائه قطرة عما فها بعد ذلك .

 فكان من نتيجة ذلك أن هجرت العرب شرب الحمر هجراً عنها عنها عنها بلغ الإسلام أقطار الأرض زهد الأمم فيها ونفرهما عنها على حتى صرت ترى اليوم ، وقد ضعف آثار تعاليمه ، ملايين من بني آدم في هذه الدنيا يجتنبون الحمر بدون زاجر من قانون التجريم أو مانع من نظام التعزير ، والمن أحصيت اليوم نسبة الشاربين في المسلمين فلمل هذه الأمة توجد أزهد الأمم في الحمر حتى في هذه الحال المتخلفة ، ثم لا يشرب من هذه الأمة شارب إلا وهو يمتقد أنه يرتكب إثماً ومعصية ، فيندم عليه في قلبه ، وربا تاب عنها من ثلقاء نفسه .

#### \* \* \*

إن العقل والمنطق يقوم حكمها الفيصل النهائي على التجارب والشواهد وحدها . وشهادة التجربة عندهما مما لا يمكن أن يكذب أو يرد ، فيين يديك الآت تجربتان اثنتان : تجربة أجريت في أمير كما في المهد القرب وأخرى جرت في العرب في صدر الإسلام، والفرق بينها ظاهر لذي عينين ، فلك أن توازن بينها وتقارن، تم تستخلص من ذلك ماقدر الله لك من المهرة .

فني الفطر الاميركي قام أولوا الإصلاح بدعلة واسعة ضد الحمر مدة سنوات طوال ، وبذلوا ملابين من الدولارات لإعلان مضارعا وماوثها ، وبينوا آفاتها وسبى، آثارها في جسم الإنسان وأخلاقه واقتصاده بأدلة ناهضة من تعساليم الطب والاستنباط المنطقي ، وأثبتوها اثباتاً لابدع أحداً في شك من الامر . بل أروا الناس

مضار الخر رأي الدين متمثلة في الصور ، وسعوا سعيم لا "ن بؤمن الناس بمفاسد أم الخبائث فيستمدوا التركها من ثلقاء أنفسهم . تم إن المؤغر الاميركي وهو أكبر حزب سياسي للاميركيين حبتئذ قطع بتحريم الحمر بأكثرية غالبة ، فسن له قانونا ، تم جاءت الحكومة \_ وهي من أعظم حكومات الارض وأقواها فاستفرغت جهودها لمنع بيمها وشرائها وصنعها وتربيها وتصديرها واستيرادها ، ولكن الامة \_ وهي في ظليمة الامم المتقفة المستنيرة \_ لم ترض هجرها، فاضطر القانون في مدة أربعة عشر عاماً أن يرجم الفهقرى فيحدل بنفسه ما حرمه فها سبق .

وبجانب آخر ، ما قام أحد في الإسلام بنوع من الدعاية مند الحر ، وما بذات صفراء ولا بيضاء في النشر والافاعة في هذا الصدد ، وما قامت في بلاد الاسلام رابطة تحارب وجود الحانات؛ وإغا أعلن الرسول ويتخليج على الناس أن يا قوم لقد حرم الله الحمر ولم بخفت دوي إعلانه حتى امتنعت الامة ـ التي كانت أعشق للخمر من الامة الاميركية ، ثم لم تكن من العلم والنعقل المتمارف عليها في هذا الزمان على شيء يذكر في جنها ـ فأمسكت عن الحر وودعتها وداعاً لا رجعة لها بعده الها مادامت في دائرة الاسلام، وهي لان تبقى حصوراً عن الحمر لا تحتاج إلى قوة حاكمة أو عاسبة أو نظام تعزيري ، بل تجتبها وتتغزه عنها وإن لم تكن فوقها قوة قاهرة تكرهها عليه . ثم ان تحريم الحر في الاسلام ليس من النوع الذي يكن أن يخفف أو بحول إلى التحليمال بحال من

أولها: أنه فرق أساسي عظيم بين الاسلام والقوانين الوضعية في تنظيم السلوك الانساني ، فالقوانين الوضعية تعتمد غاماً على الرأي الانساني ، وهي مضطرة بطبيعة الحال إلى مراجعة رأي الخاسة والعامة في كلياتها وأصولها بل في كل فرع منها ، وشأن الرأي الانساني \_سواء كان للخاصة أو للعامة ـ أنه لايزال يتأثر في كل آن بالعواظف والنزعات الانسانية والاسباب والعوامل الخارجية وأحكام الطم والعقل القسابلة للتغير \_ عا لا بلزم أن بكون صواباً في كل حال \_ وهذا النأثر يؤدي مقابيس الخير والتمر والصحيح والخطأ والجائز والمحظور والحرام والحلال، واضطراب هذه المقابيس يكره القانون على أن عيل ممهما حيث مالت ، وبذلك لا يتحقق للاخلاق والمدنية مقياس ثابت مستحكم غير قابل التغير ، بل بتحكم تلون الطبع الانساني في القانون وتلون القانون في الحياة الانسانية . مثل ذلك كمثل سائق ربض ، بسوق السيارة ، فتعبث يداه الخرقاوان بموجههـا بميناً وشمالاً بدورت نظام . واضطراب الموجهة يعقب اضطراباً في سير السيارة، فلا تلتزم

طريقاً مستقيماً ، وإدا هي سارت مثل هـذا السير المتخلج بمنة وبسرة فلا بد أن يتأثر به السائق ومن معه في السيارة، فيكونون تارة على سواء الطريق وتارة على عذاريه ، يختبى في كل حين أن يسقط بهم المركب في فجوة أو يصطدم بهم بصخرة ، أو يصيهم من صدمات الطريق ما هو أنمت وأشد .

وبخلاف ذلك إن جميع الأصول الكاية ومعظم الفروع الجزئية لقانون والأخلاق في الاسلام هي من وضع الله والرسول، وليس المرأي الانساني إلى التدخل فيها من سبيل ، وإن كان له بعض الدخل في الجزئيات فيو لايعدو أن يستنبط الانسان فروعاً جديدة من تلك الأصول الكلية والتواهد الجزئية مراعلة لأوضاع حياته المتبدلة ، تنطب على أصول النمرع حتماً . ومن بركات هذا النشريع الرباني أنه يضع بأيدينا مقياساً قابناً للمدنية والاخلاق لايتزلول . فلا يكون في قوانينا الخلقية والمدنية أثر التاون، ولا يمكن عندنا أن يصبح حرام الأمس حلالاً اليوم ثم يعود حراءاً غداً ، وإغا الحرام في الاسلام حرام إلى أبد الآباد والحلال حلال إلى يوم الماد . وقد أسامنا زمام مركبنا إلى حاذق تام البراعة واطمأننا إلى الناب في الاسلام عرام إلى أبد الآباد والحلال حلال إلى يوم أنه سيجريه على الطريق المستقم ( بثبت الله الذن آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين) .

والأمر التاني الخطير أن الساطات الدنيوية إذا أرادت وضم القواعد الانسانية ومحاولة الاسلاح في التمدن والأخلاقوالاجتماع، فهي نحتاج في كل مسألة فرعية إلى استرضاء عامتها للاصلاح المنشود

فيها قبل أن تنولاه وتأخذه في الممل له . ولذاك يتوقف نفاذ كل مادة من مواد قانونها على رضاه جهور المامة . وكل ما ينفذ في البلاد من قانون إصلاحي أو تنظيمي بخلاف رضام قانه لامحالة ينسخ ويلقي آخر الأمر بعد كثير من الفساد، واضطراب الأحوال. وليس هذا نما جربته أميركا وحدها وإنما تشهد به نجارب الدنيا بأجمها . وهذا دليل على أن القوانين المدنية عقيمة نكدة لاتفي شيئاً في إسلاح الأخلاق والاجتماع ، لأن الفسدين الذين ترمي هذه القوانين إلى إسلاحهم هم هم الذين بتوقف على رضام تقرير تلك القوانين أو رفضها و تنفيذها أو إلفاؤها .

وقد حل الإسلام هذه العقدة بطريق آخر ، إن تأملته علمت أنه لا حل لهذه المشكلة سواه . وهو أنه قبل أن بتعرض لمسائل التعدن والاجتماع والأخلاق ، وقبل أن يطالب الإلسان بإطاعة قوانين الشرع ، يدعوه أن يؤمن بالله وبكتابه ورسوله . أما قبول الإنسان دعوته أو رفضه إياهما فلا شك موقوف على رضاه ، وهو مختار في أن يؤمن أو لا يؤمن ، ولكنه متى آمن بالله والكتاب والرسول بطل كل سؤال بعد ذلك عن رضاه أو عدم رضاه ، وأصبح كل ما يأمره الرسول عن الله تعالى وكل ما يقرره عدم رضاه ، وأصبح كل ما يأمره الرسول عن الله تعالى وكل ما يقرره الإعان بالله أمراً واجب الإذهان له . وإذا ثبت هذا الأسل من الإعان بالله جرى عليه جميع القوانين السرعية ولم يعد لرضاه أو سخطه دخل في مسألة كلية أو جزئية . وهدا ، لو تأملت ، هو السبب في أن المتسروع الذي لم بتحقق في أميركا على رغم هو السبب في أن المتسروع الذي لم بتحقق في أميركا على رغم

ما أهلك في سبيله من ملابين الدولارات وعلى رغم دلك التبليغ والدعابة والنشر النادر النظير في تاريخ الأمم ومساعي الحكومة المتوالية على طول السنين - تحقق في دنيا الإسلام بإعلان واحد أعلنه الرسول عن ربه .

والعبرة الثالثة: أن جماعة إنسانية مها وفر نصبها من نور العاوم والهنون ومهما علا مقامها في سماء الارتقاء العقبي لا يمكنها التخلص من برائن الهوى ما لم تكن مطيعة للقدانون الرباني ومتمتمة بقوة الإيمان ، ولا بد أن يكون عليها من سلطان الأصول النفسية ما لا تطيق معه الصبر عما تألفه وغيل إليه ، وإن بينت لها مضاره أجلى من شمس النهار ، وحثت بالعلوم التجربية – أي مضاره أجلى من شمس النهار ، وحثت بالعلوم التجربية – أي جثت بآلهة العقليين – شاهدة على مساوئه ومفاسده ، وعرضت عليها شهادة الاحصاءات – التي لا تكذب أبداً عند أهل الحكة في هذا المصر – وبرهنت آفاته وأضراره بالتجربة والمشاهدة .

ومن ذلك كله يتضح ويثبت أن بمث الحاسسة الخلقية في الانسان وتنشئة الضمير المحاسب فيه ثم تزويد عددًا الضمير من القوة بما يتغلب به على النفس الأمارة — كل ذلك أيس من مقدور العلم والحكمة ولا هو في طوف المقل والمنطق ، بل هو ما لا يحققه إلا الاعان وحده .

### إنتحي رامحض ارة الغربت

لشد ماتندهش المقول لما ترى من هذا الرق العجيب الذي حازته أمم الغرب في مبادين السياسة والتجارة والصناعة والحرف والملوم والفنون ـ وإنه ليخيل الما أن رق هـذه الأمم الغربية أبدي سرمدي ، وأنه قد قضي الأمر بدوام غلبتها واستيلاتها على المالم ، وأنها قد اختصت ـ دورت غيرها ـ بالحكم على البسيط الأرضي والسيطرة على عناصر الكون ، وأن قوتها قد بلغت من الشدة والرسوخ أن لا عكن استئصالها .

مثل هذا الطن قد غلب العقول في كل زمان بالنسبة إلى كل تلك الأمم التي كانت و الأمة الغالبة ، في زمانها . فقراعنة مصر وأمنا عاد وغود في العرب ، والكلدانيون في العراق ، وأكاسرة غارس ، والغزاة اليونان العالميون ، وماوك الروم الحاكمون على أقطار الأرض ، والهاهدون المسلمون الفاتحون للعالم ، والجنود التعرف على المضرمين للبلاد ، سكل أولئك قد مثل دور القوة والسيادة على مسرح هذه البسيطة . فأي من جاءت نوبته منهم ، صعد المنصة وأدهش العالم سكفعل الأمم الرافية اليوم – بما عرض من مظاهر

قوته ومشاهد ذهابه وإيابه في أنحاء الأرض . وكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها ، وقد سمع دوي شوكتها وحبروتها في ربوع الأرض على هـذا النحو ، وهكذا ارتاعت الدنيا لعظلمتها وخيل البها أن قوتها ان تزول . ولكنه لما جاء أجلها وقضى بزوالها الحاكم القوي الذي لا زوال لقوته أبداً ، عثرت عثرة لم ير لأكثرها وجود بعدها ، ولو أنه بقيت لبعضها آثار الوجود بعد ذلك ، فاتها هانت إلى درجة أنها خضمت لحكومها بالأمس وأصبحت محلوكة لمهاليكها في الغابر . ( قد خلت من قبلكم الناس وأصبحت محلوكة لمهاليكها في الغابر . ( قد خلت من قبلكم حن ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

ومن خصيصة نظام هذا الكون أنه لاسكون له ولا وقوف. فيناك حركة دائمة وتغير ودوران مستمر ، لابدع شيئاً يستقر على حال . فكل كون يتبعه فساد ، وكل بناء يصحبه خراب ، وكل ربيع يتلوه خريف ، وكل سمود به حده هبوط ، وهكذا على المكس ، فأنت ترى حبة مستصغرة تذروها الرباح اليوم من مكان إلى آخر ، وغداً تتأصل هذه الحبة في الأرض ، وإذا هي شجرة باسقة الفروع ، تم تذوي هذه الشجرة بعد عد فتسقط وتندفن في الأرض ، فتنادرها القوى الفطرية المنشئة لتغذي بذرة أخرى . في الأرض ، فتنادرها القوى الفطرية المنشئة لتغذي بذرة أخرى . وهذا كله من عمل الرفع والخفض الجاري في هذه الحياة . فاذا ما رأى المره حالاً بعبنها من الحالين تستمر على كائن لدة طويلة ، ما رأى المره حالاً بعبنها من الحالين تستمر على كائن لدة طويلة ، هبوط فلا بد أن يبقى هبوطاً أبداً ، وإن كان صعود فلا بد أن

يظل صعوداً أبداً . ولكن كل ماهنالك من فرق بين الحالتين هو من حيث التقدم والتأخر ، ولا خلود لأيتها أبداً . (وتلك الأيام خداولها بين الناس ) .

لا تزال أحداث هذا العالم تجري وتتحرك فيا يشبه حركة دورية. فالولادة والموت والشباب والشيخوخة والقوة والضعف والربيع والخريف والنضارة والذبول ، كل أولئك وجوه مختلفة لتلك الحركة الدورية . وتبما لهذه الحركة تطرأ على كل كائن رحسب فوبته حال من الاقبال ينمو في أثنائها ويزكو ، ويظهر من نفسه القوة والشدة وبسرض مابتهم به من جمال وبها ، حتى يبلغ ذروة رقيه وكاله . ثم تعقب ذلك حال من الإدبار ، فينتقص فهما ذلك الكائن ويذوي ، وبأخذه الضعف والاضمحلال ، حتى فهما ذلك الكائن ويذوي ، وبأخذه الضعف والاضمحلال ، حتى تقضي على وجوده نفس الفوى التي كانت ألشأنه .

ثلث سنة الله في خلق ، وهذه السنة كما في جارية في سائر الموجودات ، هي جارية أيضاً في الانسان ، سواء في حالته الفردية أو في حالته الجاعية القومية ، فلا يزال العز والله ، والصحير واليسر ، والسمود والنزول ، وما إلى ذلك من الحالات ينتاب الأفراد والأمم الحنلفة وفق تلك الحركة الدورية ، فنطراً على الجميع كل هذه الأحوال بالنتاوب ، وابس منهم من حرم في هذه القسمة للأبد ، ولا منهم من احتص بدوام حالة واحدة عليه للأبد ، صواء أكانت حالة الاقبال أم الادبار : ( سنة الله في الذين خلوا من عبل ولن تجد لهنة الله تبديلا ) .

وإنا انرى البوم على كل بقمة من بقاع الأرض آثار الأمم التي وصناعتها وحذقها وكهال فنها وبراعة بدها مايدل على أنها لم تكن بأهون من هذه الأمم الراقية النالبة في زمانها، بل الحق أنها كانت أقوى وأغلب من هذه على الأمم الماصرة لها في ذلك المصر : (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر نما عمروها)، ولكن ماذا كان مصيرها ، إنها انخدعت بما وجدت نفسها فيه من حالة الاقبال ، وغرتها النعم وفتنتها الرفاهية ، فتكبروا وتحبيروا لما استنب لهم من القوة والغلبة ، فأخذوا يظلمون أنفسهم عا يرتكبون من سيئات الأعمال: ﴿ وَاتَّبِعِ الذَّبِّ ظَلْمُوا مَا أَرْفُوا فَيْهِ وكانوا مجرمين ) . وقد أمهلهم الله تعالى على رغم تمردهم وعصيانهم ( وكأين من قرية أمليتُ لها وهي ظالمة ) ، ولم تكن هذه المهلة بيسيرة ، بل أمهلت بعض الأمم مدة قرون متوالية ( وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) ، ولكن كل مهلة أمهلوها أصبحت لهم بلاء من ربهم جديداً ، إذ زعموا أنهم قد عاجزوا الله بمكرهم وتدبيرهم ، وأن الحكم والأمر في هذا العالم ليس بيد الله بل بيدهم . وهنــالك هاج غضب الله فالصــرفت عنايثه عنهم ، وأعقب عهد إقبالهم عهد الحقول والإدبار: (ومكروا مكراً ومكرة مكراً ، وهم لا يشمرون ) . وإن المكر والتدبير الإلهي لا يواجه المرم من أمام ، بل هو ينبعث من داخل الانسان نفسه، فيسري إلى ذه:ه وقلبه ليعمسل عمله ، فهو يثبت على عقل المرء وشعوره وتميزه وفكره وحواسه ، فيسلب عيني عقله وبصيرته النور ، ويجله مكفوف البصيرة لامكفوف البصر: (فإنها لاتحمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) . وإذا افتقد المر فور قلبه الداخلي ، فكل تدبير يدبره لمصلحته بأتي على عكس المقصود فيضر ، وكل خطوة يخطوها نحو غاية النجاح تقوده إلى مهوى الهلاك ، وتعصى علبه جميع قواه ومقدراته إلى أن تخنقه بداه هو نفه ( فانظر كيف كان عاقية مكرهم . إنا دمرناهم وقومهم أجمين ) .

إذا نجد صورة متكاملة لتناوب هذا الاقبال والادبار على الأمم في قصة آل فرعون وبني إسرائيل ، وذلك أن أهل مصر الم وصلوا إلى قمة الرقي ، أخلدوا إلى الظلم والمدوان . فادعي كبيرهم فرعون : أنا ربكم الأعلى ، وجعل بعذب وينتقم من أمة ضعيفة حدين بني إسرائيل ـ استوطنت أرض مصر أيام النبي بوسف عليه السلام ، فلها بلغ عدوان فرعوت والأمة المصرية نهايته ، قضت مشيئة الله أن تحضد شوكتهم وترفع نلك الأمة المستضعفة حضت مشيئة الله أن تحضد شوكتهم وترفع نلك الأمة المستضعفة في بني إسرائيل ـ التي كافوا محتقرونها ، فتحقق ماأراد الله ووالد في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه السلام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المام . ومهد التدبير الالهي في بني إسرائيل النبي موسى عليه المامات ، والكنه لم ينتصح . ثم جاء فرعون وقومه من في مهم إنذار بعد إنذار عالمهم المامات ، والكنه لم ينتصح . ثم جاء فرعون وقومه من ديهم إنذار بعد إنذار عالمهم المامات ، وتكرر علمهم

الطوفان ، ونزل عليهم اللم ، وأكل حرثهم الجراد ، وآذتهم كثرة القمل والضفادع . واكن كل ذلك لم بنقص شيئاً من عنوهم وكبريائهم : ( فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين) . ولما تمت الحجة عليهم ، قضي الأمر بتزول العذاب الالهي. فخرج موسى عليه السلام مع أمنه من مصر بإذن الله ، وأغرق فرعون وجنوده في الم ، وسقطت القوة المصرية بذلك سقوطاً لم تنهض منه مدة قرون : ( وأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الأمة على الصريين ، فوض الها الحاكم الحقيق لهذا الكون الأمر ، سدما كانت دايلة محتفرة فيها : ﴿ وأورثنا الذِّن كَانُوا يَسْتَضْمُمُونَ مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فهما وتمت كلة ربك الحسني على بي إسرائيل عا صبروا ) وفضلها على جميع أمم الأرض (وفضلناك على العالمين ) . ولكن هذه الفضيلة والوراثة الأرضية كانت منوطة بالممل الصالح ، فقال الله تمالي على لسان موسى عليه السلام : إنكم ستورثون الأرض ولكن الله سيرى كيف تعملون . وهـ ذا شرط لم بخنص به بنوا إسرائيل وحـــده ، بل تأزمه كل أمة تمنح حكومة الأرض : ( تم جلناكم خلائف في الأرض من بمدهم لننظر Zie instell).

طها عصى بنو إسرائيل ربهم ، فحرفواكلام الله واستبدلوا بالحق الباطل واتبعوا سبيل الكذب والخيانة وأكل الحرام وغدر المهد ، وأصبحوا عبدة الفضة والذهب ، طهاعين ، جبناء ، محبي الراحة والرغد ، وقتاوا من بينهم الأنبياء وعادوا الفائمين بدعوة الحق ، وأمرضوا عن أثمة الخير وأطاعوا أثمة الشر ، ازورت عنهم عين عناية الله فترعت من يدهم ورائمة الأرض وجنماوا رمية المهام جبابرة المراق واليونان والروم ، وأخرجوا من ديارهم ليتسردوا في أقطار الارض في حال بؤس وشقاء ، وحرموا من أن تستقر لهم حكومة إلى الابد . ومن امنة الله الا تجدون الانفسهم مكاناً كريماً في الارض ( وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الذة ) .

وان سنة الله هذه نراها تتكرر اليوم أمامنا ، فوبال الاعمال السيئة الذي ذاقته الامم السائفة قد أحاق اليوم بالامم الفريية ، وذاك انه قد أنذرت هذه الامم بكل وجه عكن الانذار . فآ فات الحرب العالمية ومشكلات الاقتصاد وازدياد المعطل وانتشسار الامراض الفتاكة وتبدد النظام العائلي ، كل أو لئك آيات بينات ، لو تأملوها العلموا أن كل ذاك ثمرة ظلمهم وعنوهم واتباعهم للشهوات وإعراضهم عن الحق . ولكنهم لا يجدون في هذه الآيات مايمتبرون به ، فلا يزالون يميلون عن الحق ، الحق ، وإذا هم تصدوا لمعالجة ما أصابهم فلا تصل أبصارهم إلى العالمة الرئيسية للمرض ، وإنما هم ينظرون إلى ظواهر المرض ويستفرغون العلة الرئيسية للمرض ، وإنما هم ينظرون إلى ظواهر المرض ويستفرغون جهودهم لمعالجتها ، وبهذا الخطأ البين في الملاج لايزال داؤهم يستفحل جهودهم لمعالجتها ، وبهذا الخطأ البين في الملاج لايزال داؤهم يستفحل كناعولج ، ومما تدل عليه الاحوال الآن أن مرحلة الانذار وإنمام الحجة قد كادت تنتهي ، وقد افتربت ساعة القضاء .

إنه قد سلط على الامم الغربية شيطانان قويان ، مجرانها إلى مافيه

الهلاك . أولهم شيطان قطع النسل والآخر شيطان القومية، فالشيطان الاول قد سيطر على أفرادها والآخر على أنهما وحكوماتها . وإن الاول قد قلب عقول رجالها ونسائها فجملهم يستأصلون أنسسالهم بأيديهم . إنه يعلمهم تدايير منع المجلل ويحضهم على تمعد الاسقاط ويلقنهم فوائد عملية التعقيم ( Sterilization ) التي يقضون بها على قوتهم التوليدية للأبد ، ويبعث فهم من القسوة والغلظة ما يجعلهم يقتلون أولادهم بأيديهم ، فهذا هو الشيطان الذي يدفعهم تدريجياً إلى الانتجار .

وأما الشيطان الآخر فقد سلب أكابر ساستهم وفادة حربهم قوة التفكير السلم والتدبير الصحيح ، فهو يبمث فيهم نزعات الاثرة والمسابقة والتنافر والتعصب والحرس والطمع ، وبذلك يقسمهم ويفرقهم شيماً متمادية متحاربة ، ليذبن بعضهم شدة بعض . وهذا أيضاً من صور النقمة الائمية (أو بلبسكم شيماً وبلذين بعضكم بأس بمض) ، فهو مهيئهم لانتحار عظم لايرتكبونه على مهل ، بل سوف بساقون اليه في آن واحد ، وقد جم هذا الشيطان ذخائر البارود في إلى المالم وأقام مراكز الخطر هنا وهناك ، فهو الآن ينتظر ساعة بسينها ، إذا ما حانت سيشمل إحدى ذخائر البارود تلك ، وإذا القوم بحل به هلاك وخراب سيمون في جنبه هلاك الامم الماضية .

وهذا الذي أقوله لا مبالفة فيه ، فان الاستعدادات الحربية التي لا تزال تباشر الآن في أوراً وأميركا والبابان للحرب الآثية ترسل هزة الزعر والخوف في تفوس أولي الابصار من تلك الامم نفسها ، وقد استطيرت البابهم روعاً لما يتصورون من تنائج الحرب الآثية . قيدًا

المستر سرجل نيومان ( Sergel Neumann ) الذي كان عضواً في الهيئة الحندية الاميركية سابقاً ، قد كتب مقالاً عن صورة الحرب الآتية ، يقول فيه : إن الحرب الآتية لن نقتصر على الجنوه المتحاريين، يل في ستكون إفناء عاماً لا تنجو منه النسوة ولا الاولاد ، ودلك أنّ عقول المله الكيمياويين ( Scientists ) قد زعت وظيفة الحرب والقتال من الجنود الانسانيين وفوضتها إلى المركبات الكيمياوية وآلات الحرب التي لا روح فيها ولا شمور ، والتي لا تميز بين محارب وعبر عارب ( Non - Combatant ) ، فالآل لا بتحــــارب الفريقان في الميادين أو في القلاع ، بل ستقع حرجها في المدن والقرى ، لان قوة المدو الاصلية - حسب النظرية الجديدة - لاتكون في جنودها يل في بلادها الممورة وأسواقها التحارية ومصانعها الصناعية ، فالآل سترمي كل هذه الاماكن بالقنابل من دوق ، التي سننقجر عن المواد المحرقة والغازات السامة وحراثيم الامراض التي نهلك آلافًا مؤلفة من الحموع الانسانية . ومن تلك القنابل فنبلة عظيمة تدعى ( Lewisite Bomb ) تكفي وحدها لتهدم أضخم عمارة من عمارات لندن . وهناك غاز سام يمرف باسم ( Green Gross Gas ) من خاصيته أن كل من استنشقه أحسكا حساس الغريق في الماء ، وغاز سام آخر يقال له (Yellum (iruss) خاصيته كسم الحية ، كل من استنشقه لتي من الاذى والحنف ما يلقماه مرئي ، فلا يحس المرء أثره بادىء ذي بدء ، وإذا أحسه فلا بكوت هناك إمكان لتدبير الملاج . ومن تلك الغازات غاز إذا وصل إلى علياء

وقد اخترعوا أخسيراً فنيلة مدفية كهربائية محرفة ، ولا يزبد وزنها على كيلو جرام واحد ، ولكن هذه الفنيلة الصغيرة تنطوي من القوة على مايدهش ، ودلك أنها إذا اصطدمت بشيء قولدت فها حرارة عقدار - - - مع فارن هبت ، تما يكون منه حرين لا يمكن أن بطفئه شيء ، حتى الماء لا يفيد في إطفائه بل هو كالبترون يزيده تضرماً . ولم بنجح علم الكيمياء بعد أن بجد مايطفا به هذا الحريق . وتما بنوون أنهم سيقذفون هذه الفنيلة على كبار شوارع المدن والعواصم ، حتى يضطرم فها دلك الحريق الهائل من جانب إلى آخر ، وإذا فزع الناس جذا السعير وحاولوا الفرار منه ألقيت على رؤوسهم قنايل الفازات السامة لدكي ابستكمل الردى والهلاك .

يهجم كل من الفريقين التحاربين على الآخر في آن واحد فهلك كليها معاً .

على كل حال قد اقترب الوقت لأن يدبر أمر الوراثة الأرضية من جديد ، وأن يسقط الظالموت المسرفون عن مقام الخلافة الأرضية ، وتسرف بها أمة أخرى ، لعلما أن تكون من الأمم المستضعفة ، فلينظر الناظرون من يقع عليه الانتخاب الإلهي في هذه المرة .

<sup>(</sup>i) What woode be the Charecter of a new world - war .

وإنا ابست عندنا وسيلة العلم بأنه أبة أمة ستقام في الأرض فيا بأتي ، فهذا فضل الله بؤتيه من يشاء وينزعه نمن بشاء : فيا بأتي ، فهذا فضل الله بؤتيه من يشاء وتنزع الملك نمن تشاء وتنزع الملك نمن تشاء ) ، ولكن هناك سنة الله في هذا الأمر أيضاً ، قد بينها في كتابه العزيز ، وهي أنه إذا صرع الله أمة لأعمالها السيئة أقام مقامها أمة لا تكون آغة منمردة كأختها المفضوب عليها: ( وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا بكونوا أمثالكم) .

ومن الظاهر على هذا ، أن الأمم المغلوبة المستضعفة التي هي عاملة اليوم بمجالات الحضارة الغربية في كل شيء ، وهي بدل أن تصطنع محاسن الأمم الغربية — التي بقيت فها قليلاً أوكثيراً — تحرص على اصطناع معايما ومساوثها التي هي مجلبة للغضب الإلهي عليها ، لا مجال لفوزها وغلبتها — مرة أخرى — فيا بنغار من الانقلاب.

## خطب اللور دلوشيس

إن الخطبة التي أاقاها اللورد لوثين بمناسبة حفلة فوريع الشهادات بجامعة عليكر في الأسبوع الأخير من بناير الماضي لجديرة بأن يتعمقها كل من أصحاب الثقافة الجديدة والقديمة من أهل الهند ويستخلصون منها العبرة والدرس ، فني هذه الخطبة قد كشف انا عما في قلبه وذهنه رجل لم ينظر إلى العلوم الجديدة وإلى مانتج عنها من الحضارة من بعيد، على هو قد نشأ في حضن تلك الحضارة وأنفق سنة وخمين عاماً من عمره في خوض غمارها ، إنه أوربي بالمولد والنسب وخريج جامعة أو كسفورد ، قد كان فيا مني رئيس تحرير بجلة معروفة كمجلة أو كسفورد ، قد كان فيا مني رئيس تحرير بجلة معروفة كمجلة أمور الدولة البريطانية منذ قريب من ٢٢ عاماً ، فهو على ذلك ليس أمور الدولة البريطانية منذ قريب من ٢٢ عاماً ، فهو على ذلك ليس بشاهد أجني ، بل هو من أهل بيت المدنية الغربية ، وهو بحدثنا عن هذا البيت وبخبرنا ما هي المفاسد الحقيقية التي قد سرت في جنبانه ، وما هو منشؤها ، وإلى أي شيء يتعطش أفراده الآن في الحقيقة .

 ليست كلم النرباق خالصاً ، بل هي تحمل في ثناياها كثيراً من السم ، وأن الذين انخذوا منها المعجون الشافي واستعملوه طوال القرون هم بأنفسهم بندروننا في أمره ويجنعوننا من تناول المقدار الوافي من هذا المركب بقولهم : إن هذا قد استدرجنا إلى شفا الهلاك ، فلا بد أن بفضي بكم أيضاً اليه ، وإننا بأنفسنا نحتاج اليوم إلى ترياف خالص، ومع أننسا لا نعلم بالتحقيق أين هو ، ولكنا نظن آنه موجود عندك ، فإياك أن تلقوا بتريافك هذا إلى الرياح ، ونتهافتوا على لذة معجوننا المسموم .

ومن ناحية أخرى تنضمن هذه الخطبة كثيراً من العبرة والموعظة المامائنا والطبقات الدينية منا ، فانهم على أن يتبينوا منها : أي نواحي التعليم الاسلامي هي التي يجب أن نوضح وتخرج إلى النور لهذه الدنيا التي هم يعيشون فيها ، إنه لما تول هذه الدنيا تجرب حضارة المذهب المادي مند قرون ، وقد أرهقتها هذه التجربة ، وإن حربة الفكر وروح التحقيق التي أعطينا أهل القرب تراقها قبل قرون قد خلطه القوم بأنفسهم بسم الملادينية ولمادية بغير علم ، وهيؤوا باختلاط هذا وذاك مركب حضارة جديدة ، وقد ظلت عناصر التراق في هذا المركب تصعد بالقوم في سلم الحجد والرقي ، ولكن عناصره السامة أيضاً بقيت تعمل عملها في أثناه ذلك حتى تقلب أخيراً تأثير هذا الم على المنصر الصحي منه ، وأصبح أهل الغرب ، بعدما ذاقوا النتائج المرة لهذه الحالة طويلا ، بتطلمون إلى ماحولهم ليجدوا مزيداً من ذلك الترياق ، وإنهم لاشك قد علموا أي أجزاء مركبهم هي من ذلك الترياق ، وإنهم لاشك قد علموا أي أجزاء مركبهم هي

السامة ، وقد جربوا أيضاً التأثير الواقع في حيانهم لتعامل تلكالاجزاء: وقد عادوا كذلك يشمرون شموراً واضحاً بأنه أي نوع من الترياق هم يحتاجون اليه لحسم تلك الآثار السامة ، واكن الذي لا يعلمونه هو أنه لا يوجد ذلك الترياق المطلوب إلا عند الاسلام ، وأنهم لن ينالوا الجرعة من هذا الترياق إلا من تلك الصيدلية التي تناولوا منها الجرعة الاولى منه ، فلو أن القوم يظلون يتيهون الآن في طلب الترياق حتى بعد كل هذا الشعور باحتياجهم اليه ، ويروحون يسممون المالم بسم حضارتهم اكونهم لم يجدوا الترياق ، فان علماء الاسلام لابد أن بكونوا لا تصلح – وايم الله – لان ينهمك فيها علماؤنا في مسائل اللاهوت وما بعد الطبيعة وفي المناقشات حول الجزئيات الفقهية ويتركوا ما هو أكبر وأهم ، وإن المسائل من مثل : هل أوتيرسولالله - عَلَيْنَا -علم النيب أم لم يؤت ؛ وهل يقدر الله تمالي على أن يقول الزور أم لا ؟ وهل من الممكن أن يكون نظير لرسول الله ؟ وما حكم النريمة في زيارة القبور وإيصال النواب إلى الاموات ؛ وهل محب الحمر بكلمة آمين خلف الامام ورفع اليدين في الصلاة أم لا ؟ وكم يجب أن يكون بين المنبر والحراب في المسجد ؟ إن هذه وما شــــاكلها من المــائل الكثيرة التي لا تزال الشغل الشاغل لهداتنا الدينيين وهم يضعون حلها والتصفية في بابها لم يكن لينني في شيء عن تصفية أمر الصراع الجبار القائم بين الضلالة والهدى في العالم كله ، فالضرورة الحقيقية اليوم هي أن نهيم نلك السائل التي قد نتجت عن بقاء العلم والمدنية بترعرعان في حضن اللادينية وإنكار الوجود الإلهي على طول القرون ، وأن تدرس دراسة تحليلية عميقة ، ثم يعرض حلها على ضوء مبادى، الإسلام . هذا هو واجب الساعة ، ولئن لم يتأهب علماء الإسلام للقيام به ولم يبذلوا لذلك جهدهم فان جميع نئك الأزمات التي قد واجهت بلاد القرب إلى الآن قد أخذت نظهر بكل شدة في كافة أفطار السلمين وفي وطننا الهندي أبضاً ، ولما لم يكن مهياً هناك الحل السائب لنلك المصلات ، فن المسلمين وغير يكن مهياً هناك الخل السائب لنلك المصلات ، فن المسلمين وغير قد زاولها الغربيون الذي هم بأنفسهم مرضى ، ولم بعد الأمر إذن قد زاولها الغربيون الذي هم بأنفسهم مرضى ، ولم بعد الأمر إذن يختص الآن باوربا وأميركا وحدهما ، بل هو أصبح بمس وطننا نحن وأحمالنا القادمة أبضاً .

لهذه الأسباب كلما نود أن بطالع خطة اللورد لوثين هذه كل من رجالنا المتقفين وعلمائنا الدينيين بوعي وتفكير . وإنا نسرد فيا يلي أجزاء من هذه الخطبة وسنوضع في أثنائها بعض مطالبها حسب الضرورة تسهيلاً للقراء في الوسول إلى مغزى الكلام .

إن اللورد لوثين يبتدى. بحثه بالكلهات الآنية :

د هناك أمر آخر يطلب البحث والدرس ، أريد أن ألفت نظركم البه ، وهو أنه هل بمكن للهند أن أسلم من مضرة التعليم العقلي السانتيفيكي لهذا العصر ، تلك المضرة الشديدة التي قد أصابت أوربا وأمير كافي الوقت الحاضر . إن المم الحديث في الغرب قد أدى إلى أمرين عظيمين: فني المناب قد وسع هذا العم سيطرة الإنسان على الفطرة وقواها ع وفي جانب آخر قد أضعف سلطلان الدين الموروث على الجيل المتخرج من الحامعات وعلى سائر الناس على المعوم ، وكل ما يوجد اليوم من المفاسد في هذه الدنيا المعاصرة فإن تصفه على الأقل آت من هذين السبيعن . فالإنسان المتعلم قد كاد يسكر مشوة القوة والمقدرة الحائلة التي قد زوده بها العلم ( Science ) ، ولكنه لم يتقدم في سبيل الاخلاق مثل تقدمه في المدنية والعلوم ، عا يكون ضماناً بأن لا تستخدم هذه القوى لهلاك الإنسان ، بل الفلاحه ، .

قد أشار الخطيب الفاصل في هذه المقدمة لكامنه إلى مسألة جوهرية من مسائل الحضارة والتمدن الإنساني ، وهي أن العلم ( Science ) من حبت هو علم لا يمدو أن بكون ولوعاً بالبحت والتحقيق والتنقيب والاجتهاد ، يطلع الإنسان بعقله على القوى السرة لحذا العالم الطبيعي وجبي الوسائل لاستخدامها . وهسنده القوى المرة الجديدة التي يمتلكها الإنسان برفي هدده العلوم إذا أخذ يستعملها في حياته العملية اليومية فذاك يقال له رقي المدنية ، ولكن هذب الأمرين في ذاتها لا بضمنان فلاح الإنسان وسعادته ، إذ أنها كا يكونان سبباً لفلاحه قد يكونان سبباً لهلاكه . ولئن كان الإنسان قد صار يعمل بالكنة بدل أن يعمل بيده ، ويقطع المسافات بالقطار الحديدي والسيارات والسفن البخارية والطائرات بدل أن يقطمها الحديدي والسيارات والسفن البخارية والطائرات بدل أن يقطمها

على ظهور الأنعام ، وصار نظام بريده مجري بآلات البرق واللاسلمكي بدل محطات البربد القديمة ، فليس معناه أن الإنسان قد عاد أسمد وأرضى عما كان في الغابر ، لأن هذه الأمور كلما كما قد تزيد في سمادته ورخاله قد زید أبضاً في نكبته وهلاكه ، وإن دور المدنية الذي لم يكن يملك فيه الإنسان من آلات الحرب إلا الرمح والسيف ، لم يكن يضمن من أسباب الهلاك والدمار ما يضمنه هذا التمدن الذي قد اخترع الانسان فيه من تلك الآلات المدافع الرشاشة والغازات السامة والطاثرات والغواسات . أما أن يكون رقى العلم والمدنية مبث السمادة أو سبب النكبة والهلاك فالأمر موقوف على الحُضارة السائدة التي بتم في ظلها ارتقاء الملوم والفنون والمدنية والتحضر ، وإن الحضارة في التي نبين في الحقيقة طريق الارتقاء ونحدد غابة أعمال الانسان ونعين كيفية الانتفاع بما يكتشف الانسان من القوى ، وهــــــ هي التي تقرر توعية الملاقة بين الناس ، وهي التي تضع المبادي، للحياة الاحتاعية ونسن قوانين الأخلاق في دائرة الشؤون الفردية والفومية والدولية ، وبالجُملة ان الحضارة هي التي تؤهل الذهن الانساني للحكم في أمر القوى الحاصلة مفضل رفي العلم بأنه كيف بدخلها في نظام مدنينه ولأي عرض وبأية صورة يستخدمها وماذا بختار من وجوه استمالها الحتلفة وماذا يرفض . وإن مشاهدات العالم الطبيعي ( Physical World ) ومعلومات القوانين الطبيعية لاعكن أن تكون أساسا لحضارة سامية، لأن هذه الشاهدات والمعلومات لاتجمل الانسان إلا في منزلة حيوان

عاقل ، ولا تعين إلا على أن تتخذ للحياة تلك النظرية التي هي نظرية الماديين ، وهي أن الانسان تنحصر حياته كلما في هذه الحدنيا ، وغايته النهائية أن يحقن رغباته الحيوانية في هذه الحياة بأكثر مايكون من الجودة والكال ، وأن الوجه الحقيق لاستمال القوة هو أن بنسجم الانسان مع مايجري في هذا الكويت من قانون الننازع لليقاء والانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح فيتخضع ويهين كل من حوله من الخلائق ويتفلب عليهم . فالحضارة التي اتخذتها أوربا كانت تقوم على هذه النظرية للحياة ، وكان من عاقبة الأمر أن جميع لقوى التي تسليح بها الإنسان بقضل رقي العلم والنمدن غدت تستعمل لهلاك الإنسانية لا لسعادتها وفلاحها ، وعاد أهل الفرب أنفسهم يشعرون بأنهم في حاجة إلى حضارة إنسانية أسمى عا ه فيه من الحضارة الحيوانية ، وأنه لا يمكن أن يكون أساس تلك الحضارة المطلوبة إلا الدين .

يقول اللورد لوثين بمد ذلك :

و لا ريب أن الروح الملية التحقيقية ( Scientific Spirit ) قد بددت الأوهام القديمة شيئاً فشيئاً ووسمت دائرة المن وحررت بذلك الرجال والنساء من كثير من الأغلال التي كانت عليهم من قبل ، ولكنها من عدًا كله قد تركت الإنسان شديد الافتقار إلى الحق والمسدق في باب الروحانية والدين ، ولم غيد له طريقاً للوصول إلى ذلك الحق ، فحال الأكثرة من أهل النرب الآن أنهم كالصغار مغرموت بسرعة النقل وإتيان الأعاجيب والتلاة

باللذات الحسية ولم يعودوا أهلاً لأن يحيوا حياة صاذحة طبيعية ولم يبق هناك من صلة — فعلاً بينهم ويين الله الحقيقة الأزلية الآبدية اللانهائية التي يعرضها الدين .

وإذا البرى الآن من نتائج زوال سلطان الدين وهو هادي الإنسان الذي لا مندوحة له عنه والوسيلة الوحيدة لنجلية الحباة الانسانية بالهدف الأخلاق والدرف والمنوبة الله الدنيا الغربية قد كافت بنلك الذاهب السياسية التي تقوم على مفارقات النسل والطبقية ، وآمنت من بين وجوء العلم ( Srience ) الحقلفة بذلك الوجه الذي يستهدف الرفي المادي وحده ، والذي يجمل الحياة الانسانية متعقدة مستثقلة جوماً بعد يوم ، ومن نتائج ذلك أيضاً أنه قد أصبح من الصعب الأوربا البوم أن تخلق بين حياتها وروحها من التلاؤم ما بنقذها من أكبر آفات هذا المصر وهي القومية الضيقة ،

ويوجه اللورد أوثين بعد ذلك سؤالاً إلى أصحاب الثقافة الجديدة من أهل الهند يم فيقول :

 هذا السؤال ، وما من شك أن روح التحقيق ستمحو رويداً وويداً عناصر التوهم والجاهلية التي هي منتشرة في عامة أهل الهند إلى الآن ، وسيكون ذلك حسناً ولكن هل لا بؤثر ذلك في أذهان الذين سيكونون في المستقبل زعماء الحياة السياسية والمدنية والصناعية في الهند ولا بنزع منهاكل ما لها تين الديانتين من المبادىء الحلقية والقيم الروحية ؛ إني لا أدعي المعرفة بدخائل حياة الديانة الهندكية والاسلام ، ولكنه نجيل إلى أن كلا منها تضمت في ذاتها على حدة تلك المناصر التي ستجملها قوية على استبقاء سلطانها على حدة تلك المناصر التي ستجملها قوية على استبقاء سلطانها في هذا الأمر لبعض القيود الاعتقادية الخاطئة التي حجبت ما كان لزعم هذه الديانة الحليل من التعالم الصادقة الحقة ،

إن اللورد اوئين - كما اعترف ينفسه - لا يعلم في الحقيفة شيئاً عن الديانة الهندكية والاسلام ، وإنما لمح من بعيد لأشياء في الديانة الهندكية وأخرى في الاسلام قد تنجح - في رأيه - في استيقاء الطبقة المثقفة مؤمنة عيادى، الأخيلاق والروحانية العليا بازاء النقد والتحقيق الجديد . ولكن الذين لهم معرفة تفصيلية داخلية بهائين الديانتين بل بجميع الديانات في الهند لا يخفى عليهم أنه إن كان هناك دين عكن أن يثبت في وجه روح النقد والتحقيق العصري ، بل بعبارة أسح عكن أن يتقدم عتبعيه إلى الأمام بتلك الروح ويصبح بعبارة أسح عكن أن يتقدم عتبعيه إلى الأمام بتلك الروح ويصبح دين النوع الانساني بأكله في عهد الرفي والنور فيا هو إلا الاسلام، وهل رأيت لماذا أخفقت النصرانية في الغرب ، لأنها لبست عذهب

اجماعي ( Social ) بل عي ضد الاجتماعية . أنها لا تصني إلا بنجاة الفرد ، وإن السبيل الذي قد اقترحته لنجاته هو أنْ يعرض عن الدنية ويولي وجهه شطر الملكوت المهاري . وهذا هو السبب في أنه لما سارت الأعم الأوربية خطوات في سبيل الرقي قالت النصر الية تعارضها بدل أن تحفزها على السـير . واضطر القوم اكي بمضوا إلى الأمام إلى أن بحطموا قبود هذه الديانة . وءثل هذا هي حال الديانة الهندكية . فانه لبس بيدها أبضأ فلسفة ناهضة ولا قانون خاقي مستند إلى المقل ءولا نظام اجتهاعي قابل للتوسع والشمول . إن العامل الأقوى الذي قد لم " شمث الامة الهندكية إلى الآن في دائرة نظام احماعي ومنحا من النأثر بالحضارات الأخرى هو نظام طبقات النسب ( Caste System ) فيها . ولكنه من المحتوم أن تنحل فبودهذا النظام إذا مااحتك بروح النقد والتحقيق المصري وستنحل لا محالة . وإذا حدث ذلك فلن يكون هناك ما يمنع المجتمع الهندكي من التمزق والانحلال ، وستمود إذن أبواجا القفلة إلى الآن مفتوحة على مصراعها المؤثرات الخارجية . ثم إننا ترىمع ذلك أنما عند الهنادلاسن والأخيلة الفلسفية التي لا تستند إلى المقل أوالم ، لا عكن كل ذلك أن يتبت أمام الرقي الملمي والوعي الاجتماعي لهذا العصر . وعلى هـــذا كله تتقارب الأمة الهندكية يوماً فيوماً إلى مفرق طريقين سيقضى لديه أمر مستقبلها ومستقبل القطر الهندي إلى حد بعيد .

فإما أن تبقى هذه الأمة ثابتة على ذاك التعصب الشديد على الإسلام - ١٨ - نحن والحضارة م - ٢

الذي كان غلب الأوربيين النصرانيين عند الهضة الملمية في أوربا ، فتُسقط الإسلام عن اعتبارها وتتبخذ سبيل الحضارة المادية كالذي كان فمل أهلأوربا من قبلها ، وإما أن نقبل الإسلام ويروح أفرادها بدخاون في دين الله أفواجا.

ويتوقف الفصل في هذه القضيــة - إلى حد بعيد - على سلوك المسلمين الهنديين ءوبالأخص التعامين ذوي التقافة القديمة والجديدة منهم وذلك أنه لم يكن الاسلام ليأتي المجزات بمجرد اسمه ، ولا يمكن ظهور المحزة من مبادئه ما دامت مكتوبة في الأوراق وكفي . إنّ النشتت والخطأ المعنى الذي لا يزال عليه المسلمون الآن، وإن الجود الذي قد غلب علماءهم، وإنَّ التأثُّر والانقمال الانشـــوي الذي تظهر. من نفسها أحيالهم الناشئة المنعلمة ؛ [(ذلك كله عما لا يتوقع أن يستطبع معه المنتمون إلى الاسلام حتى النبات في موقفهم الحاضر ، دع عنك أن يفتحوا روح الحضارة الهندية ويغلّبوا الاسلام على القطر بأجمعه. وذلك أن ثبان جماعة ما في مكان واحد وسط تيار قوي من الثورة لمن غير المكنات إنمثل هذه الجاعة لا بد أن تتخبر بين أمرين : إما أن تنساق مع التيار ، وإما أن نقوم قومة الأسد فتحول بقوتها وجه التيار , وهذا الوجه الأخسير لابيكن تحقيقه إلا بأن تصلح أولأ حالة المسلمين الخلقية على العموم وتبث فيهم روح الحباة الاسلامية ، وأن يتبادر ثانياً علماء الاسلام وأصحاب التعليم الجديد من المسلمين فيتدار سواءماً مسائل الحياة الجديدة ويتفهموها على ضوء مبادىء الاسلام » ثم محلوها من الناحية العلمية بصورة واضحة

مفنعة حتى يعترف كل امرى، سليم الفكر – ما خلا المنعصبين العميان – بأنه لا يمكن لغير الحضارة الاسلاميمة أن يكون أساساً سالماً محميصاً لتمدن ناهض -

إنه لا يزال يوجد في الهند إلى الآن تصور صراع العملم والدين الذي كان يسود في أوربا قبل خمسين أو ستين عاماً . ولكنه قد تفسير الوضع أخيراً في أوربا وقد كاد يتفير أيضاً في الهند الآكلة من فضالة المائدة الغربية ، وقد اقترب الزمان الذي سيزول فيه هذا التمصب على والدين ، من الناحية الملمية والمقلية على الأقل . ولكنا لن تنتعم بذلك الوضع إلا أثنكون مستمدينة من ذي قبل . وقد أشار إلى ذلك اللورد لوثين بكايات موجزة آئية :

ه إنه قبل ستين سنة كان يقوم بين العلم والدين صراع لا يرجى أن ينتهي أبداً . وكان بين النصور الروحي والنصور المادي للحيساة حرب شديدة مخيل إلى المرء أنها ان تنتهي قبل أن بقني أحد الجانبين فناء كاملا. ولكنه جاء الفريقان اليوم وقد ؛ صع كل منها الأوزار . قلا العالم الطبيعي (Scientist) ولا الرجل الديني بدعي الآن بجزم أنه قد وقل لحل لغز هذا الكون . بل الحق أنه قد صار كلاها بشك \_ عند تفسه \_ في أنه هل بعرف شيئاً عن هذا اللغز أم لا يعرف ومن ثم قد صار من المكن أن يعزج العلم والدين المتزاجاً كان من المستحيل في أوائل سنورة التحقيق العلمي ه

إنَّ اللورد لوثين لا يكاد يتحرر على كل حال من النصور المسيحي

للدين. ولم يبلغه ما جاء به الاسلام من تصوره الدقلي. لذلك فإن أقصى ما يفكر اللورد هو أنه من الممكن الآن أن يتم بين العلم والدين نوع من الامتزاج . ولكنا تمتبر هـذا الامتزاج بين العلم والدين شيئاً لا يعقل. لأنا نمتقد أن الدين الحقيق هو الذي لا يكون منفصلا عن العلم بل يكون منه عبرلة الروح والقوة الموجهة ، وأن الاسلام في الحقيقة دين من هذا الطراز ، وائن كان هناك ما يجمعه اليوم أن يكون روحاً في هيكل العلم فهو ليس بنقص داخلي فيه بل هو غفلة سبعيه ونجاهل أسحاب المسلم الطبيعي المصري و تعصيم الجاهني عليه ، ولو أنه يزول اليوم عن طريقه هذان العائمة فان يكون الاسلام إلا روحاً سارية في جسد العلم .

وقد بحث الخطيب الفاضل بعد ذلك أنه أي فوع من الدين يستطبع أن يقف أسام الوعي العلمي والنقد المقلي الذي طلع به هذا المصر وما مجب أن تكون مزايا الدين الذي يفتقر البه الانسان في عصر النورهذا، وما مي الطالب الحقيقية التي يلتمس الانسان لأجلها هداية الذين. وهذا الجزء من خطبته هو أجدر بالمنابة والامعان، فيقول اللورد:

و إن كنت لا أخطى، في تقدير الأوضاع الراهنة فان من الحقيقة أن الاختبار الذي قد تعرض له الدين في هذا الوقت ان يخرج منه فائزا إلا إذا اطمأن الجيل الناشى، بعد ما يجتحن نظامه الداخلي أنه يضمن الحل الأقوم لكل ما يواجهه في الحياة من المسائل المعلية والمشكلات المزعجة المتعقدة. وذلك أن النحلة الشخصية قد مدى زمانها. وان الديانة الماطفية المحضة أبضاً لم تعد طلبة أحد الآن وقد انتهى كذلك عهد ذلك الدين الذي

لا مدىءمن بال الفرد ولابشد أزره إلا بأن بعطبه تعالمات قليلة بشأر سلوكه الخاتي وبيعث في تفسه أملا في نجاة ان يتكشف أمرها إلا بعد المات. وإغا الانسان الملمي المصري بربد أن يتحن كل شيء حتى الحق والصدق على محك النتائج البينة . وإن كان عليه أن يتبع اللدى فهو يطلب أن يبين له الدين ماذا بيده من حل مسائل حيانه العملية . أما الأمل ف في التوصل إلى الملكوت المهاوي بعد احتياز باب الموت، فليس من الأمر الذي يدفعه إلى اعتناق الدين على أساسه وحده . انه يطلب من الدين أنَّ الوجود، وبهتدي إلى حل للمزَّه تطمئن اليــه النفس، وأنَّ ببين له تانيأ بإقامة البرهان على الصلة الواضحة مين الملة والمملول والسبب والنتيجة على النحو العلمي السانفيفيكي أنه بأي وحه بمكن الانسان أن يسخر تلك القوى التي قد انفلت من يده الآن،وقد حاءت تهدد نوعه بالهلاك والموار ببدل أن تنفعه ، و بأي طر بن ينظب على المفاسد الاحباعية المنتشرة فيبني جنسه كالبطالة ، وعدم المساواة والظلم والاعتداء والحرب والفتال ، وكيف بينع التنازع بين الأفراد وتبدد النظام المائلي ، الذي قـــد ذهب بياهيج الحياة الانسانية كلها .

إن الانسان لا يتطلع اليوم إلى الدين إلا بسبب أن العلم ( Science ) قد زاد في مشكلاته بدل أن يحلم . مهو مضطر لأن بطلب من الدين حلا لشبها ته ومشكلاته اضطراراً لم بعهد فيه من قبل . فإذا كان الدين يريد الآن أن يحتفظ بمكانته ويستعيد ما زال من المطانه فعليه أن يجبب

كل هذه الاسئلة جواباً روحياً بكول في الوقت نفسه علمياً سانتيفيكياً ، وعكن أن يجال وعكن أن يجال النتائج في هذه الدنيا ، بدول أن مجال ذلك على الحياة الاخرى بعد الموت . إننا \_أهل الغرب \_ نملم أن هذا هو السؤال الأخطر الأهم الذي قد و اجهنا في هذا المصر ، فهل باستطاعتكم \_ معشر أهل الهند \_ أن تجيبوه وتجدوا له حلا ؟ ع .

وإذا مر القارى، على هذا الجزء من خطبة اللورد لوثين فانه ليخيل البه أن هناك ظمآنا لا بعرف وجودالما، ولكنه بحسبكيفية ظمئه أصدق ما يكون من الاحساس. فهو بيضي ببين لنا أن أوام كبده يتطلب شيئاً يكون فيه هذا وهذا من الصفات. المو أننا نضع أمامه في هدف الحالة كأساً من الماء لصاحت فعار ته من الفور أن هذا هو التيء الذي يتحلس البه، ووثب نحوه ليشربه، وليس هذا يخص اللورد لوثين وحده، بل الامر أن الذين قدافعهم سعير الحضارة والمدنية الفربية في أورباو أميركا وسائر العالم، وقد جاوزوا الحافة الشجراء من محراء الفلسفة والعلام إلى قلبها الرمني القفر الذي لا ماء فيه ولا ظل، قد أصابهم جميعاً مثل هذا الاوام، وهم كلهم بتطلبون شبئاً بنك الصفات التي ذكرها اللورد لوثين ، وهم كلهم لا بعرفون اسم الماء ولا أن يوجدد، ولكنهم يصبحون الفينة بعد الفينة : و ظمىء الفؤاد فهاتها يا ساقي ! م

إن الماء لا رب قد سمع القوماسمه واكنهم برتاعون لهذا الاسم لمجرد أنهم لم مجدوا مساء الحقيق. وأما الذي قد بلغهم عنه من أسلافهم الجاهلين المنسبين فهو أن الماء شيء مسموم جداً يجب أن لا يقاربه أحد. ولكنهم

قد بلغ منهم التعطش أن لو يوضع أمامهم الدي، بذاته بدون أن بملن اسمه فلا جرم أن يصيحوا أن هذا هو الذي هم يظمأون اليه . ولو بقال لهم أنه هو ( الماء ) الذي كانوا جابون ذكره لقضوا المحب من هذا الخداع الذي قد انخدعوا به إلى الآن .

إن الإنان الملي المصري ، قد امتحن النصرانية وخبر ما عندها النصرانية قد تروقه وتسجر لبه الديانتان: الهندكية والبوذية ، الهلسفاتهما الخيالية الاسطورية والتعبدهما للقديم على الوجه التقليدي التاريخي ولكن فشل هانين الديانتين أبضاً يفتضح لاول استحاث النقد والتحليل العلمي ، فأما البوذية فشكاد تكون طبعة هندية للنصرانية . وأما الديانة الهندكية فهي تخلق بنفسها تلك المشاكل والعقد التي لأجل التنخلص منهسا يشعر الانسان الملمي المصري بضرورة الدين. فهي التي تشجع على عدمالساواة بين الانسان والانسان أكثر من غيرها،وتجمل المراباة واستثمار الاموال الذي هو أقبح صور السلب والنهب الاقتصادي جزءاً لنظامها لا ينفك. وتبقى على السبب الحقبق لقيام الحروب \_وهو التفريق بين الحجتمع الانساني عِفَارِقَاتَ الْحِنْسِ وَالنَّالِ ، وَمِنْ النَّافِرَةِ النَّسَلَّيَةِ بِينَ أَفْرَادُهُ \_ شَيْئًا مَتَأْصَلًا في أساسها لا يبرحه. فالنظام الذي قد قررته هذه الديانة للحياة الاجتماعية ليس من شأنه أن بصل بين الافراد الانسانيين ، بل هو يقسمهم على شق الاجناس والطيقات . وان قوانين اجتماعها تبلغ من الخلوقة والبلي بحيث قد اضطر أبناء البيوتات الهندكية النازلة من آلاف السنين أنفسهم أن

بلغوها في عصر الوعي العلمي والعملي هذا . ذلك بأن خلك القوانين لا تقوم على أساس من العلم والعقل ، بل تستند إلى العصبيات والاوهام. ثم إن هذه الديانة توجد أضعف وأفقر فيا وراء هذه المسائل الدنوية من مسائل اللاهوت والاخلاق فليس عندها مفتاح لفتح المغلق من حقيقة هذا الكون بطريقة مقنعة ، وعقائدها من جنس العقائد التي لا بطئب في بها إلا القبول والاذعان، ولا يمكن أن يثبت شيء من ذلك ببرهان علمي أو عقلي. وأما في نظام الاخلاق فلاشك أن الديانة الهندكية تقدم طلما من المفروضات الرائعة المحبة كما قدموا حداً منها في أيامنا هذه المباغاغاندي، ولي عصر الوعي العلمي هذا لا بد أن يفتضح فشله عما قريب ، إن لم وفي عصر الوعي العلمي هذا لا بد أن يفتضح فشله عما قريب ، إن لم بكن قد افتضح بعد .

ولا يبقى في المضهر بعد ذلك الا الاسلام . وهو الذي بشت على الحلك ويوافق كل معيار من تلك المعايير التي يطلبها فعلا الانسان العلمسي العصري ، أو يمكن أن يطلبها لدينه المنشود .

أما القول بأن الدين مسألة شخصية فقط ولا صلة له إلا بالضمير الفردي وحده ، فقد أصبح من خبر كان . إنه من جملة السخيافات الفكرية التي راجت في القرن التاسع عشر ، فلا ينفك يرددها في الهند في هذا المقد الرابع من القرن العشرين أو لئك المحافظون الذين قد شودوا السير خلف العالم على مسافة خميين عاما أبداً ، على رغم ادعائهم التجدد والنقدم . وذلك أنه قد أصبح أو كاد من المسلم به الآن انه لا يمكن نصور الفرد منفصلا عن الجاعة ، اذكل فرد إنساني قد ارتباط بفرد

آخر بمالا بحصى من الاواصر الكبيرة والصغيرة، وليس المجتمع في جملته الاكالجــم الحي يكون فيه الافراد بمثابة الجوارح والاعضاء. وان كانت هناك ضرورة الدين مهي ليست للفرد وحده الطمأنينة قليــه ونجانه بعد الهت ، بل هي للجهاء، كلها لكي تنظم أمرها وتدبر جميسم شؤون حياتها الدنيوية على سوء هدايته . وان انمدمت ضمرورة الدين فهي تنعدم للفرد أيضاً كا تنعدم للجهاعة . ومن التصور الصبياني السفيه أن يكون نظام الحياء الاجماعية على وضع وتكون عقائد الافرادو أعمالهم المدبنية على وضع آخر مختلف لا سلة بينها وبين ذلك النظام مملان العقائد والاعمال الدينية ان لم تكن مر نبطة بالحياة الاجتماعية برباط، فانها شيء عبث يخلو من كل فائدة . وليس ذلك فقط ، بل هي حربة أن تضمف وتضمحل في نظام اجباعي لا تنعامل مع أجزائه الاخرى. ومن ذلك لاعكن أن بكون الامر الاعلى أحد اثنين : إما أن بكون نظام الجماعة ا كلها لادينيا صرفا ويطرد الدين من حياة الانسان طرداً تاما ، كما هو مذهب الشيوعيين . وإما أن يكونالنظام الاجتماعي بأكمله دينيا ويعترف بكون الدين هادياً ومرشداً لكل من العلم والمدنية، كما يقتضيه الاسلام. واطالما حربت الدنيا الصورة الاولى منهما ، فنتجت عن هــده الشجرة الحبيثة تلك الثمرات الكربهة المرة التي قد ذكرها اللورد لوثين. وهذه هي التي كان بمكن أن تنتج عن تلك الشجرة فنتجت بالفعل وستنتج أبدأ فيا يستقبل. فليست نجاة الدنيا الآن إلا في الصورة الاخرى ويبدو أن غرصة ظهورها إلى حيز العمل لا تزال تتقارب يوماً بعد يوم .

ولكن الانتفاع مهذه الفرصة أو تضميما للابدكا مر متوقف على المسلمين . إذ مجرى الحوادث قد جاء بالدنياوبالقطر الهندي أبضاً اكونه جزءاً منها إلى موقف هام عكن أن تمبل منه إلى الاسلام ، كما يمكن ان تميل إلى المادية ودرك الفساد الخاتي الاسفل. وان سيلانهـما الآن بالطبع إلى هذا الطريق الآخر لكونها قد سارت فيه منذ رُمانٌ ، مع أنها خائفة مذعورة ، لا ترى من مهالك هذا الطريق ، وتردد نظرها في فــزع إلى الجهات الاربع لتجد سبيلا للفرار . ولكن سبيل الفرار والنجاة لاتراها عيونها هي نفسها لما يغشاها من ظلام التمصب . انها في الحق الي حاجة الان إلى رجال من أهل الاسلام ينهضون بالمزم والجد فيزمحموا النشاوة من أبصارها وببرهنوا لها أن صراط الاسلام المستقم هووحده سبيل النجاة مما هي فيه . إن مثل هذه الجماعة الهُبَهدة والحجاهدة لو تنبعث من بين المسلمين اليوم فانه بمكتهم أن يصبحوا قادة العالم باجمه، ويستميدوا مكانة العز والشرف التي كانوا علمها في النابر ، والتي يرون علمها اليــوم الانم الغربية فيتحلب ريقهم حرصاً على اتباعها . ولكنه إن بقي جمهور هذه الامة متقاعدين هكذا بضعف الهمة وخور العزيمة ، و بقي شبابهـــا هَكَذَا يَطْنُونَ عَلَيْهُ كَالْهُمْ فِي اقْنَيَاتَ فَضَــــالاتَ النَّبِرِ ، وَبَقِّي عَلَّمَاتُوهَا متشبئين كما هم الآن بالمناقشات المميقة حول مسائل الفقه والكلام التي قد ولى زمانها . وبقى من هوان قادتها وزعمائها السياسيين ومن حالتهـم الذهنية المتخلفة أن يظنوا السير في مؤخر ركب الامم الاخرى أعلى مراتب المزعة النضالية ويعتبروا دفع أمتهم إلى الخداع الاكبر منخدع

هذا القرن العشرين غاية الكياسة والحلكة .. وبالجلة إن بفي كل أجزاه هذه الامة ، من الابدي العاملة إلى الادهان المفكرة والنفوس الواعية، على تعطلها أو على تعسفها وحرقها ولم يتقدم من هذا الحشد العظيم المشتمل على مثات الملابيين من الافراد رجال قليلون قد تشمروا لمزاولة الحهاد والاجتهاد في سبيل الله ... فإن هذه الامة المسلمة أيضاً ستتبسم المدنيا إلى ما هي منحدرة اليه من المدرك الاسفل ونهوي في هاوية المملاك مشدودة بذيلها ، وسينادي القضب الالهي مرة أخرى :

ألا يُعداً للقوم الطالمين! .

## على عامش كناب

## النزاع بين في رق والغرب في تركيب

## ( مجموعة خطب السيدة خالدة أديب خانم )

زارت الهند في الماضي القريب الفاضلة المجاهدة التركية السيدة خالدة أديب خانم بدعوة من الجامعة الإسلامية ، وألقت بضع محماضرات في عاصمة دهلي ، قد قام بترجتها إلى اللغة الآردية أستساد الحامعة الفاضل الدكتور عابد حسين بعنوان ، النزاع بين الشرق والغرب في تركيا ، وزيد فيا بلي أن ننظر في هذه المجموعة من المحاضرات نظرة نقدو تحليل. إن في العالم الإسلامي الآن قطرين اثنين يتبوءان منصب القبادة بين مسلمي العالم باعتبارين مختلفين: هما مصر بالاعتبار المعنوي وتركيا بالاعتبار السيامي . أما القطر المصري فترتبط به الأمم الاسلامية بعلاقات أو ثق وأعمى ، لأن لفته هي العربية ، اللغة القوميسة المشتركة لجميم الأمم الاسلامية ، ولأن مطبوعاته تنتشر بين مسلمي السالم كله وعند نأثيره الفكري إلى الصين شرقا وإلى مراكش غرباً وثم هو الذي هو أكبر وسيلة للارتباط والتفاهم بسين المسلمين والتعرف على أحوالهم في مختلف وسيلة للارتباط والتفاهم بسين المسلمين والتعرف على أحوالهم في مختلف أقطار الآرض . وأما تركيا مخلاف هذا قلا ربب أن العالم الاسلاميكله

مجل وبكبر ما لهذه الأمة من حياة نضالية وماقامت بهمن الدفاع الجريء في وجه الحملات الفربية وما قدمته من التضحيات في سبيل العزوالشرف القومي ، ولحذاكله تحتل هذه الأمة بين المسلمين مكانة السيادة والقيادة، ولكنه مع هذاكله قد جاءت غرابة اللغة وفقد أسباب التفاه والارتباط حاجزاً قوياً بين تركبا ومعظم المالك الاسلامية ، وقد قلل ذلك من ممر فتنا بالارتقاء الفكري في الأمة التركية ، وبتركيم الله هني الحديث وبما أصابها من النطور في الناحية للدنية والسياسية والدبنية والعلميـــة . وقلما وجدنا الفرصة الكامية لأن نعبم - على الخصوص - كنه الأسباب الداخلية لتلك التورات التي وقمت في تركيا في المقد الناضي من السنين . فكثير من الناس من يتننا صاخعاو لاعلى الأتراك ، وهناك منهم من يظنو ل جهم حسناء ومنهم آخرون قد حملوا تغليد الأنزاك الغرب حجة لغزوعهم أنفسهم إلى الحضارة الفربية . ولكنه ليست المعلومات الوثوق بها في هذا الباب حاصلة عند أحد . وإن كان لدينـا بعض العلومات فهي لا تكفي لتفهم روح تركيا الحديثة .

في مثل هذه الفاروف نعد من حسن حظنا أن قد زارت وطنف وكشفت لنا عن باطن أمنها التركية شخصية لم تلعب على مسرح الثورة التركية دور المثلة فحسب ، بل كانت قوة من القوى المهيجة لنلك الثورة ، وقد حباها الله مجانب ذلك بالنظرة العلمية التحقيقية والفهم الفلسني والنعمق الفكري ، الذي تستطيع به هذه الفاضلة أن تفهم بنفسها الموامل الداخلية للأحداث الخارجية وتبينها أبضاً لنبرها من الناس. مهذه

أول مرة تسنح لناالفرصة فيها لأن نعرف تركيا معرفة محيحة عن طريق هذا المصدر الموثوق به . وقد حاولت هذه الفاضلة أن تربح لنا السترعن روح تركيا الحديثة وقد أحبرتنا بكل أمانة وصدق بأن الأمة التي لا تتولى قيادة العالم الاسلامي في المحيط السياسي فحسب ، بل هي عاملة على إحراز قيادتها الفكرية أيضاً ، ماذا حقيقتها الداخلية ؛ ومن أي المناصر تم تركيبها ؛ وما هي الأسباب التي قد زجتها إلى موقفها الحاضر ؛ وما هي وجهتها الآن وإلى أن تسسير ؛ فهذا المجموع الموثوق به من المعلومات مفيد لنا باعنبارات شنى . فليس من فائدته الوحيدة أنه قد تبلور لنا واقع الامة التركية كما هو ، بل من فوائده الكبرى أبضاً أننا تستطيع الآن أن نفيم روح ذلك الايحاء الذي لا تزال الكبرى أبضاً أننا تستطيع الآن أن نفيم روح ذلك الايحاء الذي لا تزال لناهرة من قبل تركيا فها أصع وأكمل ، وآنه قد أتبحت لنافرصة أخرى للتعمل في الأساب الداخلية لهذه الثورة التي قد بدت طلائمها في العالم الاسلامي الآن .

وقدل أن نمرف التركبا الحديدة بواسطة السيدة خالدة أديب خانم، محسن بنا أن نمرف السيدة نفسها حيداً. إنه لا شك في أن السيسدة التركية قلبها مسلم بكل معنى الكلمة ، فائض بالايمان ، الذي ينبغي أن نغبطها عليه لأنه إيمان امرأة مجاهدة (١) ثم لا تشوب أفكارها شائبة من نغبطها عليه لأنه إيمان امرأة مجاهدة (١) ثم لا تشوب أفكارها شائبة من

 <sup>(</sup>١) تفول مع الأسف ان الذي اطلعنا عليه من أحوال الفاضلة المركبة فيا بعد لم يدعنا شبت على هذا الرأي أيضا .

الا لحاد واللا دبنية . إنها تحب الاسلام ذاك الحب الذي بجب أن بعمر قلب كل امرأة خالصة الاسلام . ولكن كما أن فلمامسلم ايس دهنهامسلماً كذلك . إن السيدة أكثر تفافتها هو الثفافة الذربية الحديدة وأكثر ما درست من العلوم هو العلوم الفربية . ومن ثم فد نظرت إلى الدنياوالى الاسلام وامتها التركية بالمنظار الاوربي، وإن مدار كما الفكرية والنظرية قد انصاغت في قالب القرب . ولا ربب أن ما تكنه تفسيما من التزعمة الاسلامية والدرقية قد عارض إلى حد كبير سبطرة النزعة الفربية هذه على ذهنها، ومن تقيحة هذا التعارس بين النزعتين في ذهنها و قلبها أنه يوجد في أفكارها كثير من التوازن والاعتدال بخلاف غيرها من زعماه الامة في التوازن والاعتدال بخلاف غيرها من زعماه الامة التورين ، ولكن هذا التعارض بين قلبها وذهنها لم ينج السيدة من غلبة التورين ، ولكن هذا التعارض بين قلبها وذهنها لم ينج السيدة من غلبة التأثير الغربي .

أما معرفة السيدة خالدة بالاسلام فتبدو محدودة جداً، ولعلها لم تصرف من ساعات حبائها لمطالعة القرآن الكريم والسنة النبويةوالتاريخ الاسلامي عشر ما صرفت المطالعة الفلسفة الغربية وعدلوم التاريخ والعمران، ومن ثم زى أن أفكارها التي تلوح لنا من خلال محاضراتها لا شك نتم محسن الاعتقاد والانجان، ولكن ليس فيها من الفهم والبصيرة والتدبر شيء كثير.

فني خطبتها الآخيرة تقول السيدة التركية : و إن شخصية غاندي اغوذج كامل للاسلام الجديد ، فهذه الكلمة لا تخرج طبعاً إلامن لسان من لا يعلم ما الاسلام وما أرفعه عن النسبة إلى القديم أو الجديد، وكيف يكون انموذجه الكامل. إن من كان له نظر في مزايا السيرة الاسلامية وكان قد اجتلى الهائج الكاملة لهذه السيرة فلا علا عينه حتى أكابر أبطال التاريخ العالمي ع دع عنك غاندي أو أمثاله . ولا نقول هذا بدافع من المصيبة القوصة ، بل الأمر تثبته الحقائق التاريخية التي لا تجحد . غثل في ذهنك سير أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعلى المرتضى والحسين بن على يه وأحمد من حنيل وعبد القادر الجيلاني رضي الترتشلى عنهم وأرضاه ، ثم انظر بعين الانصاف من من وجالات التاريخ العالمي عندا الا نبياء عليهم السلام \_ يجدر بأن يوضع في مستوى هذه الشخصيات العالمية الرقيمة .

إن السيدة الفاضلة ترى في تركيب الزاج السياسي الاصة المهانيسة آثار كل شيء: من خصائص الجنس التركي الفديم إلى حضارة اليوفان و يغزنطة والروم حتى إلى ديمقر اطبة أخلاطون ، ولكنها لا تكاد ترى فيه آثراً لتعالم القرآن الكريم والنبي المربي التيليق . والحال أن الذي هذب أثراك البادية من آسيا الوسطى وكسام حلة المدنية والعمران وخلق فيهم السفات اللازمة لقيادة المدنيا معالقوة والمقدرة على غزو العالم ، ثم جعلهم قوة من قوى البناء والتعمير ، لا الهدم والتخريب ، النوع الانساني، هو خالدة أديب من آثر للاسلام في مقومات الجنس الشافي هو العدل والمساولة خالدة أديب من آثر للاسلام في مقومات الجنس الشافي هو العدل والمساولة في لا ترى في موقف شيخ الاسلام جمالي افتدي من السلطان سلم حين أراد قضر الاسلام في رعينه بقوة السيف فنعه شيخ الاسلام من دلك

فأذعن لا مره سلطان جبار كمثل سلم . لا ترى السيدة في أعماق هذا الوقف الجليل إلا شعور الفوسية الشائية وإلا التحمس لصون ومبادى الحكم الشائي ، بدل أن تجد فها آيات المدل الاسلامي ، ولا يخطر بيال السيدة أن فنوى الشيخ جمالي افندي كانت تحمل روح ( لا إ كراه في الدين ) وإن الذي جرآه على ذلك الإفناء في وجه السلطان سلم هوقوة اتباع الحق التي بيمتها الاسلام في قلب المره وأن الذي أكره السلطان سلم على الحضوع أمام فتوى الشيخ هو عظمة الدين الاسلامي وحدها .

إن السيدة خالدة تبدو ضجرة تما ترى في الطبقة الحاكمة الموجودة من حب التطرف والاستبداد والحرس على التنظيم الاحبساري للحياة الاحتباعية والتقليد القربي المفرط والتزغات المادية مم وخطتها المنحرفة في أمر اللدين. إنها تربد المتزاحاً معتدلاً من والحياة الفربية و و الحيساة التحرقية م وتربيد موافقة بين و المادية م و و الروحانية م وهي تعترف أبضاً بأن الاحتزاج الذي بضمته الاسسلام بين هائين النظريت بين للحياة هو الاحسن والا فوم . ولكنهاليست على بصيرة كالملة في الاسلام ، فلانعلم ما هي السورة السحيحة الدلك الامتزاج ضمن مبادي الاسلام وما هو خط القصد والاعتدال المستقيم بين جانبي الافراط والتفريط . على أنه إن خط القصد والاعتدال المستقيم بين جانبي الافراط والتفريط . على أنه إن تأملنا عاضراتها بصرف النظر عن آرائها الشخصية ، فإنا ترى فيها بياناً واضعاً سحيحاً للقلية تركيا الحديثة وميولها والا سباب التاريخية اتورتها . وهذا هو الذي نطابه .

إن الامة التركية \_ ونمني بها الاتراك المهانيين \_ دخلت في الاسلام في عصر بدأ فيه انحطاط المسلمين الفكري والذهني، فمانت فهم روح الاجتهاد وإن بقيت روح الحهاد ، وندر بينهم مفكرون متبصرون في الاسلام وعلماء متفقهون في الدين . فالحضارة الاسلاسة قد اضمحلت من الضمف، والفكر الاسلامي قد فارقه الروح. وأصبحث التلبة في التعريمة للنقليد الجامد الاعمى ، وتأصلت في محيط التمدن المناصر الطارئــة من الاعجمية والرومية ، وغلب على النصوف المذهب الاشراقي وعلى التفكر الغزعة الفلسفية . فلم يوجد بين المسلمين من يكتسبون المملم من القرآن والمنة مباشرة ، والاكثرية من العلماء تشتمل على الذين يحارون في ممميات الالفاظ وبشناون أنفسهم بمضلات الكلام ويثيرون الجدال حول الشرح والابضاح لآثار المنقدمين البوالي . والامراء يتبعون سيرة قيصر وكسرى ، والصوفية والهداة الروحانيــون خانون من روح التصوف الحقيقي لصدر الاسلام ، وقد عادوا بقلدون الرهبان وتاركي الدنيــا من النحل الاخرى . وفي العلوموالفنون تنطل سير المسلمين نحو الرقي وقد توقف ارتقاؤهم أو كاد في درب التحقيق والاكتشاف، وأصبحت أعلام الهبوط بادية في جميع المالك الاسلامية بعد كل ماسبق من الترفي والصعود إ فكانت بداية الاتراك في الناريخ الاسلامي إذا من فقطة ضعف أساسي. لقد قامت الدولة المثمانية تقريباً في الزمان الذي كان الارتقاء الفكري والنهضة الملمية قد أرهص بناؤه في أوربا. ومع أنَّ الاتراك المثمَّانيين، فعوا راية الاسلام عالية في الدنيا وألفوا مهابته في نفوس السلم بما هزموا أوربا

مراراً منكررة في القرنين أو أكثر منذ قيام دولتهم ، كانوا هم كذلك يسيرون في جهة الانحطاط كعامة الايم المسلمة في هذا الزمان ، وباالايم الاوربية التي تقابل الامة التركية في الميدان كانت تسير الخبب في طريق الرقي المادي والنقدم الفكري . وفي القرن السابع عشر انقلبت الاحوال، فقد بلغ من إحكام التنظيم المسكري و تضاعف القوة المادية والمنوية عند ايم الافرنج أنها هزمت الازاك المتخلفين هزيمة بينة لاول مرة في معركة سينت جوثرد . ولكن الامة التركية لم تتخذ المبرة بهذه الهزيمة فتابت سيرها في منحدر الهبوط، وقابع الافرنج سيره نحو الرقي والكال، حتى بلغت حالة الاتراك في جميم فواحي الاخلاف والدين والسياسة والمسلم والمدنية قرارة الضمة ، وأصبحت غلبة الافرنج أمراً ظاهراً السيان .

إنه في أوائل القرن الناسع عشر أحس السلطان سليم بهذا الضعف في الامة التركية ، فأخذ في إصلاح نظام إدارة الحكم ، وفي نشر العلوم الجديدة وتنظيم الجنود على النمط الحديث وترويج الآلات الحربية الاوربية ، ولكن الصوفية الجهال والملماء الرجعيين بمن ليس لهم نصيب من علم الدين وروحه فاموا بمارضون إصلاحات السلطان . فجعلوا تنظيم الجنود على الطربقة الغربية في حكم اللا دبنية ، وجعلوا لبس الزي الجندي الحديث في حكم التشبه بالنصارى وقد خالفوا حتى استعمال البنادة فأت الحراب لائن استعمال أسلحة الكفار عندهم إنم عظيم . وأساؤ واسحمة الملطان سليم وبثوا النفرة منه في نفوس الجمهور بقولهم إضه يسيء إلى السلطان سليم وبثوا النفرة منه في نفوس الجمهور بقولهم إضه يسيء إلى الاسلام بترويجه أساليب الكفار . فأدني شيمخ الاسلام عطاء الله افتدي

أن السلطان الذي و بعمل بخلاف القرآن ۽ لا بجدر بالبقاء على العرش . وفي آخر المطاف عزل السلطان سليم في سنة ١٨٠٧ م . وهذه أول مرة قدم فيها الزعماء الدينيون بجمالتهم وظلمة فكرهم النصور الخاطيء أرت الاسلام عائق الدفي ".

وكانت أوضاع المصر متغيرة اذ ذاك بسرعة , وكان الاثراك أكثر تعرضا من غبرهم من المسلمين لتأثير ذلك التغير ، اذ كانوا بقابلون الامم الاوربية وبقاومونها وجها لوجه . وكانت سلاتهم السياسية والمدنيــــة والتحارية مع امهالفرب عميمة حداً ، وكانت الامم الاوربية والنصرانية التابعة لهم نفسها تقبل تأثير الوضع الغربي بسرعة . ولكن زعماءالاتراك الدينيين الذبن كانوا صفرا من روح النفقه والاجتهاد وجاهلين فلتماليم الاسلامية الحقيقية أغمضوا عبونهم عن كل ذلك التغير والانقلاب ، وأكرهوا الامة التركية على آن لا تخرج \_ ولو خطوة \_ من حدود البيئة التي سانتهم منذ سبعائة عام . وتبع السلطان سليم السلطان محمود في الحسكم ، فحاول الاصلاح ، ولكن العلماء والمشايخ خالفوه مرة أخرى وبتذليل كثير من العوائق والصعوات تمكن السلطان في سنة ١٨٣٩ م من ترويج التنظيم المسكري الجديد في تركيا . ولكن العلماء لم يزالوا ينادون بان كن لحك الاصلاحات بدعة سيئة براد بها تخريب الاسلام ، وان السلطان قد مرف من الدين و ان النطوع في الجندية من هذا الطراق الحديث مفسدة لاعان المسلمين .

وكان هذا هو الزمان الذي أحس ميه أهل الفكسر من الاتراك بتخلفهم وهوانهم القومي . وأقبلوا يدرسون أسباب رقي الامم الغربيسة

ويطالمون علومها وآدامها ويممقون النظر في سور تنظيمها. وحاولوا أنَّ يدخاوا على قوانين دواتهم وشؤونادارتهم وأمور تمليمهم ونظام حربهم إصلاحات بستطيمون بها ان يسايروا الاسمالغربية في طريق الرقى. وكان هؤلاء – كما قالت السيدة خانم – أناسا قد أشربوا في قلوبهم الروح الاسلامية ، وكانوا مسلمين سادقين قلبا وذهنا ، وكانوا لاريب محسون بضعفهم ولكنه لم يغلبهم يوما شمور الذل والهوان أمام الغرب ، ولا كانوا برتاعون لفوه الفرب، ولا يقبلون كل ما يأتيهم منــه بدون تمييز . وإنمـــا كانوا جدفون الى ان يأخدوا من الثرب ماينفع ويفيد ، فيصلحوا بـــه تقائص أمتهم ودولتهم ويتمكنوا من بحاراة الامم الاوربية في مضار الحياة ، وقد قام هؤلاء فعلا بأصلاح نظام الدولة وتنظـم الحنود في ترسن السلطان عبد المجيد ، و بتوا روح الحياة في آداب أمتهم و فنحوا المدارس والكليات الجديدة ، وأخرجوا في مدة سنوات فلائل جيلا كان قام الاداة في شؤون النفكير والتدبر ، بجانب مايتصف به من محاسن الثقافة الاسلامية . وقد أبلت هذه الطائفة بلاء حسنا في عمل الاصلاح القومي على رغم المشكلات الداخلية والخارجية حتى عزل السلطان عبد العزيزفي سنة ١٨٧٦ . وكان من تمر ات هذا العمل الاصلاحي نبوغ الفادن الحربيين كممر باشا، والساسة المحنكين كمدحت باشا وأقطاب الادب والفكر الصادق الاسلام كنامق كال وعبد الحق حميد .

ولكن السلطان عبد الحميد الذي تلا في الحسكم حوّال مجرى هذه الحركة كلما الى جهة أخرى . فمدة الثلاثة والثلاثين عاما بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٩٠٩ ، التي جرت في أثنائها أمة شرقية أخرى – اليابان –

أشواطاً طوالا في حلبة الرقي قد أهلكه؛ هذا السلطان الانافي المفرض في إمانة روح الامة التركية وي منع رقيها العلمي والعقلي والمدني والسياسي والتنظيمي . ولا بلاثم هذا المقام لان ننقد اعمال هذا الرجل بشيء من التفصيل . وإنما نكتني بالاشارة إلى انه ضيع زمان البناء والتعمير الذي كانت كل ساعة من ساعاته ثمينة جداً في عمل الهدم والتخريب، وطوح بأجود العقول والاذهان من الامةالتركية ,وقد أزجى القدر اليهرجلا عبقريا كجال الدين الانفاني ولكنه لم ينتفع به وأضاعه . على أن أعظم الضرر الذي لم بنل الامة التركية محسب، بل شمل العالم الإسلامي فأطبة من سوء تدبير هذا الرجل هو أنه استفل سلطة الخلافة الدينية ونفسود الملماء والمشابخ الرجميين لنقض الدعائم اني أرساها الصلحوث الاتراك لعهم التنظيم، وصد" الارتفاء الفكري والادبي في الامة التركية والقضاء على الاصلاحات السياسية والنظيمية . وكان من ردفعل هذه الخطةالسلطانية القائمة على الاثرة وإهال المواقب ان تار الحيل التركي الناشيء ثورة عنيفة عادوا ممها يعتبرون الدين مانعاللرقي وينحرفون ذهنيا عن شرعة الاسلام وتحولت النفرة التي انبعثت في نفوسهم – يحق – من أهــل الحمود والظلام الفكري من العلماء والمشايخ. . تحول تيارها في عاصفة الثورة هذه الى الدين نفسه . فاعتقدوا بانمسهم و حملهم العلماء والمشايخ الحاهلون على ان يعتقدوا بان الاسلام دين جامد لا يصلح لمسايرة الزمن ولا تجاري قوانينه تغير الاحوال والاوضاع، وابس فيه ما يكون له ثبات ودوام اللهم الا بعض المقائد . فهذا الاستبداد المدي المعتد على الثلاثة والثلاثين عاما الذي كان لسوء الحظ ذا صبغة دبنية جاء ببعث في الحيل الـ تركي

الحديث النزوع الى المذهب المادي والالحاد ، والهزيمة الذهنية أمام الغرب والتقليد الاعمى الأفكار الغربية والنفرة من الماضي والتضجر من كل شيء قديم والكراهية الشديدة للخلافة والوحدة الاسلامية – التي اتخذها الملطان عبد الحيد آلة لاغراضه الدنيئة – وأكد في نفوسهم انه إن أريد للامة التركية المنز والشرف في هذا العالم فلا بد أن تهدم جميع الاسس القديمة وبهني عليها صرح القومية التركية على الطراز الغربي الخالص.

ان تورة عام ١٠٩٨ دكت عرش حكومة السلطان عبد الحيد خان وانتقل الامر الى أبدي الشباب الذر المضطرم ذي العقلية المنحرفة . وهؤلاء كا قالت السيدة خالدة أدب خانم كانوا مختلفين حدا عن رجال الاصلاح لهد التنظيم . فلم يكن من بينهم رجل واحد بسامي حكا عبد التنظيم في الاداة العلمية والتدبر والتفكير والسمو العقلي . ولا كان نصب عيونهم قلك الغاية السامية التي كان بطمح الها أوائك ، ولا كانت سيرتهم تتسم بنلك القوة والاحكام الذي عرفت به سيرة الماضين ، ولاهم على شيء من تهذب اوائك المصلحين وحسن تربيتهم ولا فيهم من الماضين ، ولاهم والامتحان الذي يدركون به الفرق الصحيح بين القديم والحديد . والامتحان الذي يدركون به الفرق الصحيح بين القديم والجديد . واغا كان هؤلاء جماعة من شبال لانصيب لهم من العلوم الاسلامية واغا كان هؤلاء جماعة من شبال لانصيب لهم من العلوم الاسلامية وعد تمكنت من نفوسهم وأذهانهم عصية شديدة على دينهم وحضارتهم وعد مكنت من نفوسهم وأذهانهم عصية شديدة على دينهم وحضارتهم وعلومهم وآدابهم و تنظياتهم الجماعية القديمة و وبلفت فيهم الروعة اظاهر وعلومهم وآدابهم و تنظياتهم الجماعية القديمة و وبلفت فيهم الروعة اظاهر

النقدم الفربي حداً متناهيا فكالوا يتململون شوقا الى أن يبدلوا كل ما عندهم من العادات والتقاليد القومية . فلما انتقل البهم أمر الدولة طني هذا الثيار المحبوس الذي كان قد تعفن من السكون والوقوف طول جم عاما مندفقا كالسيل الهاجم , وهذا هوالزمان الذي سطا فيه على الاتراك غول القومية الضيقة والعصبية النورانية، وخبا حماسهم للوحدة الاسلامية فبدأوا يسبون الدين وبمترضون عليه ،ويدعون بشدة الى قبول الحضارة الغربية بحذافيرها . ولقطع الصلة بالماضي وزيادة التقرب الى الغرب اقتر حوا اسطناع الخط اللانبني للمة التركية . وقامت طائفة من الماماء الرسميين تصوغ الاسلام في قالب النظريات الجديدة ، على رأسها رجل كَفِياً كُولُ اللَّ ، وهو الرجل الذي شدد في الدَّعُوة الى الاتحادالةوراني ضد الوحدة الاسلامية ونفر الاتراك من تاريخ المهد الاسلامي وأبطاله المشاهير وعلمهم الاعتزاز بالتستر المجميين الفدامي – الدن أبرر شخصياتهم جنكيز خان وهولاكو — واحتيد لنطهير اللغة التركية من خصائص الادب الاسلامي وأكدعلي تقليد الفرب نقليداً كاملاء في المدنية والاجتهام والحضارة والمادات والحياة المملية . فأخذ هذا الرجل الذي ينزع تلك النزعة ويفكر على هذا الاسلوب مكانة الامام المجتهد للحماعة الثورية الحديدة وحمل محاول مع اتباعه ، ان يؤول التماليم الاسلامية تأويلا يمكن ان يثبت به كون كل امر من أمور الاحلام ــ اللهم الا بعض العقائــد والمبادى: الخلقية ـــ فابلا للتغيير فيسكب في القالب المربي.

كانْ بجانب إن الامة التركية على عتبة مثل هـ ذه الثورة النظيمة ،

وكان هناك \_ مجاف آخر \_ علماء الاثراك ومشايخهم اللين لم يكونوا برضون \_ حتى في هذه الآونة \_ أن يخرجوا نما ضربوا حواليهم من جو القرن السابع. وكان من جوده وضيق تفكيره وزوعهم إلى القمديم وإلمتهم الأكيد لمارة الزمن ما عهد فيهم أيام السلطان صلي . فكانوا يقولون حتى الآن إن باب الاحتماد قد انفلق بمد القرن الرابع ، والحال أن باب الالحاد الصريح كاد ينفتح أمام أعينهم، وكانوا لا يزالون بدرسون وبدر سون والفلسفة والكلام للثالكتب اتي كاثالؤ مانقد خلفهامن ورائه مندخمهائة سنة وتقدم إلى الامام . وكانوا بلقون على الناس في مواعظهم حتى الآن ذلك التفسير القرآني ونلك الاحاديث الضيفة التي لاشك أن كان الزمان المقول الجديدة لا من أولئك المفسرين والمحدثين فسب بل من القرآن الكريم والحديث النبوي نفسه ، ثم إنهم كانوا مصرين على أت تنفذ بين الامة التركية تلك القوانين الفقهية التي هي مكتوبة ويجموعات الشامي وكنز الدقائق ، وإن كان تتبجة هذا الاصرار أن يتملص الآتراك حق من اتباع القوانين الاصواية المنصوص علما في القرآل والسنة!

فوجز القول أن الملساء والمشاييخ ما زالوا ـ بجانب ـ قابتين لا يتزحز حون على سلوكهم الذي انحدر بالامة التركية من مرحلة عهد التنظيم إلى مرحلة الثورة هذه ، وظل الزعماء الثوريون للامة التركيبة ـ بجانب آخر ـ يبتعدون عن الاسلام في حياة الفكر والرأي والعمل الواقعية ، مع كونهم مسلمين من الناحية القلبية العاطفية . وفي هسدا المعصر وقعت الحرب العالمية الاولى التي جاء فيها مسلمو العرب والهند

يحاربون الاتراك ويقتلونهم جنبا إلى جنب مع أعداء الاسلام ولما قام الاتراك بعد الحرب العالمية بجتهدون لصون حياتهم القومية من الفناء الكامل كان في طليعة من خالفهم فيذلك هو الخليفة القائم وشبيخ الاسلام. جُاءت هذه الضربات النهائية قاضية على الروح الالمدية المضمحلة في اللركي الثوري . ومن نتيجتها ما صرنا نشاهــد. اليوم من هذه اللزعة التجدية المتطرفة في تركيا الحديثة . وذلك أن الافكار النورية التي كانت فحة بعــد' في سنة ١٩٠٨ ، والتي كانت منعنها حروب طرابلس وبلقان والحرب العالمية الاولى وحملة اليونان من النضوج والكمال بلغت نضوجها وكالها على أثر مؤتمر لوزان وصارت تظهر في حيز العمـ ل . فاختيار الطريقة الفربية في المدنية والاحتماع والتمصب الفوحي المتناهي في الادب واللمة والسياسة والنفريق بين الدين والدولة عقب إلغاء الخلافة، وفصل الدبن من الدولة \_ كما قالت السيدة خانم \_ وجله تابعاً ومحكوماً للدولة واختيار القانونالسويسري بدل الفانون الاسلامي وتغيير القوانين القرآنية الصريحة في مسائل الوراثة والنكاح والطلاق وتسيير طبقة الانات على درب الحرية الذي سارت عليه نساء النرب بعد الحرب العالمية ، على رغم تمالم الاسلام ، كل أوائك نتائج طبيعة لجود المفاء والحمال وضلال الصوفية التيمين الأهواء وأنانية السلاطين المتغلين لنصب الخلافة وجهل الزعماء التوربين يعلم القرآن والدنة . إنه لمن النَّوسف جــداً أنه لم ينبغ من بين الامة التركية في هذا القرن رجل واحد علك البصر النفاذ في القرآن والفهم الصحيح لروح التمليم الاسلامي الحقيفية، فيدرس أوضاع المصر المتبدلة بأمعان ويستعمل فوته الاجتمادية السديدة ، أبطبق

مبادىء الاسلام على تلك الاوضاع ، ويخرج نظاماً شاملاً متسقاً بقوم على أساس الكتاب والسنة ويصلح لمسايرة الزمن .

إن الذي لا بعرفون كل هذه التحولات في التاريخ التركي يتعرضون الموقوع في أخطاء عيبة . فأهل الفكر الديني القديم لا يزالون يصمون الشبان الاتراك بالكفر والفسق ، ولكنهم لا يعلمون أن علماء الاتراك ويشايخهم هم الاكثر ذنباً وجرعة من شبانهم أوائك ، فان جمودهم هو الذي أبعد الامة المجاهدة التي ما زالت تذب وحدها \_ عن حريم الاسلام منذ خمائة سنة ودفعها من الحياة الاسلامية إلى الفريحية ، وبخشي أن أمثال هؤلاء الجامدين لا بد أن بدفعوا الامم المسلمة الاخرى أيضاً إلى ذاك المتحدر . وبجانب آخر لا يزال المتحددون بعرضون على المرآن أبضاً إلى ذاك المتحدر . وبجانب آخر لا يزال المتحددون بعرضون على قد ندخ ورسالة محمد ويسائح قد انتهت . فلا هداية الآن إلا في حيساة قد ندخ ورسالة محمد ويسائح قد انتهت . فلا هداية الآن إلا في حيساة أتورك ومن يتبعه مصدان قول الام عز وجل: (مالهم يذلك من علم ان علم ان مم إلا تخر سون ).



## فداع المذهب العقلي

ان التأثير الذي يؤثره التعليم الغربي والحضارة الجديدة في الأفكار الدينية لشباط الذين يكونون العصين في التعليم والتربية الاسلامية أو غير فاضحين ، قد يقدره المراء مما يصدر عن أمثال هؤلاء من الكتابات والخطب بين حين وآخر . ونذ كر على سبيل المثال ما اطلمنا عليه أخيراً من المقال الذي قد خرج من قلم شاب مسلم حائز لشهادة البكالوريوس من الولايات المتحدة في الهند . يقول فيه عند ذكر سياحته في بالاد الصين واليابان :

ان الذي يصحبوننا من المافرين الصيبين م مدمنون المخمر أكاون يستطيبون لحم الخنزر إلى حد أنهم لا يستطيعون الميش بدونه . . . وها هو ذا السر من وراء ارتقاء النصرائية ، فالصيني بعد من العار انساع نحلته القديمة مع التعليم الجديد . ولو انه عرف الاسلام لما أحجم عن قبوله ، ولكن الآفة مع الاسلام انه بحرمه من حميم الاطمعة الشهية التي يستمرثها ، فهو يصير إذن نصرائيا على الرغم منه .... وليس من المستبعد ال تصبح النصرائية هي المدينة الرسمية الصين فيا يأتي من الزمان . وإني لأوثر شخصياً ان ترخص المسلمين الحديثي العهد من أهل أوريا والصين لأوثر شخصياً ان ترخص المسلمين الحديثي العهد من أهل أوريا والصين

بعض الترخيص في أمر لحم الخاذير. والي أشك في كونه حراماً قطيباً حق من نصوص القرآن. بل عندي الامر لا يعدو أن يكون الخنزير قد حرم على المرب بسبب خاص. فاي جناح الآن في استماله في البلاد التي يكون أهلها مصداق الآبة ( فمن اضطر عبر باغ ولا عاد ...)، على كل حال هذا هو الحكم الوحيد - من أحكام القرآن - الذي لم أدرك بعد علة التحريم العام الذي جاء فيه ، إذ أن هناك من البعد المناسم بين ممدة الانسان وحوافز الاخلاق مالا بنغي ممه أن بتدخل الدين في أمور ما كانا وشر بنا . ولو أنه يتدخل فهما ويقر النا يان المائدة أمور ما كانا وشر بنا . ولو أنه يتدخل فهما ويقر النا يان المائدة والي لاعتقد ان المر في عنم ارتقاء الاسلام في العالم هو أنه يسلب المر جميع حقوقه الانسانية ويتركه حسما بلاحياة أو طفلا بلا شمور . فهو ينمض عنيه عن كل ما هو لازم لرقيه في هذه الدنيا . ومن الواحب عندي ان ينحصر الدين في غلث الحدود التي قد حده فها النصرانيون .

وبكنب بعد ذلك عند ذكر أحوال شنعاى :

وإذا رأى المرء هذا الحلق الذي لا محصى من الناس ينعمون برغد الميتس والهناء، فلا يكاد قلبه يشهد أن هؤلاء برستهم سيكونون حصب جهنم مد مدة من الرمان ، كأن هذه هي الفاية الوحيدة عند الله من خلقه إيام . وإن كان هؤلاء كلهم الا الغزر القليل \_ منكوبن ودثنيين مهل دنهم الوحيد الذي يستحقون لاجله أن يخلدوا في جهنم هو أنهم عمروا أرض الله ؟ إن القوم لا يقتلون الحجاج ولا يسلبون أموالهم ولا فهم سيئة آل لوط ، ولا هم بأكلون مال الغير أو يتسأولون الآيات

لاستباحته لانفسهم . إنهم بميشون حياتهم الوادعة الهادئة بأمن وسلام٬ ولكنهم مع ذلك يستحقون المذاب! لماذا باترى ٢ ولاي ذنب ٢

لا شك في ان عقيدة الدرك من الحاقة والسخف . ولكن تولوا في : ان آمن المرء بايحاء من فطرته بذات سامية تميته وتحييه فهل أنت تكونون أعداء ه ويكون عدوكم لحجرد انه تعلو ماهية تلك الذات عن فهمه بقدر ما هي عن فهمنا أيضاً ، أو لحجرد انه لايمتقد الدربية عي اللغة الالوهية ؟ .. بل الأمر في الحقيقة أنه لاجهكم شل هذه الامور . إنحا المهم عندكم أن يكون الجلباب على تقطيع خاص ، وتكون العاسة على هيئة بعينها وتكون اللحية على الذقن بقدر معلوم ، وان بأكل المرء لونا بعينه من الطعام ، ولا بدخل أبدا المدارس الاهلية لانه لا تعلم فها لغة الدين ولافنون الدين .

ويقول عن ميناء كوبي( Kobe ) في اليابان :

بقيت أمني فيشوارع كوبي مدة ساءتين فلم بقع نظري على منسول واحد ، ولا وجدت رجلا يسيء الحال في خرق بالية . هذا هو مستوى رقي الامة التي لانعرف الدين ولا الله .

وبأخذ الفاضل بعد ذلك في الموعظة الحسنة ، على حد زعمه ، فيقول : —

اعلموا ان الاحسان هو أصل الدين ، ولا يحتاج الاحسان إلى لفــة أو فن . وإنما غايته الطبيعية اننا مسؤولون عن أعمالنا في هذه الحبـــاة وستكون كذلك في الحيــاة الاخرى . وهذا هو الدين الاسلامي في حقيقة الامر . واما ما عدا ذلك عما سمبتموه و الدين ، فهو خداع قد ابتليت به أنفسكم أو خلط قد وقمت به أذها كم . فاذا ما حصرتم دينكم في هذين الامرين \_ أي الاحسان وشمور المؤولية .. وحطمتم كل ماترسفون فيه الآن من قبود الشريعة وأغلالها فابكم أبسأ ستركبون سنام الرقي مع الاعم الاخرى ، بل بجب أن بقال : ستودعون ضميرا في نفوس تلك الامم ، التي ان لم تضع عنها الدنيا في هذه الحياة فلن يضيع عنها الملكوت السهاوي أيضاً . إنكم لستم في أنفسكم أمة كهذه الامم بسل عنها الملكوت السهاوي أيضاً . إنكم لستم في أنفسكم أمة كهذه الامم بسل أنم مصلحون للامم ، ولكن لانجملوا الناس \_ بالله عليكم \_ يقولون : الله الامة الفلانية على قمة الحجد والرقي من حيث المجموع ، ولكن المسلمين من أهالها هفي حال بؤس وشقاء وإن السبب في شقائهم هذا هو دينهم العجيب.

هذه المبارة انموذج صادف الدلالة لذهنية جيلنا المثقف الجديد . انهم ولدوا في بيت مسلم ، ونشأوا كمضو مجتمع مسلم ، وارتبطوا بالمسلمين بالموالنصح بالمامين والرغبة في البقاء في دائرة الدين . وقد وقر ذلك في نفوسهم من حيث لم يريدوا ولم يشمروا ولم يعملوا لذلك عقلهم أو فكره . بيد أنهم قبل أن يحول فيهم هذا الاسلام التقليدي اللا شعوري إلى الاسلام الاختياري الشعوري بفعل التربية والتعليم ، وان يؤهلوا لان يكونوا مسلمين عن فهم للتعالم الاسلامية وامتحان لاحكام الاسلام وقوانيت مسلمين عن فهم للتعالم الاسلامية وامتحان لاحكام الاسلام وقوانيت باستمالها في حياتهم العملية ، بعثوا إلى المدارس والكليات الانكارية والذهنية على غير الطريقة الاسلامية للتربية حيث ربيت قواهم الفكرية والذهنية على غير الطريقة الاسلامية للتربية

والنمليم . فاستوات على اذهانهم الافكار الفربية ومبادى • الحضارة الغربية استيلاء جعلهم ينظرون إلى كل شيء بمنظار الغرب. ويفكرون في كل مسألة بالذهن الغربي ، ولم يعد من المعكن لهم أن بنظروا أو يفكروا مستقلين عن هذا النأثير الغربي . اتهم تلقوا من الغرب درس المذهب المقلي (Rationalism ) ولكن المقل فيرؤو سيملم يكن عقلهم أنفسهم وانما استماروه من الغرب. فجاء مذهبهم المقلى المذهب العقلي الغـ ربي في الحقيقة ، لا المذهب المقلي الحر . وأخذوا من الغرب درس النقــد ( Criticism ) أيضاً واكنه لم بكن درساً في النقد البريء الحر ، بل كان درساً لأن ينتقد كل ماليس غرباً بمقباس المباديء الفربية التي بجب أنْ يعتقدها حقا وأرفع عن كل نقد . فلما خرج هذا الجيل من الكلبات متحلين بهذا التعليم والتربيةوخاضوا غهار العمل في الحياء، كانت قلوبهم وأذهانهم قد وقع بينها بعد المشرقين . كانت القلوب مسلمة والكن الاذهان غير مسلمة . وكانوا يعيشون بين ظهر اني المسلمين وكانت معاملتهم اليومية أيضا مع المسلمين وكانوامتصلين بهم بروابط التمدن والاجتماع، يشاهدون فيها حولهم أحوال حياة القوم الدبنية والمدنية وتتملق بهم أيضأ أواصر حيم ونصحيم . ولكن كل ما علكون من قوى الفكر والفهم وتكوين الرأي كان قد انسكب في القالب الغربي . فلم نكن نطابقه ضابطة من ضوابط الاسلام ، ولا عمل من أعمال السلمين فجاء الفوم بتقدون كل شيء يتصل بالاسلام أو المسلمين بالفياس الغربي. فكل ما و جـــدو. لا يطابق هذا المقياس اعتبروه خطأ وأمرأ واجب الاصلاح والقرميم سواه أكان من أصول الاسلام وفروعه أم كان من عمل السلمين نحسب .

ومنهم عنوا أيضاً بدرس الاسلام دراسة قليلة لاجل البحت عن أسباب هذه الحال المتخلفة . ولكنه مادام مقياس نقدهم وتحقيقهم غربيا صرفا فكيف كان للتعليم الاسلامي المستقيم ان يطابق ذهنيتهم الزائفة المعوجة إ

إنَّ هؤلاء المنجددين إذا أبدوا آراءه في السُّؤون الدينية فالاالسامع يتبين من كلامهم أنهم يتكلمون بلا تفكير أو شمور . فلا المقدمات من كلامهم تصحولا هم يرتبونهاعى الاسلوب المنطقي ولا هم بحاولون الاستنتاج الملم . ويبلغ بهم الأمر في ذلك أنهم إذا تكلموا فلاتحددون حق موقفهم أنفسهم ، بل تراعم بتخذون مواقف مختلفة متضادة في سلسلة واحدة من الكلام ، كانوا بنكلمون الساعة في موقف بسينه ، واذا في الجـــــلة النـــالية حوثوا هذا الموقف بغثة وجعلوا رأسهم مكان عقبهم وراحوا يتكلمون في الموقف الجــــديد المضاد . قالاسترخــــاء الفكري ( Loose Thinking ) هو الميزة البارزة لمواعظهم الدبنية. انهم اذا تكلموا في أية مسألة غير مسألة الدين ، يتكلمون بحيطة وحذر ، تقة منهم بأنه اذبدا منهم خطأ او زلل في تلك المسألة سيسقط اعتبارهم في أعين أهل العلم . ولكن الدين لما انه لا أهمية له عندهم لا يستدون بأمره حتى بقدر ان بشمروابضرورة اعمال الففكر والروبة حين التكلم فيموضوعه بل هم ينطقون في أمره بكل سهولة وفراغة بال كأن الناطق منهم مضطجم على الكرسي المربح عقب تناول الطمام وهو يشكلم استجهاماللنفس على سبيل التفكه واللهو ، نما لاحاجة له فيه الى مراعاة ضواط الكلام الحاد.

والشيء الآخر الذي يبدوا بارزاً في كتاباتهم هو فقدان الملومات - ١١٣ - نحن والحضارة م- ٨

وسطحية الافكار . إنهم لا يتجرؤون على ان يتكاموا في غير مسائل الدين بنلك المعلومات الناقصة وبذلك النفكير الفج لانهم بخشون ات يفقدوا اعتبارهم اذا تفوهوا بكلمة واحدة بدون التحقيق . ولكنهم لا يستلزمون شيئها من التحقيق والنعبق والتفكير في أمر الدين ، بل هم يكونون الرأي بكل ما يسقط في أيديهم خلال دراستهم الماجلة ، وبعالنون به من غير تحذر ، لانهم لا يخافون حسابا في هدا الموضوع وان حاسبهم أحد فلا بد ان يكون و رجل دين ، وقد تقرر وأصبح من مسلمات الامور على سبيل الاصول الموضوعة ان و رجل الدين ، في كل حال ضيق النظر مظلم الفكر نزاع الى القديم .

فالعبارة المقتبسة آنفا للكاتب الفاضل – وقاها الله عين الحسود – تحمل كلا من هاتين الميزتين . فقبل كل شيء لايعلم منها ان كاتبها هل هو بتكلم من موقف المسلم او غير المسلم . وذلك أن كل من تكلم في موضوع الاسلام فلا بد أن يكون له موقف من اثنين : موقف المسلم أو موقف غير المسلم . فمن تكلم من حيث هو مسلم ، سواءً أكان راسخ المقيدة ( Orthodox ) او حر الفكر او في حاجة الى الاسلاح ، وجب عليه ان يتكلم دائرة الاسلام ومعناه ان يعتقد القرآن منتهى كل عليه ان يتكلم من مبادى والمدن ( Final Authority ) ويذعن بما قد قرره الاسلام من مبادى والمدن وقوانين الشريسة . فانه ان لم يؤمن بحيجية القرآن ورأى مجال القول في أمر قد نص عليه القرآن ، خرج عن دائرة الاسلام ولم يبق له شيء من منزلته الاسلامية حتى يتكلم في عن دائرة الاسلام . وأما الذي تكلم في الاسلام من حيث هو غير مسلم فله الحق

قاماً في أن ينتقد أحكام الفرآن ومبادئه ويعترض عليها كيفها شاء يه لأنه لا يعتبر كتاب الله هو الحجة النهائية ، ولكنه متى وقف هذا الموقف فلا يحتى له بعد ذلك أن يتكلم كالمسلم ويفسر للمسلمين أحكام الإسلام ويدلهم على أسباب رقبه . فكل عاقل رشيد متى أراد أن يتكلم في الإسلام فالمرجو منه أن يقطع - قبل كل شيء - بأنه أي الموقفين يختار لنفسه . وإذا اختار موقفاً بعينه فعليه أن يراعي في كلامه مقتضيات هذا الموقف ولا يحيد عنها ، لأنه لا يمكن أن يكون من فعل العاقل أن يتسمى باسم ولا يحيد عنها ، لأنه لا يمكن أن يكون من فعل العاقل أن يتسمى باسم الني جاء بها القرآن ، أو أن يشك في حجية القرآن وفي الوقت نفسه بلقي على المسلمين موعظة حسنة في أمر الدين. إنه الجمع بين النقيضين ، ومعناه على المسلمين موعظة حسنة في أمر الدين. إنه الجمع بين النقيضين ، ومعناه الآخر أن يكون المره مسلماً و غير مسلم في آن واحد . ويكون داخل دائرة الاسلام وخارجها في وقت معاً ه.

ولا يبلغ من سوء ظننا بمنطقية صاحب المقال وكفاءته العلمية أن نتوقع منه أنه كان سيجمع المنزلتين الخنلفتين في داته في وقت واحد على هذا النحو لو أنه تكلم في غير مسألة الاسلام . إننا لا نتوقع منه مثلا أن يكون قاضياً في إحدى محاكم حكومة الهند ثم يستعمل حقه في الاعتراض على مجموعة القوانين المنفذة في البلاد ، ولا نتوقع منه كذلك أن يدعى اتباع مذهب من مذاهب الفكر ( School of Thought ) ثم ينتقد المبادى التي يقوم عليها ذلك المذهب انتقاد المعترض المخالف. ولكنه من أغرب الأمور أن صاحبنا قد وقف من الاسلام موقفين متناقضين من أغرب الأمور أن صاحبنا قد وقف من الاسلام موقفين متناقضين

جداً ولم بخطر له أنه يغير موقفه مرة بعد أخرى في حديث واحد. فهو بجائب يدعو نفسه مسلماً ويتسمى باسم من أسحاء المسلمين ويبدي الاسف الشديد لحالة السلمين المتخلفة وبغابر رغبت في رفي الاسلام وباقي على المسلمين موعظة والاحسان، أي وأسل الدين، وبجانب آخر بأتي ويسترض على المبادىء والقوانين التي بقررها الكتاب الذي هو أساس هــذا الدن ومن السرطااللازم لاسلام المرء أن يؤمن بكونه الحجة النهائية الاخيرة ان الفرآن مجرم لحم الخنزير في أربعة مواضع لا في موضع (١) ، ولكن صاحبنا يحب أن يرخص لبعض الناس في أكله . وأعجب من ذلك أن هذا النزوع إلى الترخيص أيضاً لأجل رقي الاسلام ، كأن رقي الاسلام يهم صاحبنا أكثر مما يهم القرآن، أو كأن هنـ اك إسلاماً خارج حوزة القرآن يود حاحبنا رقيه , إن القرآن الكريم لا ربب يضع للانسان بيان المائدة ( Menu ) بمنى أنه بهديه إلى ما يأكل وما لا يأكل وان بفرق بين الطيب والخبيث، ويقول بصراحة: (ولا تقولوا لما تنصيف أأسينت كم الكنَّذِب عمنذا حلال وهذاحرام ) دانحل : ١١٦ ولكن احبنا بصرعلىأن له الحتىفيأن يقول هذاحلال وهذا حرام،ويترددفيالاعتراف بأن القرآن حقاً في أن بجمل الأكل والشرب أيضاً تحت سيطرة الدن. تم ان القرآن لا محصر الدين في الحدود التي قد حصره فيها أتباع سينت بال ( Saint Paul ) \_ لا أتباع المسيح كا يقولون خطأ \_ بل هو يضم قوانين اللبساس والأكل والشرب والنكاح والطلاق والوراثة والمماملة

<sup>(</sup>١) راجع سورة البقرة الآية: ١٧٣ وسورة المائدة الآية ٣ وسورةالانعام الآية ه ١٤ وسورة النحل الآية ه ١١٠.

التشريع القرآني ويعتبره مانمأ دلرقي الاسلام ء ، ويعيب عليه أنه مجمل الانسان جمم بلا حياة أو طفلا بلا شمور ، ويقترح بأن الدين بجب أن يكون منحصر أفيا حصره فيه النصر انيون \_ بلاابولوسيون فيالحقيقة \_ إن القرآن قد وضع بنفسه فوانين الشرع وعبر عنهـا بحدود الله وأمر فأتباعها ولكن صاحبنا يعبر عن حدود الله تلك بالقبود والاغلال ويمتقد كسينت بال أفه من اللازم لرقي الدين و انساعه أن تحطم تلك القيود ءثم إن القرآن مجمل الاعان الشرطالاولي اللازم لنجاةالمر. ويقول عن الذين لا يؤمنون الله بتصريح (: إنكم وما نشبُدون من دون الله حصي جيئم) (١) سواء أكانوا محسنون أملا محسون ،وكانوافيه غدالسش أو في بؤس وشقاء. ولكن هذا الفاضل إذا رأى خلقاً لا محصى من الكفار والوثنيين محيون حياة الرغد والهناء ۽ فانه لا يشهد فلمه بأن أولئك سيكونون حصب جهتم أجمين بعد مدة من الرمان ، ولا يفهم أنه أي ذأب قد جنوه سوى أنهم قد عمروا أرض الله. إن السؤال أيها الافاضل أنه كيف بكون لكم أنتبقوا سلمين وأنتم تخالفون القرآن هذه الخالفة الصريحة في آرائكم ، وأني يكون لكم أن تكونوا مسلمين ثم تخالفوا المترآن هذا الخلاف الواضح. إن كنتم مسلمين فلا يجوز اكم ان تخالفوا القرآن . وإن أردتم خالفة القرآن فليس لكم إلا أن تخالفوه من موقف خارج دائرة الاسلام.

إن من لم تطمئن نفسه إلى المبادى، والأحكام، والقوانين التي يقوم (١) الانبياء آية ٦٨ .

عليها دين من الاديان، ولم يشهد قلبه بصدقها وقصر عقله عن إدراك علتها ومصلحتها ، وكاڭيظن أن بمضها أو أكثرها موضع النقد والاعتراض ، فامامه طريقان اثنان مختسار بينها : إما أن يترك ذلك الدين ، ليكون له الحني في أن ينقد كل ما يشاء من ضوابطه وأحكامه بحرية ، واما مجتنب الظاهرة عليه ، إذا هو أحب البقاء في دائرته على رغم عمدم طمأنينته اليه . وبدل أن يلبس لبوس الحِبّهد وينحى على ضوابطه وقوانينه بمبول الهدم والتخربب بجب أن يقف منه موقف الطالب للعلم ويجتهد لحل ما يخالجه من الشكوك والشهات في بابه , أما العقل والمنطق فلا يستسيغ إلا هذين المذهبين من مذاهب سلوك المرء وكل رجل عاقل إذا رأى نفسه في مثل هذه الحال لا بد أن مختار أحدد هذين المذهبين لا غير. ولكن صاحب هذا المقال وكثيراً من المثقفين بالثقفة الغربية مثله ليسوا من الشجاعة الخلقية بحيث بختارون لأنفسهم المذهب الأول. وأماللذهب الآخر فهم يخجلون من اتخاذه . ولهذا كله قد اختاروا لأنفسهم مذهباً وسطا بين الاثنين لا يقبله المقل السلم وهو أنهم يندبحون \_ بجانب \_ في جماعة المسلمين وبتمنون تقدم الاسلام وبضطربون ألما لسوء حالة الاسلام والمسلمين ثم هم ـ مجانب آخر \_ يفولون ويفعلون في مخالفة الاسلام كل ما قد يقوله وبفعله غير المسلم . إنهم لا يحجمون حتى عن القدح في القرآن فضلا عن تنقصهم للحديث أو الفقه ، ويضربون بمولهم جميع الاسس أأتي بقوم علمها بنيان الاسلام . إنهم يدعون أنهم أصحاب المذهب المقلي ويخالف المتطوءوأكبر اعتراضهم على رجال الدين أن القوم لايستعملون

عقولهم ، ولكن من شأنهم أنفسهم أنهم يقولون في أمر الدين أقوالاً ظاهرة التناقض وبختارون لعملهم وسلوكهم مذاهب متعارضة منضادة حتى يأتي قولهم اللاحق في حديثهم ناقضاً لقولهم السابق . ولا يدري المرء أي نوع هذا من المذاهب المقلبة بمرجع إلى هؤلاء المحققين المستنبرين فضل إبحاده .

وتمالَ الآن نظر إلى سعة معلوماتصاحبنا الفاضل وعمق تفكيره . إن ساحبنا يستارم لرفي الاسلام أن رفع قيود الشريعة عن هـ ذا الدين أيضاً كم رفعت عن النصرانية ، فيبقى الاسلام في صورة عقيــدة فيسب وذلك أن الذي قد انتبه له هذا القاضل من حر رقي الدين المسيحي هو أنه لا توجد فيه قبود الحلال والحرام ولا هناك ضواط أخلافية ، ولم يسلب الانسان ميه حقوقه الانسانية ولا ترك جسماً بلا حياة أو طفلاً بلا شمور ، بل قد سمح له فيه بأن يقمل مايشاء بعد أن يؤمن السبح . ولكن صاحبنا لم يدرك أن الذي يقال له الاسلام هو الذي نضمه دفتها القرآن . وقد حمل القرآن الاسلام مجموعة الايمان والممل الصالح . تم قد وضع القيود للممل الصالح وسن القوانين وقرر نظاما عمليا كاملأللحياة الفردية والجاعبة ، لا يمكن أن يقوم الاسلام بدونه كدين وحضارة . ولبس بيد مسلم أن ينسخ ذلك النظام ويمحو حــدوده ، لأن نــخ ذالك نسخ القرآن، و نسخ الفرآن هو نسخ الاسلام. وإذا أر يدنسخ الاسلام فأي معنى هناك للمنابة برقيه وتقدمه ? إن المرء لا شك حر في أن يبتدع دينا جديداً وبعمل على فتمره وترويجه . ولكن كيف بكونله أن بدعو الأمر الذي هو خالف القرآن باسم الاسلام ويجمل رقيه رقي الاسلام!.

إن صاحبنا يطلق اسم الاسلام على بحرد العقيدة القائلة بأننامسؤولون رجاه أنه إن حصر الاسلام في هذه الحدود الضيقة أصبح سهلاً ويسيراً وأمكنه الانتشار في الأرض. ولكنه لو تأمل مضامين هذه المقيدة العلم أن الاسلام بعد أن يتحصر في هذه الحدود لا يمكن أن بتفق مع هواه . وذلك أنه لكي تقام هذه المقيدة المجردة مقام الدين كامله بحب أولاً أن يؤمن المرء بالحياة الأخرى. ويأتي بعد ذلك مفهوم المسؤولية فيتقاضى أموراً ثلاثة: أولها أن يعين الوجودالذي سيكونالانسان مسؤولاً أمامه، وبذعن بكونه قوق الانسان. والثاني أن تحدد نوعية المسؤولية ويفرق بين أعمال الحياة من حيث أن كذا وكذامن الأعمال سنفضى إلى النجاح في تلك المسؤولية وكذا وكذا ستفضى إلى الخبية فها . والثالث الأخبر أنه بحب أن تمين النتائج المختلفة للخبية والنجاح في تلك المسؤولية، لأنه إن كانت نتيجة الخيية فيها كمثل نتيجة الفوز والنجاح أو لم تكن لأيمها تنبِجة أبداً فلا يبقى هناكمني لنظام المسؤولية . هذه لوازم منطقية لتلك المقيدة التي يجملها صاحبنا أصل الدين . واثن أقيم الاسلام على هذه المقيدة حسباً بقترحه فلا شك أنه ستمترس صاحبنــا تلك المشكلة التي أراد أن يهرب منها. إذ سيكون من اللازم إذن أن يؤمن المرء الله، عارى صاحنا الامة اليابانية تصمد بدونه في سلم الرفي . وستكون هناك أغلال الشرع وقيود الأخلاق التي يربد صاحبنا أن تحطمه والتي بكمن فيها السر الحقيقي 

والنواب. وإذا ما رأى صاحبنا مرة أخرى خلقاً لا مجصى من الناس ينعم برغد الميش والهناء بدون الايان جذه المقيدة فان قلبه سيأبي أن يشهد بأن أولئك كلهم سيكونون حصب جهتم بعد مدة من الزمان.

لأجل ذلك نوجو من صاحبنا الآن أن يتفضل ويطلق اسم الاسلام على شيء لا يكون فيه قيد ولا منع ولا تكون نتيجة الايمان به وعدم الايمان مختلفة . والذي تكني فيه عمارة أرض الله الفوز في الدنياو الآخرة، والذي إذا رأى صاحبنا خلقاً لا يحصى من الناس ينهم برغد الميش والهناء بدون الايمان به فيستطيع قلبه أن يشهد بأن أولئك كلهم سيكونون بلابل الجنة في اليوم الآخر .

إن كون لحم الخذر حراماً قطياً بموجب القرآن ليس من مسلمات الأمور عند صاحبنا . فهو يزعم أن لحم الخذير حرم على العرب لأمر مخصوص . ولكنه لو فتح المصحف ، قبل أن يبوح برأيه هذا لقرآ فيه : (فل لاأجد فيالوحي إلى "محر مأعل طاعم يطعمه إلاأن يكون ميئة "و دما مسفوحاً أو لحم خنزبر فانه رجس أو فيسقاً أنهل لفير الله بعد فن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم .)(١) ففي هذه الآية قد حرم لحم الخنزبر على كل طاعم وبين من علة هذا التحريم أنه و رجسه . أفيراد من كلمة الطاعم هذا الطاعم العربي وحده ٢ وهل يكون الذي الواحد رجساً للمرب وطيباً لغير العرب ٢ وهل يحب صاحبنا أن برخص الواحد رجساً للمرب وطيباً لغير العرب ١ وهل يحب صاحبنا أن برخص الأمر لا كلي الميته أبضاً بعض المرخيص ، واثن أراد الفاضل أن بسامح الأمر لا كلي الميته أبضاً بعض المرخيص ، واثن أراد الفاضل أن بسامح

<sup>(</sup>١) النعل: ١١٥.

من طرائق الاجتهاد التي قد ابتكرها المجتهدون الجدد في هـذا المصر أنهم يقولون في كل حكم إسلامي بريدون الحروج علبه أنه نزل خاصة للمرب، وإن لم تكن في القرآن ولو إشارة خفيفة إلى هذا التخصيص، ولم يكن عندهم من جحة عقلية أو نقلية على ذلك. وإن استمرت الحال على هذا النحو فلمل القوم بمودون يوما فيجملون القرآن كله نزل خاصة للمرب.

أما استدلال صاحب السياحة من الآية (فن اضطر عبر باغ ولاعاد) فهو يبلغ من الطرافة أن لا يتهالك المرء من الاعجاب به والنصفيق له فلمله فهم من هذه الآية أنه إذا قرمت أنفسكم إلى لحم الخنزر فكلوه ولكن بشرط أن لا تبغوا أكله على الدوام وأن لا تتخذوا أكله عادة فيكم ، إذ أنه لا يستخرج من هذه الآية بجال الرخصة والماهمة لأهل أور باوالسين في أمر لحم الخنزر إلامن لم يكن بعلم معنى الاضطرار ولا كان يفهم المراد من كلمتي الباغي والعادي في هذا المقام. ومن الحال جداً لذي علم أن بتجاسر على منال هذا الاستنباط . إنه ليس من مفهوم الآية أنه يدخمل في حمكم (من اضطر) كل من استمر ووا أكل الميثة والدم السفوح أو استطابوا لمم الخنزر وتهالكوا عليه ، أو كانوا بأكلون (ما إهرا به لغير الله) طدة . ولو كان الأمر كذلك لبطل حكم النحريم . فان تحريم المك الأشياء طادة . ولو كان الأمر كذلك لبطل حكم النحريم . فان تحريم المك الأشياء

لو أنه مقصود الذين يعتادون أكلما لبقوا ياكلونها حسب عادتهم متمتمين بهذا الاستثناء الوارد في الآبة . ولو أنه مقصود للذين كانوا مجتنبون هذه الأشياء بأنفسهم من قبل ، لا كانت لهذا الحكم ضرورة أصلاً أما ما ورد في الآية من الاستثناء المصروط بـ ( غيرٌ باغ ولا عاد ٍ) مع الاضطرار، فالقصود به في الحقيقة هو أنه من كان يوشك أن يموت جوعاً ولم محيد ما يأكله غير حرام، فيجوز له أن بأكل من ذاك الحرام لمجرد حفظ وجوده ، بشرط أن لا يتجاوز حد الرخصة أي لا بتناول منه أكثر عا هو لازم لسد الرمق . ولا تكول في نفسه نزعة إلى البغي على حدود الله . وقد ذكر هذا فيموضع آخر عندسانتحريم الخنزر والميتة بالكلمات الآدة: ( فَن اضطر في محمصة عير متجانف لاتم) أي إذا اضطرأ حد إلى تناول شيء من هذه المحرمات في حال اشتداد الجوع بدون أن بكون في نفسه ميل إلى الإثم ، فيجوز له أن يأخذ منهـ ا قدر الضرورة . فأن هذا من اقتراح صاحبنا أنه لما كان أهل أوربا والصين مفرمين بلحم الخنزير ، فيجب أن يباح لهم ذلك انتفاعاً باستثناء ( فمن اضطر غير باغ ولا عاد ) ، وكل ذلك لكي إسهل لهم الدخول في الاسلام . وإن تحن سرفا هكذا في عمل الترخيص والتسهيل في أحكام الاسلام مراعاة لرغائبكل أمة وشهوائها ، اضطررنا إلى إباحة كل من الحُمّر والقهار والزنا والربا وما إلى ذلك واحداً بعد الآخر . إن السؤال أن الذين لا يريدون أن يتبعوا أحكام الله وبلتزموا حددوده ويحرموا حرامه فأي حاجة إلى إدخالهم في الاسلام ؟ ومتى كان الاسلام مفتقراً إليهم حتى يساومهم على ذلك بالنقص والخفض من أحكامه .

إن صاحبنا لم يتفطن بادى. ذي بدء إلى تحريم الخنزبر . فلمما أعمل فكره في ذلك بمد تبين له أن هناك بونا شاسعاً بين معدة المرء وحوافق الاخلاق . فاستنتج من ذلك أنه لا حنى للدين بأن بفرق بين المأكولات والشروبات من حيث الحلة والحرمة . وافتضح من رأيه هــذا أن مبلغ معرفته بعلم الحيوان ليس بأحسن من معرفته بالقرآن . أما الجهل بالقرآن فليس بنيء بخجل له د رجل مثقف متنور ۽ ولکن کل هذا الجهــــــل بالعلوم النجريبية المصرية ( Science ) من الخزي والعار حقاً . إن صاحبنا لم يعرف بعد: ما العلاقة بين النفس الانسانية وتركيبه الجــدي، وما الملاقة بين تركيبه الجــدي والنذاء الذي يأكله، ولم يدرك أنالتيء الذي يميد إلى الجسم الانساني كل ماضاع من أجزائه التركيبية ويكون فيه جميع الأعصاب والمروق، ويبدلجسمه القديم جسم حديداً بكامله، ليس عجبياً أن يكون لخواصه تأثير في النفس والروح بل العجيب أن لا يكون لها أي تأثير . وقد كانت دنيا العلم غاطة عن هذه الحقيقة غالباً فيا سبق ولكن التحقيق الذي تم أخيرًا في فن النفذية ( Dietetics )قد انكشف منه أن غذاء الانسان يترتب أثره حتماً ولازماً على أخلافـــــه ومداركه الذهنية . فلا يزال الملماء المماصرون يبحثون في أنهماعيالآثار التي تَعْرَبُ عَلَى نَفُوسُنَا وَمِدَارَكُنَا الفِّكَرِيَّةِ لَخُنَافُ ٱلَّوَالَ غَذَائُنَا . وَبِيدُو أن معلومات صاحبنا الحائز لدرجة البكالوريوس ليست متمشية مع العصر ( up - to - date ) و إلا لم يدع بكل هذه الجرأة أن هناك من حيث الميدأ والأصل بوناً بميداً بين المعدة وحوافز الأخلاق.

## خداع المذهب المقلي أيضا

ان الذهب النقلي ايضاً ( Rationalism ) والمذهب المادي الطبيعي (Naturalism) عما الامران اللذات لازال الحضارة الفرية تقوم بدعايتها وإعلانها بكل قوة وحماس منذ القر نين الماضيين . ان قوة هذا الاعلان وشدته أمر لايشك فيه أحد . واني عكن للمر • ان يجنب قلبه وذهنه التأثر بشيء يعرض أمام عينيه مرة بعد أخرى ويكرر على ممعه مِصفة مستمرة , وإذن قدخضمت الدنيا لتأثير هذا الاعلان فاعترفت بان العلوم الغربية والمدنية الغريبة تقومان على اساس المذهب العقلي والمذهب المادي الطبيعي فحسب. والحال ال دراسة نقدية لحضارية الغرب توضيح حليا انه ليست اساسها النزعة العقلية ولا مراعاة قواميس الطبيعية ع بسل يقوم هيكالها كله على الحس والرغبة والاحتياج. وان النهضة العلمية الجديدة لم تمد في الحقيقية ان تكون ثورة على المقل والطبيعة فأنها قد هجرت المقولات الى ما يدخل تحتالمادة والحس وجاءت تنشد على الحس بدل المقلء وألغت التوجيه المقلي والاستنباط المنطقي والوجدان الطبيعي وقررت - بدل ذلك - النتائج المادية المحسوسة في المقياس الحقيقي الصحبح لتقبيم الاشباء ، والغت إلهام الطبيعة وإرشادها لتتخذ الرغبة والحاجة هي الهمادية في شؤون الحياة وجملت كل شيء لايمكن الايوزن او بذرع وهمالاحقبقة له ، وكل مالا يترتب عليه نفع مادي محسوس أمراً هينا لا يحفل به وكانت هذه الحقيقة خافية على أهل النرب أنفسهم في مبتدأ الامر ، فما زالوا يزعمون على رغم مخالفتهم للمقل والطبيعة في ساوكهم العملي ، ان و الاستنارة الفكرية ، التي قد افتتح القوم عهدها الجديدترجم في أصلها و أساسها الى المذهب العقلي و المذهب المادي الطبيعي. وبرح الخفاء بعد ذلك و افتضحت الحقيقة الواقعة و لكنه لم يجترى و أحد على الاعتراف بها ، و بقي القوم يخفون \_ بكل نفاق \_ كل ما هم عليه من تقديس المادة و اتباع الاهواء و التعبد لمطالب النفس و الجدد تحت ستار الاستدلال العقلي و ادعاء المذهب الطبيعي . و لكن قد تسللت الحرة الآن من الحقيبة \_ كل يقول المثل الانكليزي \_ و بلغ من مخالفة القوم للمقول و معارضهم للنواميس الطبيعية ان لا يحكن ان يغطيها ستار ، فجاؤوا لذاك يعلنون بثورتهم على المقل و الطبيعية كل الاعلان . وقد فجاؤوا لذاك يعلنون بثورتهم على المقل و الطبيعية كل الاعلان . وقد وقمت هذه الثورة في كل ناحية من نواحي الحياة ، من بيئة المنم و الفلسفة الى مادونها من أو صاط الاجتماع و السياسة و الاقتصاد ، و يعترف جميع الى مادونها من أو صاط الاجتماع و السياسة و الاقتصاد ، و يعترف جميع القادم و الزعماء لهذا العالم الجديد ـ اللهم الا نفر من المنافقين و النازعين الى القديم ، منهم \_ بان الغلبة و السيطرة على حضارتهم هي المرغية و الحاجة فحس .

وأما المستفريون المتفرنجون من أهل الشرق فيتخلفون عن أتمتهم بعد بخطوات. وانه الم تفتضيه التربية والتعليم والبيئة الفكرية والعوامل 
الحضارية والمدنية التي تمت تحت ظلالها نشأتهم العقلية النينشأ في هؤلاء أيضا 
ذلك التقديس لكل ما هو مادي محسوس وتلك المبودية المرغبات 
والحاجات. وقد نشأ فيهم كل ذلك بالفعل. ولكن القوم لم يبلغوا من 
ذلك بعد حيث تشلل الهرة من الحقيبة. انهم لا شك يظاون يقولون في 
خظيهم وكتاباتهم انهم لا يخضعون الا لهداية العقل والطبيعة فيجب ان

لا يعرض علمهم الا الاستدلال المقلمي المحض ، وانهم لن يدعنوا بشيء لايثبت بالادلة العقلية والشواهد الطبيعية . ولكنه تخنى في داخل هــذا الوعاء الظاهر من الدعوى والاعلان نلك الهرة التي لا علاقة لها بالمقل او بالطبيمة . فان انت حللت مقالاتهم تبين لك ان عقولهم تمجز عرب ادراك المعقولات ومشاهدات الوجدان الطبيعي ، وأن الذي يدعوه هؤلاء و الفائدة العقلية ، أن استقصيت حقيقته علمت أن المراد بـ ه هو ه القائدة التحربية ، و د الفائدة التحربية ، مي ما يكون له جرم ووزن ، وما يكن ان بعد او يقاس . فكل مالا يمكن أن تبين لهم منفسته بصورة الاعداد الاحصائية او بالوزن في كفة الميزان او بالقياس بالذراع ، لم يكن هؤلاء ليعتبروه نافعاً ومفيداً . وما دام الامر لاتثبت لهم منفعته على هذا الوجه المخصوص فان اتباعه عند القوم أمر يعبرون عنه بـ ﴿ الطريقة اللامنطقية ي . وأما إلهام الطبيعة الذي هم يدعونُ اتباعه فتفتضح حقيقته أيضاً بقليل من النقد والتحليل . وذلك انه ليس المراد بالطبيمة عندم هو الطبع الانساني ، بل المراد هو الطبيع الحيواني الذي يخلو من الوجدان وشهادةالقلب المدرك ولا بشتمل الاعلى الحسوالرغبة ومطالب النفس والجسد . فالمشهر المند به عنده هو مجرد الاشياء الـتي يمكن ان تؤثر في الحواس وترضي الرغبات وتفي بمطالب النفسأوالجسد والتي تقع منفعتها تحت مشاهدتهم على الفور ۽ وتغيب مضرتها عن الانظار أو تبدو في رأيهم أنل وأهون من جانب المنفعة . وأما الاشياء الـتي هي من مقتضيات الطبع الانساني والتي محس بأهميتها المرء في وجدانه ، والتي لبست منافعها أو مضارها حسبة مادية بل هي روحانية معنوية ، فهي كلهـــا أوهام وخرافات وأمور هيئة لايكترث لها ، ومن الرجبية والتوهم

والاظلام الفكري ان بهتم بها ألمر • في شيء بل يقر حــق بوجودها . فيجانب كل هـــــذا الانحراف عن العقل والطبع ، وبجانب آخر ذاك الادعاء لمراعاة مقتضيات العقل والطبيعة . ويبلغ من افلاس العقل نفسه انه لا يحس أبدأ بهذا الجمع بين النقيضين الصريحين ا

إِنْ أَمَلِ مَا يَنِهُمِي اللَّهِ يَمَالُ المَّرَّ مِنْ فَائْدَةَ النَّطْيِمِ وَالنَّهَدِّيبِ الْفَكَّرِيَّ أَن لايدة في أفكاره تشابك ، ولا في آرائه اضطراب وتنافر ، بل بتسنى له ان يختار أسلوبا واضحاً قويما للفكر والرآى ء يرتب القدمات على الوجه السديد فيستخلص منها النتائج الصحيحة ، ويسلم من الوقوع في الاخطاءالواضحة كالجمع بين النقيضين وخلط مواضيع البحث وواكنانجد عامة أصحابنا المثقفين – اللهم لا من رحم ربك – محرومين من هذه الثمرة الباكورة للتربية العقلية فهم لابكونون من الحصائــــة والرشد بحيث محددون موقفهم الصحيح قبل ان ببدأوا البحث في مسألة فلمنية ، ويفهمون بمد ذلك مقتضيات هذا الموقف وبراعونها فديا يختارون من خطة للمناقشة والاستدلال حتى تأتي متضامنة مع موقفهم ذلك . وانت إن تتكلم معهم أو تقرأ ما يكنبون تشمر لاول وهلة ان افكارهم فيهما كثير من الماضلة والتعقيد ، وان الرجل منهم ببندى. البحث في مسألة ما من موقف بسينه ، فإذا خطا في البحث خطوات حول موقفه الاول الى موقف ثان مختلف، ويعد خطوات مزيدة في البحث اتخذ موقفاتا انا جديداً . لنهم لم يتعلموا حتى الآن كيف تنتخب المقــدمات بروية وتدبر 

لكتاباتهم أو السامع لكلامهم لا يسدري من أول حديثهم إلى آخره ماذا أراد الباحث الفاضل في الحقيقة وما هي المسألة التي كان يقصد بحثها وما الذي أثبته وبرهنه .والسبب لهذا كله أن اتجاه الحضارة الحديدة ومايتيمه من اتجاه الثمليم المصري هو في الأغلب إلى الشؤون المادية والحسية . إن هذا التمليم لا شك يتير الرغبــــات في النفوس وبقوي إحساسهـــا بالطالب والضرورات ويؤكد أهمية الهسوسات في القلوب، ولكنمه لا ير بي العقل والذهن ولا يشحذ مقدرة النقد والنمييز . وينفل كل الاغفال عن تهذيب النفس وتنوير الأفكار . وهو فوق كل ذلك يخل بالتوازن المقلي في المرء بما يبعث فيه من الميل المنظر ف إلى الماديات. فالذين بخر جون من الجامعات متحلين مهذا التمليم فلا ريب بغلبهم الزعم بكونهم عقليين ومفكرين ، وهذا الزعم هو الذي تجملهم بنقدون كل شيء نقداً عقلبًا ومجحدون بكل ما لا يسوغ منها في عقلهم ، ولكن ذهنه يكون في الحقيقة متحرفاً عن مقتضى العقل ولا تكون فهم الأعلية المطلوبة لتصفية مسألة ماعلى الطريق العقلي الصحيح، أو تكوين أي سديد في أمر من الأمور.

و تظهر هذه و النزعة المقلبة ، غير المنطقية أكثر ماتظهر في المسائل التي تتعلق بالدين ، لأنها هي المسائلاتي تصطدم مبادئها الروحية والخلقية والاجتماعية والممرانية بنظريات النرب في كل نقطة وفي كل مكان ؛

تكلم مع رجل مثقف بالنقافة الانكليزية في مسألة دينيـــة، واجمله على سبيل الامتحانالذهنيته – بعترف قبل كل شيء بأنــه مسلم. ثم - ١٣٩ – ثمن والحضارة مـــه

امرض عليه حكما "شرعياً مدعماً بسند ، تجده بهز كنفيه وبقولكنطقي مؤمن بالمقل : هذا من خرافات رجال الدين . اثتوني بحجة عقليـة على الأمر. وإن لم بكن عندكم تلك الحجة وكان كل ما بيدكم مقصورًا على المنقول . فاعفوني من الاتفاق معكم في الأمر . وهذه الجملة أو الجملة إن من كلام الرجل تفضح السر أن الرجل لم يتشمم رائحة المذهب المقلي، ولم يعرف المسكين حتى بمدالتمليم والتربية العلمية المستمرة على السنوات الطوال أنه ما مي المقنضيات العقلبة لطلب الحجة وماذا تكون المنزلة الصحيحة لطالب الحجة و البرهان . إن المرء عكن أن يقف تحاه الاسلام موقفين اثنين لا غير : أحدهما أن يكونسلماً والآخر أن يكون كافراً . وإن يكن سلماً فعني إسلامه أنه قد آمن بأن الله هو الإله المسود وأن محداً عِنْكُ رسول من عنده، وقد أقر بأن كل ما بلغه الرسول عن ربه سيتبعه بدون سؤال أو نقاش . فلم يبق له إذن أن بطلب الحجة العقلية في كل واحد من الأحكام الشرعية على حدة وليس له من حيث هو مسلم إلا أن يحقق في حكم بسينه هل أمر به الرسول أم لم يأسر . ومــــــى أثبت بالحجة التقلية أنه قد أمر به الرسول فليس له إلا أن بخضتم له وبتبعه . إنه يجوز له أن يطلب برهاناً عقلياً للحكم اطمأ نينة قلبه وزيادة بصير ته فيه، ولكن بعد أن بطأطيء رأمه لاتباع ذلك الحكراما اشتراط الحجة المقلية للاطاعة،ورفض الاطاعة إذا لم تتهيأ تلك الحجة أو لم تعامئن إلىاالنفس الكفر ، والحال أنه اعترف بكونه مسلماً عند ابتداء البحث . فالآن إذا

اختار لنفسه موقف الكافر فموضعه الصحيح ليس داخل داثرة الاسلام بل خارجها . وبجب أن بكون — قبل كل شيء — من الشجاعة الأخلاقية محيث يخرج من دائرة الدين الذي لا يؤمن به في حقيقة الأمر . فاذا فعل اعتبر حقيقاً بأن يطلب الحجة العقلية وبأن بجاب إلى طلبه .

هذه القاعدة من مقتضيات المقل السلم ولا يقوم بدونهــا تنظيم أو خابطة في هذه الدنيا . ولا يمكن أن تقوم حكومة في الأرض — ولو لساعــة - بطالب كل فرد من أفراد رهاياها بالحجة المقلبة على حكمهـــا وبرفض اتباعه بدون تلك الحجة . وكذلك لا عكن أن يكون حيش ما جيشاً بمعنى الكلمة إذا سأل كل جندي منه عن السبب وراء أمر القائد. وحمل اطمئنان قلبه نفسه شرطاً في انباع كل مابؤمر به . ولا عكن أن محاول اقناع كل فرد من الأفراد على حدة ، ولايطاع أمر من أموره مالم يطمئن إليه كل واحد من أوراد ذلك النظام . وإغا الحق أن كل نظام يدخل قيه للرء يدخل جذءالفروضة الأساسية البدائية أنه بمتقد بالسلطة العليا لذلك النظام اعتقاداً كلياً ويذعن لحاكميتها . لذلك ما دام المرء جزءاً لهذا النظام فإنما واجبه أن يطيم تلك السلطة المليا سواء اطمأنت نفسه إلى أمر جزئي من أوامرها أم لم تطمئسن . إن عصيان المرء لأمر من أوامر السلطة على سبيــل الاجرام شيء مختلف ، وعِكن أن يبقى المرء داخلاً في نظام مع عصيانه لبمض جزئياته . ولكنه إن جاء يتطلب اطمئنانه الذاتي ويشعرطه لاطاعته في جزئية بمينها من تلك الجزئيات مهما

صفرت ، فافه قد أبي \_ في الحق \_ الاقرار بحكم السلطة العليا . وهذا إن ارتكبه رجل في نظام حكومة حاكمته السلطة باتهام الغدر ، وان ارتكبه في جندية سيق إلى محكمة القضاء المرفى ، وإن فعل ذلك في مدرسة أو كلية اتخذ الاجراء لطرده منها ، وإناقنرفه في دين حكم عليه بالكفر ، وذلك بأن مثل هذه المطالبة بالحجة العقلية لا يسمح بها لأي فرد في داخل أي نظام من النظم وليس المقام الصحيح لمثل هذا الطالب للحجة داخل ذاك النظام بل خارجه . فعليه أن يخرج من دائر ته أولاً ثم بعترض عليه كما يشاء .

هذه القاعدة هي الأصل والأساس في تنظم الاسلام. فإن الاسلام لا يسدر الأحكام قبل كل شيء ، بل هو يدعو الانسان إلى الايان باقة والرسول ، ويركز على هذا كل ما هناك من الأدلة والحجج . فيو يعنى بأن يقنع الانسان بكل حجة عقلية وكل شهادة من شهادات الفطرة الانسانية بان الله الواحد هو إلحه ، وأذ عداً وتنافي من ساحه في هذه المسألة فكل ما شئت من البحث والتدقيق المقلي فلك أن تعالجه في هذه المسألة الجوهرية ، ولئن لم تطمئن نفسك إلى الاسلام بأية حجة أو دليل ، فلن يكر هك أحد على الدحول فيه ولا يجري عليك حكم من أحكام الاسلام ولكنك متى احترت لنفسك هذا اللدين بعد ذلك البحث والامتحان، كنت ولكنك متى احترت لنفسك هذا اللدين بعد ذلك البحث والامتحان، كنت في منزلة و المرام على من أحكام الاسلام في منزلة و المرام على الحجة والبرهان الكل أمر من أوامر الاسلام وتكون إطاعتك لتلك الآوامر موقوقة على طمأنيتك القلبية . وإغا

كان واجبك الاول بعد أن أصبحت مسلماً أن تطأطى وأسك لاتباع كل ما يبلغك من أوامر القمور سوله . (إغا كان قول المؤمنين إذا دُعوا الى الله ورسوله لبحث بينهم أن يقولوا سمعنا وأطمنا) (١٠) ان الاعان وطلب الحجة المقلية كشرط في الإطاعة والإذعان أمران متناقضان لا يسوغ العقل السلم اجماعها أبداً . فالذي هومؤمن لا يمكن ان يكون طالباً للحجة بحكم مغزلته هذه ، واما الذي هو طالب للحجة المقلية على هدا النحو ، فلا يمكن ان يكون مؤمناً (وما كان يكومن ولا منومنة إذا قضى النحو ، فلا يمكن ان يكون مؤمناً (وما كان يكومن ولا منومنة إذا قضى النحو ، فلا يمكن ان يكون الهم الخيرة من أمرهم) (٢).

إن العمل الجمار الذي قد قام به الاسلام في محيط الاصلاح والتنظم برجع الفضل فيه كله إلى هذه القاعدة المتينة . قالدي بهي عنه الدين بمد تقييت الإيمان في القلوب ، انتهى عنه جميع الومندين . والذي آمر هم به جرى العمل عليه باشارة واحدة في ملايين من بني آدم ولو أنه وجب تقديم الحجيج العقلية لكل أمر من أمور المدين وتوقفت إطاعة الا وامر على تبيين المنافع والمصالح لكل أمر ونهي ، لما أمكن أن يتحقق إلى يوم القيامة ذاك الاصلاح لا خلاف الإنسان ودلك التنظيم لا عماله الذي تم على بد النبي عين عدة قليلة لا تربو على ١٩٣ عاماً

على أنه ليس المراد بذلك أن أحكام الاسلام مخالفة للمقل او أنحكماً مها صغر من أحكامه الجزائية يخلو من حكمة أو مصلحة ، وكذلك لايمني

<sup>(</sup>١) النور : ١٥ .

<sup>(</sup>٢) الأحزاب: ٢٦.

ذلك الاسلام يطلب من متبعيه تقليداً أعمى و عنمهم من البحث عن الاسس المقلية والفطرية لا\*حكامه ومن تفهم مصالحها وحكمها. بل الحقيقة هي على عكس ذلك. والتدبر والتفكير لازم لاتباع الاسلام على الوجــه الصحيح المرضي . لا ثن الانسان كام أدرك حكمة الا عكام ومصالحها أ كثر كان اتباعه لها أصح وأ كمل. ومثل هذا النفهم والتبصر لا يصد عن الاسلام بل هو بشجع عليه . ولكنه شنان ما بين التحقيق المقــلي الذي بنبع الاطاعة والامتحان العقلي الذي يتقدم الاطاعة ويكون شرطاً مشترطاً فيه . فالسلم يطبيع قبل كل شيء إطاعة غير مشترطمة ثم يجهد لإدراك مصالح الا حكام. وأبس من الضروري ال محيط فهمــه بمصلحة كل حكم . وإنما قد حصل له في الحقيقة اطمئنان تام إلى ألوهية الله ورسالة الرسول. وهو يربد مزيداً من الطمأنينة في الجز ثبات متوخياً البصيرة الكاملة . وإن حصلت له هذه العلمأنينة شكر الله ، وإنام تحصل له ، ظل بطيع الا حكام فياجا بلا حرج في النفس بفضل ذلك الاطمئنات الحاصل له بالله والرسول. فأين هذا الطلب للحججة العقلية من ذالةالطلب الذي بقدمه المرء عند كل خطوة ، و بقدمه مع الايذان بانه إن اقتم بثلك الحجمة سيقبل على الاطاعة والا سيرجع على أعقابه .

وقد سادفنا أخبراً عبارة قدنشرتها جماعة مسلمة تشتمل على المثقفين بالثقافة الجديدة العليسا من المسلمين . وليست ممرضة عن الدين ، بل هي ساعند نفسها - تقوم بخدمة دبنية جليلة . فمن الامور التي تقوم بنشرها و تبليغها باسم و الاصلاح الدبني ، انها تمنع المسلمين من التضحية أيام عيد الاضحى من كل سنة وتقترح عليهم أن الاموال التي يهلكونها في دبسح الانعام يجب أن ينفقوها لاعانة الهيئات والمؤسسات الاقتصادية وتربيسة الايامي والايتام وتهيئة المعاش لذوي البطالة , وقد اعسسترض على هذا التبليغ رجل من المسلمين لم يبلغنا مقاله كاملا ، فالذي قبل جوابا عليه في هذه المسألة هو ما يأتى :

و انه ما عدا اللجوء إلى النقل والتقليد لم نر أحداً بلقي لنا الضوء على المصالح العقلية والتجريبية من وراء عمل التضحية هذا ..... واثن أطلمنا فاضل قبل هذا كله على الناحية المقلية مما يعتقد من وجوب التضحية لاستحق منا الشكر والامتنان ا م

هذه السارة مثال الدهنية الرجال الذين يدعون انفسيسم و متعلين متففين و فيجانب ذاك الادعاء الشديد المذهب المقني و فيانب آخر هذا الاظهار السافر لخالفة مقتضى والمقل و فيانان الجلتان الاثنتان الاثنان قد خرجتا من قلم الباحث الفاضل تشهدان بانه لم يحدد موقفه الصحيح قبل الكلام ، فإن كان يتكلم من حيث هو مسلم ، فواجبه أن يخضع أسام و المنقول و قبل كل شيء و ويكون له بعد ذلك أن بطلب الحجة المقلية بعد أن يطاطى و رأسه للاطاعة أما إن كان ذلك متهشر طا في إطاعته فليس له حق في أن يتكلم في موقف و المسلم و في فن يحترض على ما يشاه من أحكام الاسلام ومسائله و والكن لن يكون له عندلذ ان يلبس جلباب أحكام الاسلام ومسائله و والكن لن يكون له عندلذ ان يلبس جلباب الافتاء فيصدر وتواه في أمر من أمور المسلمين الدينية . أما صاحبا الفاضل فيتخذ كلا من هذين الموقفين المتعارضين في آن واحد ، ولكنه الفاضل فيتخذ كلا من هذين الموقفين المتعارضين في آن واحد ، ولكنه

لا بني بالمقتضيات المقلية حتى لموقف واحد منها . فبجانب لايقوم الرجل مقام المسلم فحسب بل يتبوأ منصب المفتى الدبني ، وشأنه بجاف آخر أنه يستخف و بالمنقول ، واذا آثبت له كول الحكم و حكما دينيا ، بواسطة النقل فانه بأبى أن يتبعه ويشترط لذاك ان يلقى الصوء على مصالح هذا الحكم المقلية والتجريبية قبل كل شيء . ومعناه أن الرجل ان بقبل حكما ما لمجرد كونه حكم الله والرسول ، بل سيقبله نظراً إلى فوائده المقلية والتجريبية . واثن لم تتبين له نلك الفوائد أو لم يرها الرجل و فوائده عاعنده هو من المقياس ، فانه لا يدان يرفضه وينادي بمخالفته ويحمله حكما و نكداً ، لامعنى له غير ملائم لروح المصر ، بل شيئاً مصراً و تقليداً إسرافياً ، و بدل جهده كفه لصد المسلمين عن اتباعه وياليت شمري و تقليداً إسرافياً ، و بدل جهده كفه لصد المسلمين عن اتباعه وياليت شمري أي عقل هناك يستسبغ الخلط بين هاتين الخطنين المتناقضين والموقفين المتعارضين ؛ ولو فرض أن مطالبة صاحبنا بالحجة المقلية أمر جائز صحبح الا بحب قبل ذلك أن بيرهن أن صاحبنا من ذوي و المقول ، المقول ، الا بحب قبل ذلك أن بيرهن أن صاحبنا من ذوي و المقول ، المقول ، العب قبل ذلك أن بيرهن أن صاحبنا من ذوي و المقول ، والمقول ، المقول ، المعرف المقول ، المعرف الم

إن الفائدة و المقلية ، و و النجريبية ، ليس الراد بها في الحقية. ة شيء معين معلوم ، بل هي شيء نسبي إضافي . وذلك أن عقل رجل من الرجال بعتبر شيئاً ما نافعاً ومفيداً وعقل الرجل الآخر بحكم على نفس النبيء حكما بخلافه ، وبأتي الثالث فيقر ينوع من المنفسة في ذلك الشيء ولكنه لا يعيره اهتمامه بل يظن شيئاً آخر أكثر منفعة منه . وبحال الاختلاف أوسع في دائرة الفوائد النجريبية . فال و الفائدة ، أمر تختلف فيه نظرية كل امرىء عن الآخر . وبناه على هذه النظرية يرتب المرء نجار به نفسه أو تجارب النير فيحكم عليها يأنها مقيدة أو غير مفيدة . ثم

هناك رجل يطلب النفع العاجل ويظن للضرة العاجلة شيئاً واجب الحذر فلا بد أن يكون اختياره مختلف عن اختيار الذي ينظر إلى عواقب الأمور . وثمة كثير من الاشياء فيها نوع من المنفعة ونوع آخر من المضرة ، فيحتارها رجل لانه برض قبول المضرة لاجل الفائدة المرجوة منها على جانب آخر ، وبجننها ثان لانه برى أن مضرتها أكثر من منفحًا . ثم يوجدهناك كثير من النمارض بينالفوائد المقلية والتجريبية فمن الاشياء ما هو مضر من ناحية النجربة، ولكن العقل محكم بانه ينبغي أن تحتمل مصرته لاحل ما فيه من فائدة عقلية كبرى. كما أن هناك من الاشياء ما هو مفيد من الناحية التجريبية ولكن العقل يفتي بانمه بحب اجتنابه لتفادي مافيه من مضرة عقلية . وما دام كل هذا التمارض بين أحكام النجربة وأحكام العقل ، فليس من الممكن أن يلقي الضوء على الغوائد المقلية والتجريبية لشيء ما على نحو بجمل جميع الناس بتفقون على كونه مفيداً ولا يبقى مجال الانكار لدى أحد . ولا يقف الأمر على التضحية وحدها ، فأي عمل من الاعمال الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة وسائر الاوامر والنواهي الشرعية هو الذي قد ألقى الصوء على فوائده العقلية والتجريبية بحيث يكون الناس قد عادوا برونها لاسة كالشمس الشرقة ، وبكونون بأجمهم قد اعترفوا بها وجروا على التزامها . ولو كان الامر كذلك لما يقى على وجه الارض البوم تارك الصوم والصلاة ولا منكر لاحكام الحج والزكاة . وهذا هو السبب في أنه لم يقف الاصلام أحكامه على فتوى المقل والتجربة لدي كل فرد، بل وضع أساسها على الاطاعة والايمان. فالمسلم لا يؤمن بالفوائد المقلية والتجريبية بل هـــو يؤمن بالله والرسول. وليس مذهبه أن يقبل شيئاً بعد أن تثبت له فائدته من ناحبة النجرية والعقل وأن مجتب شيئاً بعد ما تبرهن له مضرته على محك العقل والتجرية ، بل مذهبه أن كل حكم بثبت من عند الله والرسول هو واجب الاتباع وكل حكم لا بثبت على هذا النحو لا يثبع !

فالسؤال الجوهري في هذا الوضع كله هو أنه هل آمنت بالمقسل والتجرية أم بانة والرسول ؟ فان كانت الأولى فلا علاقه لك بالاسلام ، ومن جعل لك ان تتكام كالمسلم وتشير على المسلمين باجتناب و تقليد ، من تقاليد الارض غير ذات الزرع بدعى سنة ، وان كانست الاخرى أفلا يجب أن تكون موضوع البحث الفوائد المقلية والتجريبية بسل ينبغي أن يبحث ويرى : هل التضحية بجرد تقليد قد ابتدعها المسلمون أو هي عبادة قد رضها الله لعباده وأجراها الرسول في أمته ١٤

## تعافت مذهب التجدد

قد تناول الاستاذ (ن) مجلتنا النهرية وترجمان القرآن، بنقد تفصيلي في عدد يونيو من مجلته المروفة ، فنشكر له هذا الصنبع . ومع أنه لبس من المسول به عامة أن يناقش النقد الذي بظهر في الجرائد والمجلات وبعقب عليه عنله ، ولكن الناقد الفاضل لما أنه قد أبدى في نقده عدا أفكار أ وآراء تنصل بالمادى والأسول المخصوصة لمذهب التحدد الذي هو يعرف به ، ومن أهمة اسد مجلة وترجمان القرآن إصلاحها و تصحيحها، زى من اللازم أن ننتهز أول فرصة سانحة لا بداء الرأي في موضوعها .

وإن الغرض من إصدار عده الحيلة و أي بحلتما ترجان القرآن و طاهر من اسها، وهو عرض مطالب القرآن و تعاليمه على الناس في صورتها الصحيحة المشرقة. ولا شك أن هذا الفرض مفيد ولا ينكر نفعه أحد. ولكن \_ كا أشار إليه رئيس التحرير الفاضل نفسه \_ ليس يسهل تحقيقه في المصر الحاضر. وذلك أن المصور الماضية التي كان الدين فيها عبارة عن مجرد تقليد السلف واتباع القديم لم يكن يصعب على المره فيها أن يتولى عمل المصلح والمبلغ، ولكن الآن وقد جاءت الملوم الجديدة والاكتشافات المصرة بأسلوب مبتكر العمل والتفكير فأسبغت على الأذهان نعمة حرية

الفكر والرأي ، لا يمكن لدين من الأديان أن يحتفظ بوجوده الآن لحجرد أنه يدعو إلى عمل كان يسير عليه السلف وبمرض فكراً كان يفكر في مثله الماضون .

فينا كان البحث بدور فيا مضى حول وحدانية الله فقد أصبح الآن حق وجود الذات الإلتية محل فظر . وبينا كانت تلبت هداية الذي فيا مضى بما أتى من المعجزات ، فقد كادت و العلوم المتناطيسية ، الآن تخرج آلافاً من الرسل والأنبياء بحجة إنبان تلك المعجزات . وكان الواعظ فيل هذا الزمان بجوز له أن يرفع نظره إلى الساء ويدعو إلته المرش والكرسي ، ولكن اليوم وقد تحقق أن الساء ليست بنيء لم يكن عمله ذلك ليفيد اليقين . وموجز القول أن هذا العصر لم يسد عصر و الذين يؤمنون بالنيب ، بل هو عصر ه الذين يؤمنون بالنيب ، بل هو عصر ه الذين يؤمنون بالنجرية والمشاهدة ، وليس من الهين في هذا الوضع الحرج أن يقوم رجل لمناصرة الدين وحمايته على حين أن فكرة الدين نفسه قد أضحت غير مقبولة ،

## ويكثب بعد ذلك :

و إن القرآن الكريم ينقسم باعتبار معانيه إلى أقسام ثلاثة: فالاول يحتوي على تعليم الأخلاق ، والثاني هو الذي قد عرضت فيه العقائد، والثالث هو المشتمل على القصص والنمثيل . أما القسم الأول فلا حاجة هناك إلى أن يكتب فيه المر ، ويدوق الحجج والبراهين في بابه ، لأن التعليم الاخلاقي يكاد بكون سواء في جميع النحل والأديان ، ولا محيص عن الاعتراف بأن تعليم الدين الاسلامي في باب الأخلاق لا يختلف ولا

بقصر عن تعلم الأدبان الأخرى . أما القسمان : الناني والتالت فيجب ولا شك أن يوليها الباحث أكثر العنابة ه لأنها ها اللذان قد جاءت العلوم الجديدة والاكتشافات العصرية تبعث الربية والشك في أمرها في نفوس الناس ، والواقع أنه إن وفق رجل في إزالة كل هذه الشبات من أذهان الجيل الحديث، فانه سيكون حقيقاً بأن يدعى مجدد هذه المائة ، ولذلك من نصحنا لصاحب الحجلة أن يجعل على سفحاتها باباً مستقلاً ختصاً جدا الموضوع ، يستقصي فيه جميع الآبات القرآنية التي زلت مخصوص المقائد والقصص ، وبعين معناها ومدئولها على الوجه الصائب الممقول ، وبدفع بذلك نلك الاعتراضات التي يوجهها الآن أهل العلم والتحقيق الحديد ،

و بكنب في ختام نقد. :

و وإنا ندعو صاحب الحجلة أن يبتدى - قبل كل شيء - بالكلام على حقيقة الوحي والإلهام لأنه على فهمها يقف فهم حقيقة كلام الله، وبالكلام على مسألة المساد لأنه على حلها يتوقف اختيار المرء للطريقة الدينية أو اللادينية ، ونحن نحب أن نرى أي سنى يعنيه صاحبنا للكلام الإلهي والمعاد ، وصنمرض بعد ذلك شبها ننا واعتراضنا في الموضوع ، وإن فازت جهود صاحبنا في إزالتها سررة بالا مر جداً ، لا أن شناعة و الاعان التقليدي الاضطراري ، التي قد وقع فها كتير من الناس من أكبر أسبامها عقيدة المعاد أيضاً » .

هذه مقتبسات من مقال الناقد الفاضل . وإنا نترك المسائل الفرعية

والجزئية التي قدالم بها في نقده و نتناول بالبحث المسائل التي تنصل بالاصول. إن صاحبنا قد قسم مباحث القرآن الكريم على أقسام ثلاثة . ولكنا نستطيع أن نقسمه على قسمين اثنين بيسر وسهولة . فالقسم الا ول يحتوي على الا"مور التي هي خارجة من حدود علمنا أو هي فوق إدراكنا والتي لا نستطيع أن نحكم بكونها صحيحاً أو خاطئًا بالجزم ، وإنما يدعونا القرآن إلى أن نؤمن بها على النب . والقسم الثاني بتضمن الا مور التي لا تخرج من دائرة علمنا ولذلك بمكننا أن نحكم في أمرها حكما جازماً قطمياً . فيدخل في القسم الأول: الوجود الإلهي والصفات الإلهية ، والملاثكة والوحي والكتب الماوية وحقيقة النبوة والبعث بمد الموت ونظام العقوبةوالثواب في اليوم الآخر وما عــــدا ذلك من الا\*مور التي تعلو على حدود العلم والادراك الانساني ، عا ورد في القرآن الكريم في ضمن القصص والهاثيل، سواء أكانت هذه الا مور فوق الادراك الانساني العام بحكم فوعيها أم كانت كذلك لكوننا لا تصلح لائن نحكم بصدقها وصحتها ما دمنا فيهذه المائزلة المقلية والعلمية التي نحن فيها الآن . وأما القسم الثاني فيدخل فيسه جميع الاثمور التي ترتبط بمبادىء نعلم الحكمة وتزكية النفوس وتنظم الحياة الانسانية في الاسلام .

وحديا برى الناقد الفاضل لا حاجة هناك إلى البحث في القسم الثاني لا نه يتساوى فيه الاسلام والديانات الا خرى . وإنما البحث بجب أن ياشر في القسم الا ول وحده لا نه لم تطرأ على النفوس حالة الربية والتردد إلا في تلك الا مور التي تدخل في هذا القسم . أما السؤال عن السبب

وهذا الرأي يقوم على أخطاء . أولها عــدم التفطن لانفرق الحقيقي بين العصر الماضي والمصر الحالي. ومن سوء الحظ أنه قد وقم لا الاستاذ ( ن ) وحده ، بل طائفة كبيرة من أمثاله في الظن الخاطيء أنمشمل الدن كان لا يمكن أن بضيء إلا في ظلام المصر الماضي ، ومن المحــال جداً ال يضيء في هذا المصر الذي قد أشرقت فيه شمس العلوم الجديدة. والحال ان الملوم المقلية التي يعبر عنها صاحبنا بضياء الشمس لاتخص هذا الزمان وحده ، بل ان ضياء هذه العلوم قد برقت له الأبصار في الزمان المَّابِر آيضاً ، وكان الذين برقت أبصاره للألائها في الزمان النابر أيضًا يظنون أن مشمل الدين لا عكن أن يبقى مضيئًا الآن ، إذ أن العلوم التي كانت بمنزلة ، الملوم الجديدة ، في ذلك الزمان والا كتشافات التي تستبر « الا كشافات المصرية ، عند لذ كانت - على حد رعمهم - قد جاءت بأساليب مبتكرة للممل والتفكير واسبغت على العقول نعمة حربة الفكر والرأي على وجه لم يدع مجمالاً للقوم لأن ديؤمنوا بالنيب ۽ في عصرهم المتنور . أفلم تحدث هذه الحالة في تاريخنا من القرن الثاني بمد الهجرة إلى القرن الرابع ؛ وهل رأبت أنه لما انتشرت في البلاد الاسلامية أفكار

افلاطون وأرسطووا بيقوريس وزينو وبرقليس والاسكندر والفردوس وفلاطينوس ومن سواهم من علماء الفلسفة والحكمة ، فطلع علمها بذلك عصر التفكير الفلسني والاجتهاد المقلي الجديد ، ألم تظن طائفة من الناس حينتُذ عين ما تفلنه الآن طائفة منا ؟ وهل لم تدفع الناس موجة و حربة الفكر والرأي » و « الاسلوب المبتكر للممل والتفكير ، فيذلك الزمان إلى الربية والشك في عقائدهم الدينية؛ ولكنه ماذا حدث بعد ذلك؛ حدث أن وجدت تلكم المسائل النظرية والقياسية الكثيرة التي عرضها الفلاسفة وآمن جما كثير من الناس باطلة مخطئة بمد ، وأمست شمس الحكمة والماوم التي كان الناس يرون مشمل الدين يخفق ويتضاءل أمامها منكسفة مظلمة في دورة واحدة من دورات الحدثان ، وانقلبت د العلوم الجديدة ، عندهم علوما دمتقادمة عولم تبق في داكتشافاتهم المصرية عقوة لا بداع د الأساليب المبتكرة ۽ للعمل والتفكير . وأصبحت الا"ساليب المبتكرة التي كانت ابتدعتها فيا قبل قديمة مزمنة . وانتهى الا مر إلى أن الاسنتباطات المقلية التي قد بأشرها القوم بناء على إعانهم وثفتهم الكاملة باكتشافات عصرهم والتي أسسوا عامها مذاهب الفلسفة والحكمة ، قد بلغ من هوانهـــا اليوم أن لا يتحرج من تنتيد أكثرها طالب عادي من طلاب هذا المصر .

فالآن إذا كان يزعم أحد أن مشمل الدين كان بمكن أن يضي، في ظلام المصر الماضي ولكنه لا يمكن أن بضي، في عصر النور هذا ، فانه ليخيل إلينا أن الناريخ يعيد نفسه . والاشتياء التي يسمونها اليوم والعلوم الجديدة ، و ه الا كتشافات المصرية ، ويدعون بنا، عليها أموراً ادعتها

أسلافهم في الغابر ، انا فعثقد أن أكثرها سيلقى المآل الذي لقيته والعلوم الجديدة ، و و الا كتشافات المصرية ، لمهد السالفين، وإن هذه الا سالب المبتكرة للممل والتفكير أيضاً ستبلى وتندرسلامحالة مع مرور الزمن . وإن أنت أمنت في جميع هذه العلوم والا كتشمافات التي هي مفخرة الجيل المتجدد الحاضر ، وسألت عن أمرها الرجال الذينهم محققو تلك الملوم وممالحو تلك الاكتشافات أنفسهم علمتأن هذه أبضا \_ كالملوم الماضية ... تحوي عنصراً قليلاً جِداً من الحقائق البقينية التي يمكن أن يقال عنها بثقة انه لا إمكان ليطلانها فيما بعد , وأما ما سواهم من مضامين تملك الملوم فكانها ظنون وأقيسة ونظريات وشكوك واحتمالات عقلية قد يقال عنها بجزم أنه كلم خطا الزمان خطوات نحو الرقي لبست هسمده والملوم الجديدة ، و و الا كتشافات المصرية ، كسوة الخلوقة والقدم وعادت و الاساليب المبتكرة للعمل والتفكير ، التي هي مدينة بوجودها لهذه العلوم والاكتشافات نترك الحجال لاساليب مبتكرة اخرى .

فإذا كان الواقع هكذا فليس هنـ اك ما مجمل عاقلا ذا حلم وبصيرة بخاف أنه وقد جاءت والعلوم الجديدة هو والاكتشافات المصربة ه بالاساليب المبتكرة للعمل والتفكير وأسبغت على العقول نعمية وحربة الفكر والرأي مـ قماذا يكون مصير الدين ! والها شأنه أن يمتحن تلك الملوم والاكتشافات بنظرة فاحصة ليعلم أن جوانبها التي هي متدارضة مع الاسلام هل هي يقينية في نفسها أم لا ، فان كانت من اليقينيات حقاً وكانت بجانب آخر متمارضة سم المتقدات الحقيقية التي يقوم عليها نحن والحضارة مـ٠١

- 150 -

الدين ، كانت هناك أزمة ولا شك وتساءات نفسه هل يؤمن بالدين او بتلك النتائج اليقينية للبحث والتحقيق . ولكنه ان كانت تلك الجوانب المتمارضة مع الدين مجرد أفيسة ونظريات ، او كانت بما يدفع المرء الى الربية والشك فحسب ، لم يتهيب من تصادمها مع الدين ، لانه ان كان الذين قائمًا على دعائم اليقين والاذعان فلا عبرة بالظن والقياس والشك والتردد بازائها . وان كان الدين شيئًا مبنيًا على الظن والقياس ، فهذا الظن والقياس هو الائساس للنظريات الملمية الجديدة أيضاً . فم يرجع أحدهما على الآخر ؟

ان التهيب المادم الجديدة والاكتشافات المصرية والنظر الى الدين بقصد الاصلاح والترميم الما هو مذهب من قد رسب في نفوسهم ان كل جديد هو العلم والاكتشاف ومن اللازم لمسايرة المصر أن يتقبله المرء أو يؤمن به وان كان مجرد قياس او نظرية وكان القوم لم يتحتوه على محلت النقد الصحيح ببصيرة علمية نافذة . وهؤلاء هم الذين قسد ولموا بابتداع الاساليب المبتكرة للممل والتفكير وان كانوا لا يمرفون كيف تبتدع تلك الاساليب وأي الاساليب تكون رشيدة معقولة وأيها تكون سخيفة من خصيصة أهسل النظر السطحي ، ولكنهم لا يعلمون ان مجرد حرية من خصيصة أهسل النظر السطحي ، ولكنهم لا يعلمون ان مجرد حرية الفكر والشعور فننة وحالة خطرة ان لم يصحبها علم واسع محكم ونظرة بالنة عميقة وذهن متواز نصحيح الفكر . وكل هذا مالا تجود به الفطرة بالناس بالسخاء الذي يفرضونه في هذه الايام .

المصر عصر ه الذين يؤمنون بالنيب ، بل همو عصر ، الذين يؤمنون بالتجربة والمشاهدة ۽ . وانا لم تستطع حتى بعد كثير من التأمل ان ندرك المقصود الحقيقي الذي عناه الفائل من وراء كلمته هذه . الكان المقصود ان هذا المصر لايؤ من فيه بشيء يدخل في نطاق النب ولا بعالج التجربة والمشاهدة ، فهو خطأ بالمرة . لان معناه بعبارة أخرى ان الناس في هذا الزمان قد ارتضوا ان يستوا داخل الحدود التي بمكن ان تكون نجر بتهم ومشاهدتهم فها وسيلة لاكتساب العملم والتي بمكنهم ان يستخدموا فيها حواسهم ، وان الانسان قد د ترك النفكير فيما مخرج من تلك الدائرة من الامور وألني ان محمكم في بابها بالقياس والاستقراء. واكن كل من أثبيجت له ولو نظرة عاجلة في و الدلوم الحديثة والاكتشافات المصرية، لن يقبل هذا القول. دع الفلسفة وعلوم ما بعد الطبيعة التي تبحث تماماً في أمور الغيب. وخَذَ العلم التجربي وأدوره الطبيعية التي انما يمتمد عليها صاحبنا حينها ينادي بالابمان بالتجربة والمشاهدة ، قأي ناحية من نواحيي هذا الفن لابتوقف تحقيقها على الاقرار بالقوة والطاقة الكامنة ، وقانون الطبيمة ، والمادة والنسبة والعلة والمعلول وما اليها من الامور . وأي عـلم من علوم الطبيعة لا يؤمن بهذه الا مور ٢ ولكن اذهب الى خبير من أكابر خبراء العلوم النجريبية واسأله : أي هذه الامور هو يعلم حقيقته وأيها قد أدرك كنهه بحواسه ؛ وأبها قد جرب أصل وجموده وشاهده بأم عينيه ؟ وأيها عكنه ان بقــدم النبوث القطعي لوجوده ؟ ان لم يكن هذا كله من الايمان بالنيب فأي شيء هو ٢ .

وقد يكون المنى الآخر لكامة صاحبنا ان هذا الزمان لابؤ تمن فيه الا بالتي، الذي قد جربه وشاهده جميع البشر والذي همو عند جميع أفراد النوع الانساني بمنزلة الحاضر والمشهود ، ولكن حدة الكلمة لاتخرج من فم امرى، عاقمل . لانه من البديهي ان جميع الملومات الانسانية ليست حاصلة للافراد الانسانيين على حدثهم وانفراده ، بل ان جانها الاكبر يتخصص فيه الجاعات الممينة والافراد الملومون ، وتكون كل شعبة من هدف الملومات المخصوصة في حكم ، الحاضر ، للمالمين الاخصائيين في موضوعها وفي حكم ، الغائب ، نسائر أفراد البشر ، ويضطر الجهور الى ان يؤمن - على الغيب - الذلك الرجل أو لتلك ويضطر الجهور الى ان يؤمن - على الغيب - الذلك الرجل أو لتلك الطائفة التي تكون خبيرة فها ،

وقد بكون المفهوم الثائث لهذا الحكم الكاني الأكل امرى، في هذا الزمان لا يؤمن الا بما يدخل تحت تجربته أو مشاهدته الشخصية ولا يؤمن بدي، بكون له في حكم النيب. ولكنه قول لا يمكن النيخرج من ذهن الا نسان شيء أسخف منه ،ودلك ال امرءاً جذه الصفة لم يوجد على الارس في الماضي ولا هو يوجد اليوم وان يوجد كذلك الى يوم القيامة . وإن كان مثل هذا الرجل موجوداً في الواقع فلا يحجمن صاحبنا من الا يماء اليه ، لان هذا الاكتشاف سيكون أكبر وأهم من سائر الاكتشاف المصرية .

همن أي وجه نظرت في هذه الحملة التي نقلناها لصاحبنا لم تجدها تقارب الصدق . وإن التجربة والمشاهدة لنفسها شاهدة بأن عصرنا هذا أيضاً عصر من يؤمنون بالنب ، كما أن العصر الماضي . والشيء الذي يقال له و الاعان بالغيب ، لم ينج منه الانسان قط ولا هو يستطيع ان ينجو منه أبداً . و كل امرىء يؤمن بالنيب – وهو مضطر لان بفمل ذلك - في تسع وتسعين وتسمائة ، بل أكثر ، في كل الف من أمود حياته . وهو إنَّ أَخَذَ على نفسه أنَّ لن يؤمن الا بما يأتي نحت تجربته ومشاهدته فانه سيضطر الى ان يقصى عن ذهنه كل ناك الدخيرة من المملومات التي قد أنزلها في ذهنه منزلة العلم واليقين اعتماداً على الغير ء وان بلغي كل تلك الوسائل لاكتساب العلم التيهي خارج تجربته او مشاهدته نفسه. وستكونه ده حالة ان يمكنه الليميش فيها، فضلا عن الله يقوم بممل من أعمال هذه الحياة عاذاك لاعكن النفي الكلى للاعان بالنيبولا الإعان الكي بالتجربة والمشاهدة فيهذا الزمان، وابضاً لا رجي إمكانه أبدأ فيزمان أنوروأشرق من هذا الزمان. واغا الانسان مضطر لامحالة في كل زمان و في كل حال الى ان يؤمن بكتير من الاشباء بدون تجر بتة ومشاهدته نفسه اعتاد أعلى المتبرفسن الامور مايؤمن به المرء للعنجر المتوانر الذي وصل اليعفيه كاان عِلْكُ الانسانُ اذا أكل السم . فهذا لم يجربه كل امرى، لنفسه بأكل السم ولا شهد آخر بأم عينه بموت بأكله . ومنها مايضطر المرء الى الابمان به الشهادات ، فهم إن لم يفعلوا ذلك لاعكن أن بتحرك دولاب القضاء ولو لماعة ، كما أن هناك أموراً بضطر الانسان إلى الاقرار بها لأنه بعرضها خبير اختصاصي في فنها . وهذه الحالة بمر فيها كل طالب علم في كل مدرسة وكل كلية، فأنه إن لم يؤمن الطالب \_ على النيب \_ بالبحوث والاكتشافات والنظريات التي بقدمها أكابر الخبراء في ذلك الفن لم يخط خطوة إلى

الأمام في طريق العلم، ولا استطاع أن يتقدم في عمله الى المتزلة التي تؤهله هو نفسه \_ كأوائك العاماء والخبراء \_ لأن يبحث في الحقائق العامية .

فالثابت إذن أننا نؤمن للغير إيماناً بالغيب \_ ونحن مضطرون الى أن نؤمن كذلك ... في تلكالأمور التيلمنكتسب العلم فيها بتجر بلنا ومشاهدتنا الذاتية ، وقد اكتسبه غيرة فبواجهم بمد ذلك سؤال واحد ، هو الذي يتوقف عليه الفصل في هذه القضية وهو أنه : لأي شخص بجب أت نؤمن ، وفي أنة مسألة ؟ ومن المسلم به مبدئها أنه في كل أمر عن مثل هذه الأمور مجب نؤمن الرجل أو للجهاعةانتي نطمتن إلى أنها تملك أصح الخبرة وأكلها فيهو تتهيأ للمها أحسن الوسائل لمرفته . فتبعاً لهذه القاعدة المامة لا يستشير المربض محاميك بدل الطبيب ، ولا يذهب المرافع الى مهندس بدل المحامي . بيد أنه يقع الاختلاف في مسائل الإلهيات و الروحانية وينشأ السؤال أن هذه المسائل هل يقبل المرء فيها آراء علماء الفلسقة وأسائذة الملوم المقلية أو آراء الهداة الدينيين والروحيين للعالم الانساني؟ أي هليؤمن المرء فيموضوع الوجود الإلهى والملائكة والوحي والالهام والروح والحياة بمد الموت والمذاب والثواب واليومالآخر وما الى ذلك من أمور الغيب، هـــل يؤمن في كل ذلك، يا يقول امثال كانت واسبنسر وآبن شتابن وبرحسان أو بما يدعو إليه الدعاة كابراهيم وموسى وعيسى و محمد عليهم السلام ؟ فالذين ينسادون « محرية الفكر والرأي ۽ عياون الى الطائفة الاولى ويمتحنون دعوة الانبياء عليهم السلام على الحمك الذي عليه آمنوا به ، لا لأن الانبياء \_ عليهم السائم \_ قد دعوا إليها ، بل

لأنها قد حازت قبولاً لدى الحكاء والفلاسفة و ومن سوء الحظ ألامثل هذه الامور فليلة جداً بل هي تكاد تنعدم ، . وأما ما وجد زائفاً على الحك رفضوه كشيء لا اعتبار له . وبخلاف ذلك إن الذين يدعور ه أنصار القديم وأثباع السلف ، يذهبون إلى انه ليس من الصحيح أن يستفسر أهل الإلهيات والروحانيات عن المسائل الطبيعية والعقلية ولامن الصحيح أن يستفسر أصحاب العلوم الطبيعية والمقلية عن الإلهبات والروحانيات . وإنما يختلف اختصاصها وتتبان دائرنا عملها، ومن الخطأ الأساسي الاول أن يستطلع المرء في علممن الملعم آراء خبير في غيرذلك العلم. أن الحركماء والفلاسفة مها كان لهم من عمق البصر في العلوم العقلية فانه لا تسمو متزاتهم في العلوم الإلهية على منزلة عامى ، وليس عندهم من وسائل الملومات في بابها إلا ماعِلكه كل امرىء عادي . وإنما تخنص هذه الماوم بالانبياء عليهم السلام ، فهم الخبراء الاخصائيون فيهما وبيده وحدم الوسائل الحقيقية لمرفتها . لذلك يجب أن يؤمن المرء في أمور الإلهيات والروحانيات بالانبياء عليهم السلام وحدهم . وإن كان لك مجال المناقشة والبحث في هـذا الخصوص فهو في أنه هـل هم صادقون وذوو البسيرة التامة في العلوم الإلهية أم لا ؟ ولكنه إن ثبت أو أثيت لك أنهم في الحقيقة كذلك ، يتحتم عليك عندئذ أن تؤمن بكل ماقاله أو لئك عن علمهم وبصيرتهم . ويكون إنكارك لها وسوف الأدلة والحجج بخلافها كمثل إنكار أعمى لوجود الشمس وتقدعه الحجج لامتناع وجودها تكذيباً للبصراء. فمثل هذا الرجل مها كان فيلسوفاً عظيما عند نفسه فإن الرأي الذي سيراه ذلك البصير الذي يرى الشمس بعنى رأسه في هذا الاعمى الفلسفي الجاحد لامجتاج الى بيات .

وعسى أنْ تسترض أن الذي قد قاله الانبياء عليهم السلام في أمــور الغيب لا تصدقه و العلوم الحديثة ۽ و و الاكتشافات المصرية ۽ ولذلك قد ابتلى الناس محالة « الرببة والحيرة ، و « بالايمان التقليدي الاضطر اري ، ولكنا نسأل أي تلك الحقائق اليقينية من تلك المسلوم والاكتشافات مي التي تتمارض مع الاسلام ؟ إن كانت هناك مثل هذه اليقينيات فهاتوها لنطلع عليها ونفكر في أننا هل نؤمن بالقرآن أو بالعلوم الحــــــديثة والاكتشافات المصرية . وان لم تكن ، وان تكون ، كا يبدو من كلات ه الربية والحيرة ، و ه الايمان الاضطراري ، التي جاءت في كلام ناقدةا الفاضل. فهل العلوم الحديثة والاكتشافات العصرية لاتملك الاأسلحة النظريات الفياسية والظنية التي اعتماداً علمهما قد أعلنت الحرب على المدين ، والتي قد جاء بريقها – لاقوة فتكها – يجمل ء أنصار حربة الفكر والرأي ۽ يؤملون ائر الدين اذا سمـم بهــا هلم جزءاً واضطر من الاهميــة فلا تنسى ان هــذه لم تكن لتفيد اليقــين في أمــور النب . اقصى ما بكون من تأثير هـذه العلوم فيك ان تصاب د بالربية والحيرة ، فتقول انه لاعكن لنا ان نحكم في أمور الوحي والالهام والبت بعد الموت والحزاء والعقاب في اليوم الآخر ووجود الملائكة ووجود الذات الإلهية حكماً قاطعاً بالنفي أو بالإثبات. ولكنه ليس من الممكن الاضطراري ، والتمتم بنعمة الكفر الفيدة برد اليقين لأن هذه السلوم لاتزودك بحجة للجحود القطعي بالا مور المـذكورة آنفاً . وان شيئاً ما

لايكفي القطع بمدم وجبوده ان مجتج بأنه لابرهائ هناك لوجوده. و فالربية والحيرة و اذن هبو المنزل النهائي الاخير الذي تنتهي بك اليبه علومك الحديثة واكتشافاتك المصرية. ولكنه أسوأ المنازل من الناحية المقلية والذهنية. وان العلوم التي لاتستطيع أن ترفد الانسان براحة اليقين ، بل تتركه حبران في موضع لا يجد فيه ملاذاً المطمأنينة والهدوء والتي تدفع به الى ورطة والا عان انتقليدي الاضطراري، لكونه لا يجد برد اليقين في مذهب الكون ، لا رب أن هذه العلوم أسوأ اللائسان من الجهل.

وان كان غة ما يخرج الانسان من هدده الازمة فهو الاعان بالنيب وحده ، فإنك إذا آمنت بأن فلانا من عباد الله نبي واعتقدت أنه يملك البصيرة الكاملة في الملوم الإله ية وو ثقت بأنه لا يكذب أبداً فإنه لا يبقى لك بحال للحيرة والارتباب في أمور الغيب ، ويقوم اعتقادك على أساس محكم من اليقين والاذعان لا يصدمه علم من الملوم الحديثة ولا شيء من الاكتشافات المصرية ولا أسلوب مبتكر للعمل والتفكير ولا غلبة حربة الفكر والرأي في كل مكان ، ولذلك قد صرح الله تعالى في القرآت بأن هذا الكتاب هدى المتقين ، ومن أولى صفات للتقين أنهم يؤمنون بأن هذا الكتاب هدى المتقين ، ومن أولى صفات للتقين أنهم يؤمنون بالنيب . (هدى المتقين الذين بؤمنون بالنيب) والبقرة : عه ، فهذا الايان بالنيب هوالذي يقوم عليه بناء الدين بكمله ، وان هدمت الجذر والاساس فانك لا تستطيع ان تهتدي في أمر المتقدات الدينية الاساسية التي لاوسيلة عندك لمرفة حقيقتها الى رأي تكون موقنا بصحته و يكون باستطاعتك عندك لمرفة حقيقتها الى رأي تكون موقنا بصحته و يكون باستطاعتك

وبيقى السؤال الأخير في هذا المقام وهو أنه عامي الوسيلة لتحقيق ان رجـ لا بعينه نبى في الواقع وله البصيرة السكاملة في العلوم الإلهية ، وهو من الامانة والصدق بحيث ان أخبرنا من أمور النبيب بأشياء تخرج عن حــدود عقلنا وتسمو على منتهى علمنا نؤمن اـــه ونصدق مايسر ض ونستطيع ال نقول مجزم انه لابكذب ؛ هذا السؤال يتوقف حاله على أمرين اثنين : أولهما أن نمتحن السيرة الشخصية لذلك الرحل بأشد وأفسى مابكون من المقياس الذي تمتحن به سيرة إنسانية ، والآخر أن نأخـــذ من دعوته تلك الامور التي لاتخرج عن دائرة علمنا والتي بمكننا أن نحكم فيها حَكَمُ ا عَقَلْهَا مُجْرِم ، فننظر فيها نظر الدارس المتأمل . فإن ثبت لنا كنتبجة الامتحان لسيرته وللجوانب المدركة من دعوته أنه لانظير له في صدقاللقال وأنه بجائبذلك يعلم فيجميع نواحي الحياةاامملية والفكرية تعليها مكتملاً من الحكمة والسعادة والخير لايستطيع العقل الانساني أن يجد فيه منمزًا من أية ناحية ، فلا مبرر هناك لئلا نمتقده سادقا ونظن به سوءًا أنه قد اختلق كل هذا الكذب والغزوبر منوجود الإله والملائكة والمرشوالكرسيوالوحى والالهام والبمث بمدالموت والجنة والنار لمجرد أن يخدم به الدنيا بدون أن يكون عنده علم بذلك .

لذلك فالخطأ الثالث الذي وقع فيه الاستاذ (ن) لأنه لا يعتبر القسم الأول (أي القسم الثاني حسب تقسيمنا) من القرآن جديراً بالبحث، ويظن بعد ذلك أن هذا الجانب تتساوى فيه جميم النحل والأديان او تكاد، ولا يختلف تعليم الدين الاسلامي في بابه عن تعليم الأديان الأخرى، أو يقصر دونه، وبخلاف هذا كله نقول إنما بتوقف الفصل بصدق القسمين،

( التاني والنالث ) ( أي القسم الاول حسب تقسيمنا ) على أن نمتحن سيرة الذي محمد والمنالث و نستمرض القرآن الكريم فننتقد منه ذلك القسم الذي لا يتعلق بأمور النيب وألا نكتفي بقول ان هدذا القسم من التعليم الاسلامي لا يختلف عن تعليم الأدبان الاخرى او بقصر دونه ، بل نئبت بالأدلة والبراهين أن هذا أسمى وأرفع وأجل من كل مايوجد منه عند الأدبان الاخرى غير الاسلام. وما دمنا لا نقطع بدي، في هذه المرحلة من البحث ، فإن من الحطأ المبدئي أن تدخل في المرحلة الثانية ( المتعلقة بأمور النيب) منه . و بدون تسوية البحث في هذه المرحلة الامول لا تمكن النسوية في مرحلة الامور النبية أبداً.

وبربدنا الاستاذ ( ن ) أن نبحت في الماد و ه الكلام الإلهي ه والآيات التي تتعلق بالمقائدوانقصص . ولكن هذا البحث أه عندنا وجهان اثنان وهما يتعلقان بفئتين مختلفتين : احداها الفئية التي لا تؤمن برسالة النبي يَرْبُينَ ، فهي تشك لذلك في هذه الامور والاخرى التي تؤمن برسالته ويناني ولكن تخالجها شكوك وشبهات في أمور الغبب . فاساليب البحث والمناقشة مع هانين الفئتين تختلف و تنبان . لذلك مادمنا لانعلم الى أي الفئتين ينتمي المعترض لا يسمنا ال نتباحث معه في الموضوع .

وذلك ان الفئة الاولى لا يجدي سمها البحث والمناقشة حـول المعاد والكلام الإلهي وسائر أمور النيب لأنه ليس من الممكن الوسول الى النتيجة بالبحث في الفروع مع بقاء الاختلاف في الاسل والجوهر . فالامور التي نحن نؤمن بها من المعاد والكلام الإلهي وما بثملق بوجود

الإله وسفاته ايس إعاننا بها وإذعاننا في بابها آنياً من أن تحقيقنا المقلي او تجر بتنا ومشاهدتنا الذاتية قد أعطننا علماً قطعياً بقينياً في تلك الاسور لا يمكن أن تقام في وجهنا حجة عقلية بخلافه . ولو كان الامر كذلك لكان من الميسور أن نبحت في تلك المسائل بالاعراض عن البحث في الرسالة . ولكن الواقع أن أساس إعاننا وإذعاننا بتلك الامور هو اعتقادنا بأن محداً بالحق في قوله وأن كل ما عرضه علينا مما يتصل برسالته ويكون القرآن الكريم من عند الله هو حق لامرية فيه . ومن همذا ويكون القرآن الكريم من عند الله هو حق لامرية فيه . ومن همذا الاصل بتفرع قوانا بأنه ما لم نجمل رجلاً منكراً لرسالة محد الله يقر وبدّعن بهذه المسألة الاساسية أن نباشر البحث معه في مسألة فرعية .

وآما الفئة الثانية فافا لا نمرف لها حقاً في أن تؤمن بجانب برسالة عد مؤتيني و تنكلم بجانب آخر في أمور النب من جهة ان ما جاء في القرآن وما نبأ به محد مؤتيني هل هو صبح أم خطأ ؛ وذلك انها حالما تقف هذا الموقف من تعاليم القرآن والنبي تدخل في عداد الفئة الاولى. وأو ان المرء من الفئة الثانية حقاً فانه يتحتم عليه ان يسلم بأن كل كلمة جاءت في القرآن صحيحة وأن كل ماعرضه محمد مؤتين سلم الخطأ، وإغا يحق له ان يتكلم في هذا كله من جهتين : اولاهما انه هل جاء هذا وهذا في القرآن في واقع الامر ام لم يجيء ، وهل قال النبي والشيخ هذا وهذا في القرآن في القرآن والسنة في الواقع أم لم بقل ! والأخرى ان الذي قد ثبت بحيثه في القرآن والسنة ماهو مفهومه الصحيح !

وأمر آخر نربد ان نتكام عنه في الختام هو ان الاستاذ (ن) قد اقترح ان يفتح في مجلة د ترجمان القرآن ۽ باباً للمناظرة وأظهر من نيته

انه سيعرض فيه ما يعتريه من الشكوك والشبهات. فأما شغل المناظرة المسطلح عليه عامة فقد اجتنبناه داهًا وزيد ان نجتبه في هذه الحلة ايضاً لأنا لا فود نقاشاً لانكون غايته سوى الرياضة المذهنية والصراع العقلي. وأما المناظرة العلمية التي يكون المقصود من ورائها التحقيق والاثبات والتي بخوضها الفريقان بالرغبة الصادقة في أن يظهرا ماهو الحق عندهما ويؤمنا عا بثبت انه حق، فتحن مستعدون لها في كلحين. فالاعتراضات والشبهات التي ستعرض على صفحات مجلة الاستاذ (ن) ستنقل بلفظها كاملة على صفحات وترجمان القرآن ، وبجاب علها. وكذلك من المرجو أنه إن تناول الاستاذ (ن) جواب وترجمان القرآن، بالنقد نقل الحواب المنتقد بلفظه على صفحات وترجمان القرآن ، وبجاب علها. وكذلك من المرجو المنتقد بلفظه على صفحات بحلته، حق يطلع قراء الحلتين على جانبي البحث المنتقد بلفظه على صفحات بحلته، حق يطلع قراء الحلتين على جانبي البحث المنتقد بلفظه على صفحات بحلته، حق يطلع قراء الحلتين على جانبي البحث حانب و تحد من البحث واحد من البحث واحتناب عرض الحانب الآخر هو عندنا اعتراف بالضعف الشخصي ا



## علاحظة:

ونما عنى ان يروق القراء علمه أن هذا المقال أجاب عليه الاستاذ (ن) بأن أننى مبادلة مجلته بمجلتنا و ترجمان القرآن ، ، وهي لاتوال ملفاة حتى اليوم ، إن من الناس من مجسنون خداع شبيبتنا بمزخرف من القول والرأي . ولكنهم إذا دعوا إلى البحث الاصولي الجدي على الطربقة العلمية المحضة فانه قلما ترسخ قدمهم في هذا المضار .

## النقص الأساسي طيت التعليمية

إن مجلس الحاممة المسلمة بعليكره قد وجه عنايته في جلسته السنومة الماضية ( المنعقدة في ابربل سنة ١٩٣٦ ) إلى أمر هام كان يستدعى المنابة منذ بميد، وهو إصلاح الطريقة الناقصة لتعليم علوم الدين والإلهيات وضرورة بعث الروح الاسلامية الحقيقية في طلبة الجـــامعة. أما تعلم الملوم الجديدة والآداب والفنون الغربية نقد تهيأت له في جامعات الحكومة أحسن الاسباب، نما يساوي على الاقل ما يوجد منها في جامعة علىكره فلم يكن المسلمون في حاجة إذن إلى تأسيسجامعة خاصة لهم لهذا الغرض وحده . وإغا الامر الذي حمل المسلم بن يفكرون في تأسيس جامعة مستقلة لأبناء أمتهم والذي نالت هذه الفكرة لأجله رضي النياس هو كون المسلمين ربدون أن يستفيدوا من التمليم الجديد وبيقوا مع ذلك ه مسلمين أيضاً ، ، وهذا مالاتحققه الكليات ولا الجامعات الحكومية ، وهذا هو الذي احتاج المسلمون لا حجله إلى جامعة اسلامية لهم . ولكنه إِنْ لَمْ يَكُن هَذَا الْمُقْصُود متحققاً حتى في جامعتهم أنفسهم ، ولم يتخرج منها من حاملي الشهادات العليا إلا مثل من يخرجون من الجامعات الحكومية حذو القذة بالقذة ، ولم ينبغ في هذه إلا مثل من ينبغ في تلك الحاممات

من و السادة الافرنج الملونين ۽ أو والوطنيين الهنديين، أو و الملاحـــدة ـــ الشيوعيين ۽ فأي ضرورة هناك لانشاء جامعة مستقلة وإدارة شؤونهــــا بصرف ملايين من الروبيات ١٢

هذا السؤال كان من اللازم أن يوضع موضع المناية والاعتبار منذ البداية . وأول ماكان يجب أن يفكر فيه حينا ابتدأ العمل!نشاء الجامعة هو أنه ما الحاجة بنا إلى جامعة مستقلة . وما المنهاج لقضاء هذه الحاجة في الوقت الحاضر .

ولكنه قد صدق من قال بصف المسلمين في هذا المصر: انهم قوم يسملون اولاً وبفكرون ثانياً . فالذين كان بهم شغف بانشاء الجامعة كانوا مشغو فين بإنشاء الجامعة فحسب، ولم تكن في دهنهم صورة واضحة منها . فلا يمنيهم كيف ينبغي أن تكون الجامعة المسلمة وما هي الميزات التي يصح ان قدعي معها جامعة باسم و الجامعة المسلمة ع . فكان من نتيجة هذا الممل المنفصل عن النفكير أن تأسست في مدينة عليكره أيضاً جامعة من نفس الطراز الذي أنشئت الواحدة منه في اكره والثانية في جلوات لكنو والثانية في داكا من قبل . ولناسبة صفة و المسلمة ع في عنوات الجامعة أدخل جانب من علوم الدين في يرامج تعليمها ، حتى اذا سأل عن السبب في إلحاف صفة و المسلمة ، هذه باسم الجامعة عرضت عليه مقررات هذه العلوم من الفدوري ومنية المصلي والهداية برهاناً على عليه مقررات هذه العلوم من الفدوري ومنية المصلي والهداية برهاناً على واسلامية و الجامعة . ولكن الواقع انه لم يراع في تأسيس هده الجامعة واسلامية و الجامعة . ولكن الواقع انه لم يراع في تأسيس هده الجامعة

وتشكيلها ما تنفرد به عن غيرها من الجامعات الحكومية وتكون وجامعة إسلامية ، بكل معنى الكلعة .

من المكن أن يكون الهج والشفف الشديد بعمل التعبير لم يـدع القوم في بد الامر بفكرون في أمر التصميم الصحيح الملائم ولكن العجب أنه قد مضت على تأسس الجامعة خمسة عشر عاماً ولم يشمر أرباب تعليمنا ه ولو مرة واحدة يم : ماذا كانت النابة المقصودة من بناء الجامعة والى ابن يسير هذا الموكب المولى عن وجهته ، ومما تدل عليه الاحوال منذ البداية أن هذه الجامعة لاهي جارية على النهج الذي بحب لن تجري عليه جامعة إسلامية ، ولا هي آنية بثلك النتائج التي كانت مطلوبة سنها حقًا . فلا فرق بين طلبتها وطلبة جامعة حكومية . ولا يوجد في جوها شيء من السيرة الاسلامية والروح الاسلاميـة والساوك الاسلامي ، كما ينمدم فيه التفكير الاسلامي والمقلية الاسلامية . وأمله أيس واحــداً في المائة عدد الطلبة الذين قد تخرجوا من الحاسمة بوجهة نظر إسلامية وعطمح رجل مسلم والذين قد أهلهم التعلم والتربية في هذه الحامعة بأن يستمملوا علمهم وقواهم المقلية فيثوا في حياةالامة السلمة روحا حماسية جديدة ، أو يقوموا – على الاقل – يخدمة علمية أو عملية نحو أمتهم . ولو أنْ نتائج تعليم هذه الجامعة كانت من النوع السلبي فحسب ، لهسان الامر . ولكن المؤسف اله يوجد بين خريجي الجامعة والطلبة المتملمين فيهاعدد ضخم من الشبان الذين ليس وجودهم ذا منفعة الاسلام والحضارة الاسلامية بلهوذو مضرة لهما فهؤلاء ليسوا أجانب فيحسب عن الروح الاسلامية بلهم

قد انحر فوا عنهاوها جروها . ولا يوجد فيهم مجرد الجفاء للدين والاعراب عنه ، بل قد نشأ في نفوسهم فوع من الكراهية له . وقد ركبت أذها نهم تركيباً جاوز بهم موقف التشكك إلى موقف الجحود والإنكار التام . فمادوا يتمردون على الأصول الاولية التي يقوم على أساسها بنيان الإسلام ومنذ قريب قد ألم ببمض أحوال الجامعة في خطاب شخصيله شاب خربج من الجامعة المسلمة نجا من الوقوع في الارتداد لسلامة طبعه ، وقد كان أشرف عليه . وهذا الخطاب لم يكتب للنشر ولا هو كتب خاصة لبيان أحوال عليكره . لذلك نرى أن ما جاء في هدذا الخطاب هو سورة صحيحة غير محوهة لبواطن أمور الجامعة . فيكتب صاحب الخطاب بسرد حالة ارتقائه الذهني :

إني واجهت في جامعة عليكره تلك انفئة النازلة بالعالم الإسلامي من الخارج، وهي النفرنج، ووقفت أمام منزله الارتقائي النهائي، وهو الشيوعية، وكنت قبل هذا لاأعد التقليد الفربي شيئاً ذا خطر. ولكن تجاربي في عليكره عرفتني الحقيقة . ففي هذا المركز الكبير في قلب الهند الاسلامية رآيت عدداً لاباس به من الافراد الذين قد ارتدوا عن الاسلام وأسبحوا دعاة متحسين الشيوعية . ورأيت أن كثيراً من أفراد الحاممة هم الاساتذة . وهؤلاء بنوون كل فطن زكي من الطلبة الواردين في الجامعة فيوقعونه في شركهم . والقوم لم يتخاروا الشيوعية لانهم يربدون حماية وإسعاف المدمين والفلاحين والعمال ، فهذه حياتهم وطرق معاشهم الاسرافية تكذب ما يدعون ، بل هم قدد اختاروها ليستطيعوا أن ببرروا المحلالم الخلقي وميولهم الالحادية وتفكيرهم

المهلمل ( Loose Thinking )تحت جناح حركة عالمية . وقد انخدعت أنانضي بالشيوعية أولاً اذ زعمت انها طبعة غير رحمية (un - authorized Edition ) للاسلام . فلما درستها بنيء من الوعى والتفكير علمت انه شتان ما بين مقاصدها الاساسية ومقاصد الاسلام . . . .

وبتضح جلياً من هذا البيان أن التعلم والتربية في جامعة عليكره ليس غاقصاً فحسب بل هو مثمر من النتائج ما نخالف و بضاد تلك المقاسد التي نادى لأجلها السير سيد أحمد خان و محسن الملك ووقار الملك بضرورة جامعة مسلمة ، والتي احتفى لاجلها المسلمون بيناء هذا المهمد احتفاءاً حاراً وشاركوا في تأسيسها بما هو فوق استطاعتهم ،

وماذا تقول في مهندس صنع سيارة ولكنها اذا حركت جعلت تسمى إلى الخلف بدل أن تجري إلى الامام ، وما رأيك في فنية المهندس الذي ظل بلاحظ ان السيارة التي صنعها تتحرك حركة مقلوبة بصفة دائمة مستمرة ، تم لم يشمر بأن هنساك فساداً في تركيب السيارة . وأغلب الفان أنك أن تصادف مثل هذا المهندس الميكانيكي في دنيا الواقع . ولكنك تستطيع أنك تقدر فنية المهندسين التعليميين لاشك من أنهم تصدوا لاختراع وميكانة وتعليمية واد بها أن تتحرك نحو الفاية الاسلامية ، ولكن عالمكانة والتي صنعوها أضحت تتحرك في الجهة الماكسة له على الخط المستقم وظلت تتحرك في تلك الجهة الخاطئة مدة خمسة عصر عاما على التوالي ، ولكن ولكنهم لم يشمروا بذلك ولم يتساطوا يوما واحداً أنه أي نقص هناك في تصميمهم وتركيهم بل لم يشمروا بأنه هل هناك من خطأ في تركيه تم لا به لا .

وبعد كل هذا الخطأ والفساد المستمر عبر السنوات الطوال قد تذكر مجلس الجامعة أن: ومن مفاصد الجامعة الاولية أيضاً أن تبت في طلبتها الروح الاسلامية ، وعينت لجنة من سعة رجال لهذا الفرض قــد عهد اليها أن وتدرس وضع الحالة الحاضرة في الجامعة فتقترح لتمليم العلوم الدينية والالهية وسائل مستجدة راقية تلائم حاجات المصر ، ويمكن أن تعرض بها التعالم الاسلامية على طريقة أحسن وأرضى ،

أمر حسن ولاشك ، وخطة طيبة مباركة ، ولايمد ضالاً من يضل بياض النهار وبعود مع المساء كما يقول المثل. فان كان مهندسوة التعليميونقد تنهوا حتى في هذه المرحلة المتأخرة أن دسكانتهم، التعليمية قد ركبت تركيباً خاطئاً وانه لبس السبب في حركتها على عكس الجهة التي كانت مقسودة من صنعها هـو مجرد المسادفة والانفاف بل هو الفساد في تصميمها وتركيها ، فإنا مستعدون لان نقول لهم : دعوا ما مضى وتعالوا الآن فتفطنوا للاخطاء التي كانت في تصميمكم السابق ، فركبوا دالميكانة، الآن على تصميم آخر صحيح ، ولكنا نشك في أنه قد شعر القوم شعوراً صحيحاً بخطئهم . فغرام لا يعترفون بأن هناك في ادا حدرياً في عمل بنائهم وانما تأثروا بالصورة الرهيبة الظاهرة لنتائج عملهم حدرياً في عمل بنائهم وانما تأثروا بالصورة الرهيبة الظاهرة لنتائج عملهم ولا يزالون ينظرون إلى الاحوال بنظر سطحى غير منعمق .

وإنا ندعو الله أن تكون شبهتنا هذه في غير محلما . ولكن تجاربنا الماضية تحملنا على مثل هذا الشك .

إنه في منتصف القرل الماضي ، حينا كان الانحطاط الممتدعلي القرنين قد أدى إلى انقلاب سياسي رهيب ، ظهر من النيب بضمة رجال

لينقذوا من النرق سفينة المسلمين المضطربة . وكان ذلك الوقت لا يسمح بكثير من التأمل . ولم تكن اذ ذاك فرصة للنفكير في أنه على أي تصمم تصنع السفينة الجديدة القوية بدل هذه السفينة القدعة المحطمة. واغا كانت المسالة عندئذ أن هذه الأمة التي قد أشرفت على الغرق كيف تنقذ من الهلاك ؟ فقامت فئة من هؤلاء المصلحين تصلح وترمم تلك السفينة القديمة . فرتبت من جديد ألواحها السابقة وسدت ما تخللها من الفروج ورفت أشرعتها الرئة وجعلتها صالحة ليملأها الهمواء فتحري السفينة . وفامت فئة أخرى فاكترت سفينة بخاربة جديدة ، فحملت علمها عدداً كثيراً من المتعرضين للغرق وراحث لسبيلها . وبهذا التدبير نجحت الفئتان كلاهم فيدفع النكبة المفاجئة . ولكن هذبن الندبيرين نجحا من حيث أنهما عالجا المشكلة بحسب الضرورة العاجلة الشديدة عَأَنْقَدُوا النَّارِ قَيْنِ مِن الْهَلَاكُ .ولم يكن كل ما فيها من الحكمة والكياسة الا مجدوداً عند هذا الحد. فالذين ير بدون الآن أن يبقوا على هذين التدبيرين في شكليها الحاليين مع أن ساعة الخطر قد مضت ، فان منهج عملهم يخالف الحكمة والكياسة. وذلك أنه ليست المفينة التمراعية القديمة نصلح لأن بركبها المسلمون ويسابقوا الامم التي تحملها السفن المِكَانِيكِية ذات ألف الضمف من طاقة مركبهم ، ولا السفينة البخارية المكتراة تصلح لأن تحمل السلمين إلى عايتهم القصودة علان هذه السفينة وإن كانت ذات جهاز مستحدث وسير سريع ومحرك ميكانيكيء الاأنها سفينة الاجانب في كل حال، وتصميمها وتركيبها إنما بلاثم

مقاصده ويلي حاجاتهم فحسب . ثم ان ربانها وملاحها أيضاً من أوائك الفهم . لذلك لا نتوقع أبداً من هذه السقينة أن تجري بنا إلى الفابة التي نطح إليها عبل نحن نخاف السرعة سيرها أن تبعد بنا هذه في الجهة المخالفة بأعجل من ذي قبل ، وتقصيناعن غابتنا المقصودة بومابعد يوم . أما وقت الضرورة الماجلة فقد أساب من قام ليرمم السفينة القديمة ولم يخطى من أنقذ الفارقين من الهلاك باكتراء سفينة أجنبية . ولكن الآن ، وقد ذهب الخطر الماجل ، يخطى من يصر على ركوب تلك السفينة القديمة المستعارة .

إن الزعم الحقيقي والمصلح الصحيح هو الذي يتولى الاجتهاد الفكري ويتخذ من التدابير ما هو أكثر ملاءمة للوقت والمناسبة . والذين بتبعونه بعد ذلك بكونون مفلدين بلا تفكر عهم يظلون يسيرون على العاريق الذي كان اختارها مراعاة الظروف ، بدون اجتهاد أو فكر حتى بعد انقضاء تلك الظروف و الا يفطنون أن الذي كان الامثل في الماضي هو في الحال الحاضرة غير الامثل . قبعد اولئك الرعماء الذين كانوا في القرن الماضي لا يزال متبعوهم يمصرون على انتهاج ذلك العاريق الذي تركهم عليه اولئك ، مع أنه قد زالت الملابسات التي اختار فيه أولئك ، مع أنه قد زالت الملابسات التي اختار فيه أولئك هذا الطريق . والحاجة الآن هي أن يعمل الاجتهاد الفكري فتتخذ طريقة جديدة العمل .

ومن سوء الحظ أننا لا زى أية من الفئتين جهردة. وان احتمد أحد من أهل السفينة القديمة بأقصى ما عكنه من الحرأة فهو بعلق فيها عدداً من المسابيح الكهربائية ، وبقرش فيها أثاناً من النعط الجديسد ويركب فيها دميكانة ، بخاربة صغيرة لا تنفع إلا أن تصفر من بعيد كمثل الصفارة البخارية فيخدع الناس إن هذه السفينة القديمة قد أصبحت جديدة ميكانيكية . وبجانب آخر ، إن أهل السفينة الجديدة وإن كانوا راكبين في مركب الاجانب ، وتجري بهم السفينة بسرعة هائلة إلى الجهة الخالفة إلا أنهم فد رفعوا أشرعة قليلة من الطراز القديم على ظهر باخرتهم الحديسدة صنع القرن المشرين ، حتى يخدعوا المسلمين عرب في حرب نحو كمية الله من طريق لندن .

إلام با ترى هذا التقليد الأعمى وهذا النظاهر الوائف بالاجتهاد إ قد مر طوفان ، وقد اقترب جداً طوفان آخر . ونحن نشاهد إرهاسات لانقلاب سياسي آخر في الهند، كما أنه تنخذ الآن في أقطار العالم الاخرى وسائل الانقلاب يخشى أن تؤدي إلى انقلاب مفاجيء أعظم وأهلك أضعافاً مضاعفة ، قبل هذا الانقلاب المتوقع في الهند . وستكون هذه الانقلابات المنظرة مختلفة تماماً في توعيتها و شدتها عن ثورة ١٨٥٧ الكبرى. والذي تراه الآن من حالة المسلمين الحاضرة من حيث العقيدة والإيمان والاخلاق والاعمال لا مجملنا نظن و تتفاعل أنهم سيتحماون سدمة واحدة من صدمات الطوفائات الآثية بخير وسلام . ذلك لأن سفينتهم القديمة لا تصلح لأن تقاوم طوفاناً هائلاً بنبت في هذا المصر الجديد ، وربا تفكك ألواحها وتمزقت أشرعتها بلطمة واحدة من العابات الامواج النائرة . أما سفينتهم المستعارة فهي أكثر خطراً من القديمة ، والذين قد ركبوا فيها نختى عليهم أن يذهب بهم أول موج من الطوفان بعيداً عن الملة الاسلامية وبطرحهم لأبد الآباد \_ لا قدر الله \_ في أعماق الضلال . لذلك قد آن الأوان لأن ببرح المسلمون سفينتهم القديمة المتضمضة وينزلوا أبضاً من السفينة الأجنبية المكتراة ، ويصنموا لأنفسهم بدل ذلك سفينة تكون مركبة من أحدث الآلات والأدوات وتكون و ميكانتها ، كالتي تنصب في أقوى وأسرع سفينة عصرية واكن تصميمها بجب أن يكون تصميم و سفينة إسلامية و خالصة ، و تكون دفتها بيد الربابين و المهندسين تصميم و سفينة إسلامية و خالصة ، و تكون دفتها بيد الربابين و المهندسين الذين ه عارفون بمالم الطريق الموصل إلى كمية أهل الاسلام .

وندع الآن اسلوب الاستعارة والتعريض ونشكام في الموضوع بلغة صريحة مباشرة .

إن الحركة التعليمية التي البعث من عليكره بقيادة السير سيد أحمد خان \_ عفا الله عنه \_ كان من غايتها الموقتة أن بنأهل المسلمون لاصلاح أمرهم الدنيوي بحسب حاجات هذا الزمن الجديد . وذلك أن يتحلوا التعليم الجديد . فيستنقذوا حياتهم الاقتصادية والسياسية من البوار ، ولا يتخلفوا عن الشعوب الأخرى في الاستفادة من الوضم الحديث لادارة شؤون البلاد . ولعله لم تسمح الظروف عند ثذ بأكثر من هذا . وهذه الحركة وإن كانت بجانب فوائدها مضار وأخطار ،

ولكنه لم تكن لدى القائمين بهذه الحركة فرصة لأن بفكروا في هـــــذا الجانب ويتخذوا خطة تعليمية صارمة تسلم من تلك المضار وتجمع النافع كلما ، ولا كانت تهيأ لهم آنئذ وسائل وأسباب عكن بها تنفيذ خطة تعليمية من ذاك النوع. لذلك كله دفع المسلمون عند أذ إلى المنج التعليمي الذي كان رائحاً في البلاد مراعاة لضرورة الساعة . ولتفادي الأخطار أدخل فيه عنصر من التعلم والتربية الاسلامية ، لم يكن بلائم في شيء التعلم الجديد والتربية الجديدة .

كان هذا تدبيراً موقتاً وكنى ، لجؤوا إليه المكافحة النكبة المفاجئة من الفور ، ولكن الآن قد انقضت الظروف التي كانت تتطلب تدبيراً عاجلاً . وقد تحقق أيضاً النفع الذي كان يقصد بهذا التدبير ، وأيضاً ظهرت ظهور الواقع الملموس تلك الأخطار التي كانت عند لله متوهمة فسب . وهذه الحركة لا رب أصلحت من أمر دنيانا بعض التيء ، واكنها أفسدت ديننا أكثر نما صلحت من دنيانا . وذلك بأنها نشأت من يبننا و الافرنجيين الملونين ، وولدت فينا طبقت من و الانجلو محديين ، بيننا و الافرنجيين الملونين ، وولدت فينا طبقت من و الانجلو محديين ، غن بنضاء ل في نفسياتهم المنصر والمحمدي ، و و الممندي ، وبغلب المنصر و الانجلو مناه من أمننا ـ وها في الحق الاعضاء والجوارح الرئيسية في كياننا القومي ـ وباعتها من في الحق الاعضاء والجوارح الرئيسية في كياننا القومي ـ وباعتها من الوجهين الظاهر والداخل لحضارة أوربا المادية بثمن بخس هو أن بحرز بعض المناصب وسمض الالقاب وسعض الكراسي التسريفية لرجال يتسمون بمض المناصب وسمض الالقاب وسعض الكراسي التسريفية لرجال يتسمون

بأسماء المسلمين . فانا نتساءل في هذا الوقت : هل بجب أن تبقى خطتنا التعليمية هكذا على الدوام ؛ وإن كانت هذه هي خطئنا الدائمة الباقيمة فلا نحتاج لا حلما إلى جامعة عليكره ، بل هناك في كل مدينة كبيرة من مدن الهند جامعة عليكره يتخرج منها و الانجلو محدوق ، و و الانجلو هندون ، بسرعة . ولا ندري لماذا نطلب هدف المزرعة المستقلة لحصد عذا الزرع المسموم . وأما إن كان المقصود تبديل هذه الحالة فلتنظر غظرة الطبيب الفاحص : ما هي أسباب القساد في حقيقمة الا مر وما هو التدبير الصحيح لمالحته ؛

إن التأمل في مزاج النطيم والهذب الجديد وفي طبيعته يوضع أنه ينافي مزاج الاسلام وطبيعته كل المنافاة. فإن نحن قبلناه كما هو وروجناه في أجيالنا الناشئة ، أضعناه للأبد. فانكم في هذا التعليم الجديد تعلمونهم الفلسفة التي تحاول أن تحل لفز هذا الكون بغير الاعان بالله ، وتعلمونهم العلسفة التي تحاول أن تحل لفز هذا الكون بغير الاعان بالله ، وتعلمونهم العلم التجربي ( Science ) الذي هو منحرف عن المقولات وتابع للمحسوسات، وتعلمونهم التاريح والسياسة والاقتصاد والقانون وسائر العلم السرائية تعلياً يختلف من أسولها إلى فروعها اختلافاً كلياً عن نظريات الاسلام وسادئه المعرائية . وإنكم تربونهم كذلك في الاغلب نظريات الاسلام وسادئه المعرائية . وإنكم تربونهم كذلك في الاغلب تحت تأثير حضارة في متعارضة مع حضارة الاسلام من حيث روحها ومقاصدها ومناهها . فأي شيء بعد ذلك بجملكم تؤملون في أجيالكم أنهم سوف بنشؤون على دينهم، وسيكون نظره نظراً إسلامياً، وستكون سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم سيرتهم إسلامية وحياتهم حياة إسلامية ؟ إنه لا يتلام مع هدا التعليم

الجديد تمليم القرآن والحديث والفقه على الطريقة العتيقة المتوارثة ولم يكن عمل التطسم هـ فدا ليأتي بثمرات طبية . وإنما مثله كشل أن تنصب الاشرعة البالية في باخرة الكليزية من الطراز الجديد لا جل الاظهار والاعلان وحده . فلم تكن الباخرة الاوربية المود جهـ فما الندير باخرة إسلامية أبداً .

لذلك إن كنم تريدون حقاً أن تنخذوا من جامعة عليكره جامعة مسلمة فعليكم أن تعيدوا النظر في تعليم العلوم والفنون الغربية . ولا يصح أبداً أن تتنبي هذه العلوم كاهي بدون إصلاح أو تعديل ، لا أنه ينطبع أثرها على أذهان طلبتنا الصافية الساذجة انطباعاً بمودون به يؤمنون بكل شيء غربي ولا تنشأ فيهم ملكة النقد ، وإن نشأت في واحد من ألف متعلم ، وذلك أيضاً بعد أن يقضي جانماً كبيراً من عمره بعد فراغه من التعليم الجامعي ، في دراسة متعمقة ويبلغ مرحلة من العمر لا يكون فيا أهلا للقيام بخدمة عملية جدية. فالمطلوب إذن أن يبدل هذا المنهج التعليمي، وذلك أن تعرض جميع العلوم الغربية على الطلبة بعد عملية من النقد تكون من زاوية النظر الاسلامي الخالص ، حق يسهل التعييز ، فيطرح عند كل خطوة ما هو ناقص من تلك العلوم ، ويقبل ما هو نافع فسب.

وبجانب هذا بجب أن لا تأخذوا الداوم الاسلامية أيضاً من الكتب القديمة كما هي بدون تمديل . بل بجب أن تفرزوا منها ما هو دخيل فيها أسمن آثار التأخرين ، وتأخذوا ما ببقى بسد ذلك من مبادىء الاسلام الابدة ومعتقداته الحقيقية وقوانينه الثابثة غير المتبدلة ، فأثر اواروحها

الحقيقية في القاوب وابستوا فكرها الصحيح في الاذهان . ولا نظرت أنكم نجدون برايج تعليمية مهيأة لهذا الفرض ، بل لا بد أن تهيئوا كل هذا بأنفسكم من جديد، إن تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية فوف كل شيء ، ولكنه يجب ألا يكون هذا التعليم من بجموعات التفسير والحديث القديمة ، وبجب كذلك أن يكون المعلمون لهذه العلوم رجالا قد تعمقوا القرآن والسنة وأدر كوا مغزاها. ويلزم أيضاً التعليم القانوني الاسلامي، ولكنه في هذا العلم أيضاً لن تجدي الكتب المتقادمة . وسيكون محتوماً بعد ذلك أن تدخلوا مبادى و نظام الاقتصاد الاسلامي في تعليم القانون و نظريات الحكمة الاسلامية في تعليم الناريخ، في كتب الفلسفة ، وحقائق فلسفة التاريخ الاسلامية في تعليم الناريخ، وأن تدخلوا هكذا في تعليم كل علم وفن عنصراً إسلامياً من حيث وأن تدخلوا هكذا في تعليم كل علم وفن عنصراً إسلامياً من حيث العنصر الرئيسي الغالب المسيطر ؛

هذا وواجب بجانب ذلك كله أن تمفوا كل من انضم في أسرتكم التعليمية من الملاحدة والمتفرنجين . ومن حسن الحظ أنه قد انبعث في الهند جماعة من الافاضل ، هم بجانب يصبرتهم النافذة في الملوم الحديدة مسلمون صادقون بقلوبهم وأذهانهم ونظرهم ونفكيره . فالمطلوب أن يجمع شتات هؤلاء النوابغ ويعهد الهم تصميم باخرة لمسلامية بكل جديد من الآلات والا دوات .

ولملك أن تقول: كل هـ ذا صحيح ولكنه ان يسمح بذلك الحاكم الانكايزي. وهذا صحيح إلى حد ما . واكن ينبغيأن نطرح عليه هذا السؤال: أي الرجلين تؤثر 1 المسلم الخالص أم الشيوعي الخالص 1 لا بد أن تختار واحداً بسينه من الاثنين. أما المسلم من طراز و الانجلو محدي و الذي ظهر حوالي سنة ١٩٩٠ فلا يمكن أن يوجد إلى بسيد . فان كنت تربدالآن أن نجد أحيال المسلمين الناشئة وافعة في حضن الشيوعية علما فاثبت على عدائك فلا سلام وستجد النتيجة لهذه الخطة ماثلة أمام عينيك عما قريب . وإن لم تكن تربد ذلك فاعلم أنه لا يمكن أن بحارب تيار الشيوعية الجارف ، لا في صفوف المسلمين وحدم بل في جميع الهند ، والدعاة الفارغة وبرامج الاذاعة للربغيين ، وإغا هذا الثيار لا تستطيع أن تدفعه إلا قوة واحدة \_ عي قوة الاسلام !



## المنهج السيدلتعي كباين لأمة

إنَّ الاصلاح والثورة يقصد من وراثها جميعًا إصلاح حالة فاسدة . ولكنه يكونهناك فرق جوهري بين محركاتها ومناهج عملها فالاصلاح يكون ابتداؤه من التروي والتفكير . وذلك أن المر عدرس الا وضاع القائمة بقلب هادى. وبروية وإسمان نظر ، ويفكر في أسباب الفساد ويقبس حدوده وببحث عن تدابير إزالته . وإذا تصدى لهوه فلايستخدم قوة الهدم والتخريب إلا إلى الحد الا دني الذي لا بــد منه . وأما الثورة ، مخلاف ذلك، فيكون ابتداؤها من السخط والفضب واضطرام الحقد والإلحاج على النقمة. فيؤتي بفساد آخر في رد فساد أول يمويقاوم التطرف الذي أدى إلى ذلك الفساد يتطرف آخر يأتي فيقضى على الحسنات أيضاً مع السيئات . ولا شك في أنه يضطر المصلح في كثير من الاحيان آن بصنع مثل ما يصنعه التوري . فكالاهما يأخذ مبضع الشرح ويعمد به إلى الموضع المألوف من الجسم . ولكن الفرق بين الاثنين هو أن المصلح يقدر من ذي قبل أبن الفساد في الجسم وكم هو ١ فيستممل مبضعه بقدر لا بد منه لإزالة الفساد ، ويهيء بجانب عمل شرحه بلسماً شافياً لكي

يضعه على الجرح من الفور.ولكن الثوري يخلاف ذلك \_ يعمل مبضعه في الجبح في فورة الغضب بدون حيطة أو حذر ، ويروح بقطع أجزاءه بدون نمييز بين الصالح منها والفاسد. ولا يخطر بباله أن يستعمل البلسم، وإن خطر فيمد أن يكون أشخن في القطع والبتر ويتنبه لخطئه في العمل عقب ما يضبع جزءاً كبيراً من الجسم.

وفي الأعم الأغلب أنه حيماتكثر المفاسد وتتخطى حدود القصدة مخونااناس الصبر والاحتمال ولابدعهم الاذى الذي يلحقهم منالأوضاع الفاسدة يفكرون في الأمر بفلب هادىء، وبجتهدون الاصلاح. فنقوم في هذه الظروف علمة حركات ثورية بدل حركات إصلاحية ، ويقوم صراع حاد بين الرحسين والثوريين ، كما مهيىء الحطب الحزل لنار الغضب والحقد والثأر ، فيبلغ الفريقان منتهي الخصومة والمناد ، وكلاهما يخنق صوت الحنى والصدق. فيرى مجانب انه تستنفد القوة في حماية الباطل على الحق، وبرى مجانب آخر أنه يتحامل القوم على المذنب والبريء، بدون تمييز بين الحنى والباطل . فاذا تمت الغلبة للتوربين في عاقبة الأمر فهم يأنون فيبيدون كل شيء كان بيد الرجميين ، سواء أكان حقا أم بأطلا وصحيحا أم خاطئاً . وتنقدمالثورة كالسيل الجراف تكنسح أمامها اليابس والاخضر بدون تمييز. وبعد كثير من الهدم والنخريب ومتى عاد المقل الى نصابه فانه ينبعث حينتذ الشعور بضرورة التعمير . ولكن المقلبة النورية تبتكر في هذا أيضاً بدعا من الاساليب، فتحاول أت تَمْرُكُ كُلُّ شَيَّ رَاجٍ بِينِ الْمُحَافِظَينِ ، وَلَا تَسْبُرُ لَثِيءَ مَا عَيْبًا أَكْبُرُ مِنْ انه

ينتسب إلى النظام القديم. وان كان بذاته صائباً. وهكذا بحاول القوم أن ببنوا بنيان الحياة على المبادى النورية الجديدة لدة من الزمان .ولكنه عندما يتمب الذهن الثوري من تلك التجارب الجديدة وتماقب الخيبة والفشل ، بعود في آخر المطاف الى موقف الاعتدال الذي كان يقصده المصلح منذ ابتداء الاعمر . ويصدق التمر الفارسي :

كل ما يفعله العاقل يفعله الاحمق كذلك . ولكن بعد كثير من الفوضي والاضطراب !

ان المثال الا برز لما ذكرناه آنفا هو التورة البواشوفيكية . وذلك أن الحالة الفاسدة الميئة للنظام المدني الفائم في روسيا الملكية لما تناهت في الفساد حتى أصبحت لايطاق عليها الصبر ، ظهرت في وجهها كرد عمل حركة ثورية ، وبدأت النظريات الاشتراكية والديمقراطية الاوربية تفشو وتنتسر في روسيا ، فقامت الحكومة وصنائها من الطبقات تستميل المقوة والعنف الاستبدادي للاحتفاظ بما تتمتع به من المنافع غير السرعية . فكان من المتبحة أن أخذ التوريون محتدمون غضباً وحقد أ ، لاعلى الاستبداد الملكي والتقسيم غير المادل للثروة فحسب ، بل على كل نظام التمدن الذي كان توارئه المقوم منذ قرون . وتأدى الاثمر إلى أن تقمص المحيط المبادي السياسية والاقتصادية والمدنية والاخلاقية والدينية التي يقوم عليها المجتمع الروسي فيا قبل الثورة . وبعد كل هذا المدم والتخريب يقوم عليها المجتمع جديد على مبادى، شيوعية مبتكرة . وبذل البناؤون المبتدأ تممير مجتمع جديد على مبادى، شيوعية مبتكرة . وبذل البناؤون

الجدد كل ما يملكون من قوى النفكير في محاولتهم الملا بدخل في بنائهم الجديد أي شيء من باقيات الطبقة البورجوازية . حتى أمروا و الآله ، أيضا بالحروج من حدود روسيا للحال . ولكنه سع مرور الزمن قدأخذ الجنون الثوري بهدأ أخيراً ومجل محله المقل البناء . وأخذت تلك البولشوية المنطرفة التي كانت عاملاً فمالاً في نشأة الثورة تعود الى نقطة الاعتدال.

ومثل هذا التطرف ظهر في زمان الثورة الفرنسية أيضاً . إذ نهض رجال الثورة المدموا في سورة هيجهم كل ماهو سالح أو فاسد ممايتملن بالنظام القائم ، ووضعوا مبادى انقلابية جديدة ، فروجوها في البلاد ، ولكنه كان من عاقبة هذا الطوفان الثوري المتشدد أنه لم يمكن إلى الآن أن يعود المزاج الفرنسي السياسي والمدنى والاخلاقي الى نقطة الاعتدال، ولا يجد المراء في أية فاحية من قواحي الحياة الفرنسية القومية ذالك الرسوخ والاحكام الذي يوجد عند الانكايز .

ومثال آخر لهذا التطرف هو الانقلاب التركي . حيث اجتهدت مثل هذه المقلية الانقلابية أن تجعل من أمة أمة أخرى مختلفة غاماً عن الأولى ، بين عشية أو ضحاها ، بقوة سحرية . ولتحقيق هذا الغرض كما أخذ الانقلابيون المبضم بيدهم فانهم في محاولتهم السرح المواضع المأووفة قطموا الا جزاء الصالحة الصحيحة أيضاً من جسم الامة ، وركبوا في مكانها أعضاء جديدة مستوردة من أورباء حتى استبدلوا بالمقل الفديم أيضاً عقلا متنوراً جديداً تحت قبة أوربية . ولكنه مع مرور الزمن عاد الاتراك الانقلابيون بتفهمون أنه لا يصح ما اتخذوه إلى الآن من القاعدة

الكلية التي تحكم بأن كل قديم سيء وكل جديد حسن مرضي . ولم يجدوا بدأ بعد ماخسروا وأخفقوا في أكثر التجارب الجديدة من ان يدعوا الافراط ويرجعوا إلى بعض الاعتدال .

كل هذا قد قلناء نظراً إلى ان المسلمين الهنديين أبضاً بقفون الآن أمام هيجان ثوري . وقبل أن نظهر النتائج الوخيمة لهذا الهيجان نريد ان ندعو كلتا الطائفتين من المحافظين والثوريين إلى الفكر والتأمل .

إنَّ فساد الاحوال في هذا القطر الهندي عائل ما كان منه في تركيا وسائر المهالك المسلمة ومايوجد هناك حتى الآن.فان الطبقة التي تنولي قيادتنا الدبنية منذ قرون قد جعلت الاسلام شيئًا جامداً غير متحرك. والعلما لم تبدل و النتيجة ، الملقة أمامهامنذ القرن السابع . إنهم الاشك بدر سون ويدرسون فيمباحث فلسفتهم كالامهم أث العالم متغير وكل متغير حادثء والكنهم قد أغمضوا عبونهم في الحقيقة عن تغير السالم وتقلب العصر وتطور الزمن وجريانه . انه قد تبدلت الارض غير الارض ، وتغيرت حالات الدنيا وأمكارها ومبولها ونظرياتها من صورة إلى أخرى وتقلبت شؤون التمدن ومساثله تقلبات متعددة عولكن هداتنا لأبزالون يتصورون أنفسهم بعد في تلك البيئة التي كانت تسود قبل خمسة أو ستة قرون . إنهم لم يتقدموا خطوة مع الزمن ، وبقوا غير منأثرين بالتطورات الحديثة ولم يسنوا بالسائل المتجددة للحياة ، وظلوا محاولون أن عنموا أمنهم أيضاً عن مسايرة الزمن ، بل يجذبوها من المستقبل إلى الماضي . وهذه المحاولة لم تكن لتنجح إلا إلى حين ، فنجحت الفعل . ولكن مثل هذه المحاولات لايمكن أن تنجح دامًا . وكيف عكن لامة تنصل بالدنيا وتعاملها أن لاتنائر بأفكار العالم ومسائل الحياة المتجددة ، فان لم يتقدمها هداتها في هذه الحياة المعاصرة ولم يرشدوها في السبل الجديدة المقلية والعلميسة والعملية فمن الطبيعي أن تنجاف هذه للخروج من قيادتهم .

إن هذا الفساد أساسه في الحقيقة شيء آخر ، هو أنه هدا تنالله بنيين أمنوا في الفروع إلى حد أنهم تركوا الاصول وراء ظهورهم .ثم جاءت الفروع فحلت محل الاصول وتفرعت عنها مشات وآلاف من الفروع الجديدة واعتبرت أصل الاسلام . والحال أنه لا أهمية لها أسلا في الدين الجديدة واعتبرت أصل الاسلام . والحال أنه لا أهمية لها أسلا في الدين النبو المناسبة أقيم في الحقيقة على هذا الترتيب ، وهمو أن القرآن الكريم هو الاساس والطابق الاول ، تتبعه وتنبي عليه السنة النبوية على صاحبها الصلاة والمسلم ، والخابق الاول ، تتبعه وتنبي عليه السنة النبوية على صاحبها الصلاة والمسلم ، والمنابق الترتيب رأساً على عقب ، وأصبح الترتيب المبتدع أن الاول هو اجتهاد ذوي البصيرة والعلم من عصر معين الترتيب المبتدع أن الاول هو اجتهاد ذوي البصيرة والعلم من عصر معين معلوم ، والثاني سنة النبي والمنابق والثالث الأخير : كتاب الله ؛ وهمذا الترتيب المقلوب البدع هو المسؤول عن كل هذا الجود الذي قد جمل من المسلمين شيئاً ساكنا الا يتحرك .

من من المسلمين يستطيع أن يجحد بفضل الأثمة الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين رحمهم الله ومن ينكر رجاحة علمهم وعلو منزلتهم؟ ولكنهم على كل حال كانوا بشراً . وكانوا يملكون من وسائل اكتساب العلم ما هو حاصل لعامة بني آدم . ولم يكن يأتهم الوحي . وانها كانوا

يستعملون عقلهم وبصيرتهم ليسبرواغور كلام الله وسنة رسوله، فكل ما تحقق عنده من المبادى، كانوا يستنبطون منها الفروع للقوانين والمعتقدات، فاجتهاده هذا بحوز أن يكون عوناً لنا ونور هدى يسمى بين أيدينا، ولكنه لم يكن ليتخذ بذاته أسلا ومصدراً وإن الانسان سواء اجتهد بحجرد رأيه أم بالاستفادة من كتاب من الكتب السماوية فان اجتهاده لا يكن أن يكون قانونا أبدياً وقاعدة حتمية لازمة للدنيا، لأن التمقل والعلم الانساني بتقيدان أبداً بقبود الزمان.

وان كان هناك من بجلءن كل قيد من قيود الزمانوالمكان فهو إله العالم وحده . فهو الذي عنده العلم الحقيقي ولا يطرأ على علمه مثقال ذرة من التغيير بتقلبات الزمان . وهذا العلم الأبدي أودع منه ما أودع في آيات القرآن الكريم وفي صدر النبي الذي جــــاء به ، وإدن القرآن والسنة الثابتة هما اللذان عكن أن يكونا المأخذ والمنبع وقوانين بحسب أحوالهم الهنصوصة وبمراعاة حاجاتهم وضروراتهم . وما دام العلماء المسلمون بكتسبون العلم من هذا المأخذ وبحلون المسائل الملمية والعملية باجتهادهم المستند إلى النفكر الصحبح، بقى الاسلام يساير الزمن. ولكنهم لما تركوا التدبر في القرآن وألنوا النحقيق والتفحص في الاحاديث ،وراحو يقلدون السلف من المفسرين والمحدثين تقليداً أعمى ، وانخذوا اجتهاد الفقهاء والمنكلمين الماضين قانونا أبديا لا يغير أويعدل ، وتركوا اكتساب الملم مباشرةمن الفرآن والسنة وجملوا الفروع التي استنبطها السلف هي الاصل مكان أصول الكتاب والسنة لما حدث هذا كله ، وقف سير الاسلام بنتة وجملت قدمه تتراجع إلى

الوراء بدل أن تخطو إلى الامام . وغدا حملته وورثته ينفسون في شرح وتفسير العلوم والمسائل القديمة بدل ان مهدوا العالم في ميادين العلم والعمل الجديدة وأصبحوا بتجادلون في الفروع والجزئيات و يبتدعون مذاهب جديدة ويتشيعون فرقا في المباحث العقيمة التي لا تجدي ، ووزعوا الكفر والفسق على المسلمين بسخاء جعل العالم يشهد منظر الذين و يخرجون من الله دين الله أفواجا بهيد أن كان شهد في الماضي منظر الذين (يدخلون في دين الله أفواجا ) وعاد المسلمون و رحماء على الكفار أشداء بينهم ، في كل مكان بدل أن يكوفوا ( أشداء على الكفار رحماء بينهم)، وأضحت الحالة التي بدل أن يكوفوا ( أشداء على الكفار رحماء بينهم)، وأضحت الحالة التي حل القرآن بالنسبة الكفار والمنافقين بكلهانه (تحسبهم جميعاً وقاوبهم شقى) حالة المسلمين أنفسهم .

فن رد فعل هذه الحركة الرجمية مانجده اليوم بصورة هيجان توري رهيب. انه لما أحس المسلمون أن هداتهم الدينيين لا يقومون بواجيب القيادة نحوهم ، بل هم بجرونهم إلى الوراء بدل أن يتقدموا بهم إلى الامام، صاروا يتحررون من سلطانهم ويممهون في كل واد كأنهم جند بلا قائد، فياحت طائفة منهم تتهم الدين نفسه لاخطاء حملة الدين وهفواتهم ، تمتبره أكبر عائق في سبيل رقيها وتنادي علانية بان يترك الدين وتقلد الأم الراقية . وجاءت ثانية قيملت شعارها شتم الماء والحداة الدينيين ، كأن فلاح المسلمين ورقيهم موقوف الآن على هذا السب والشتم ، والوقيمة في الاعراض . وقامت طائفة ثانية فأخذت في عملية القطع والبتر في الدين . وجاء آخرون فأطلقوا اسان القدح في الفقها ، والاثمة ، وجاء منهم من ضم وجاء آخرون فأطلقوا اسان القدح في الفقها ، والاثمة . وجاء منهم من ضم الحديث أيضاً إلى الفقه فميرها جيماً . كما جاء من أحس بضمرورة

التمديل والترميم في أحكام القرآن وتماليمه أيضاً .ومنهم من نادى بفصل الدين عن الدنيا ، فقال :ان الدين بجب أن ينحصر في المقائد والمبادات. وأما الامور الدنيوية فلا يكون فها دخل للدينوقوانينه .

وهكذا قد قامت جماعات مختلفة لاسلاح تلك الاحوال الفاسدة . ولكن انجاهها ليس إلى الاسلاح ، بل إلى الثورة والانقلاب . إنها لم تفكر بقلب هادىء سلم في انه ما هو الفساد الحقيد في ؟ ومن أين أتى ؟ وإلى أي حد يهند ؟ وما هي الصورة الصحيحة لاسلاحه ! انها أحست بالفساد بمجرد الفلن والقياس فأخذت المبضع وجعلت تعمله لحسمه بدون حيطة أو تدبير ، وان كانت نتيجته أن بذهب المربض أيضاً مسعدها المرض .

ان المالك المستقلة قد يقال بالنسبة اليها — ويصح هـ ذا القول إلى حد — أنه لا يكون فيها مناص من حركة وربة ، لا نه تكون فيها إحدى الطوائف قابضة على السلطة الفعلية ، ولا يمكن الطائفة الاخرى أن تنزع هذه السلطة من آبديها إلا بحركة ثورية شديدة . وبلاحظ مع ذلك أنه منى وقمت على زعماء الثورة مسؤولية القيام بشؤون الحكم ، فإن تجارب الوقت والزمان تصحح أذهانهم وترجع عقولهم إلى الرشد في مدة قليلة جداً ، فيضطرون إلى أن يمودوا من الافراط إلى القصدوالاعتدال . ولكنه يجب أن لاننسي أننا في هذا الوقت في حال المبودة فتختلف أحوالنا عن أحوال المهالك المستقلة اختلافاً كلياً منها هنا لانحناج \_أولا\_ وحوالنا عن أحوال المهالك المستقلة اختلافاً كلياً منها هنا لانحناج \_أولا\_ حركة ثورية ، لاننا لانخاف معارضة فوية شديدة لا تنجع في وجها حركة اسلاحية معتدلة . وثانياً انه إن جرت في البلاد الآن حركة ثورية معتدلة . وثانياً انه إن جرت في البلاد الآن حركة ثورية

فنجحت في أهدافيا ، فانه لا يرجى منها أن تعود إلى القصد والاعتدال ومن طويل ، لان رجال ثور ننا ان يكون على كواهليم مسؤولية تتقلها وترد تطرفهم إلى الاعتدال وعلى هذا ان تكون عاقبة بقاء حركة ثورية متعددة إلى زمن بعيد الا أن تتزازل الأسس التي يقوم عليها المجتمع المسلم ، ولا يثبت مكانها أساس محكم رصين عكن أن يبنى عليه نظاما اجتماعي من جديد . ومما لا يصعب فهما و تصوره انه حين يهده ويشتت النظام الاجماعي من الانحطاط الخلق ستهوى اليها و تنتهى إلى قرارها .

وهذا هوالسبب في أننا كثيراً ما مضطر إلى ان نقاوم التوربين بالقوة والشدة أكثر من الرجمين . وإلا فاننا أبضاً نوافقهم في الشمور بضرورة إصلاح الأحوال الفاسدة ، وإننا أبضاً نود أن بحوال هذا الجدود الذي قدلازم الإسلام إلى الحركة والنشاط ولكنه ليس من الحيلة الصحيحة لبعث هذه الحركة ان نترك الشمائر الاسلامية ، و تتبنى الطريقة الا فرنجية اللحياة . ولا من حيلته أن يتناول الدين بالقطيم والبتر بدون علم وتحقيق وبدون تأمل و تفكير . ولا من حيلته ان تهدم بلا ضرورة تلك المباني التي أقامها المحتمدون الماضون بجهدهم ومشقتهم . ولا من تدبيره أن تلقى بحوعة الاحاديث النبوية كلما في النار ح عياداً بالله حدولا أن بعمد الانسان إلى الكلام الالهي لينقص منه ويزيد عليه بحسب عقدله . كل هذه الحبل وانتدابير لانضمن الاسلاح ، بل هي تؤدي إلى فساد اكبر عند الحبل وانتدابير لانضمن الاسلاح ، بل هي تؤدي إلى فساد اكبر عاكان . وليس العلاج الناجح للحالة الفاسدة القائمة إلا ان يصحح من

جديد ذاك المرتب الذي قد قلب ، وهو أن يوضح القرآن الكريم موضع القيادة والارشاد الذي كان له في الواقع ، وتعرف للحديث تلك المكانة التي كان جعلما له الذي يَرَائِحُ هو نفسه وأصحابه وأهل بيته على عهد النبوة ، وتنزل مآثر الفقها، والمتكلمين والمفسرين والحدثين بتلك المنزلة التي قررها لها اولئك الافاصل بأنفسهم . وذلك ال تستفيدوا منهاو تستبقوا منها مالا حاجة هناك إلى تبديله ، ولكن لا تظنوا أبداً أن كل ما قد خرج من أقلامهم هو القانون الأبدي الذي لا يحكن تبديله او ان كتبهم وآثارهم قد أغنتنا عن الندبر في القرآن والتحقيق في الأحاديث النبوية ، أو أنسه قد أغنتنا عن الندبر في القرآن والتحقيق في الأحاديث النبوية ، أو أنسه قد انتلق بعدم بأب اكتساب العلم من الكتاب والسنة مباشرة .

فلو أن هذا الترنيب الصحيح بقام من جديد ، فلا جرم أن سيتحرك القطار الاسلامي الواقف ، لان السبب الحقيق لهذا الوقوف والجود أنه قد نحيت القاطرة الهادية من أمام القطار وجعلت في المكان الخلوف ، وكذلك أبعد السائق عن موضعه وأجلس في بعض العربات الخلفية ، ووضعت الثقة كلها في العربة الامامية واعتقد أنها ستسير بنفسها وتحبر سائر القطار أيضاً معها ، وهذا محال ا

على أن هذا الممل لاحاجة فيه إلى غضب أو اهتياج . وانما الغضب يجوز حيث رتكب خطأ أو ظلم بالعمد وأما ما وقع هاهنا فلم يتعمده أحد . ولا يستطيع أحد أن بقول أن العلماء كانوا قد اجتمعوا في مكان ليتآمروا على أن يدخلوا على الاسلام هذا الجود ويوقفوا ركبه المتحرك . إنما هذا كله نتيجة ذلك الانحط اط الذي لايزال بطرأ على القوى العلمية والمعلمية والفكرية لجميع الأم السلمة كطروئه على قواهـا السياسية

والمسكرية والاقتصادية والمدنية منذ القرن السادس أو السابع للهجرة . فهذا الانحطاط كما أخمد في المسلمين روح الجهاد قد أمات فهم روح الاجتهاد أيضاً ، وكما أنه تبدلت نظرياتهم في جملة مسائل الحياة ، تبدلت نظرياتهم في جملة مسائل الحياة ، تبدلت نظرياتهم كذلك في الأمور الدينية والعلمية . وبقيت جيسح قواهم الذهنية يستولي عليها الهمود والخود مع الايام بغير شمور منهم . فهذا كله عما لا يسح أن يتهم به العلماء ولا متبعوهم . وان شئت انهمت به الفطرة . ولكنه لا هذا الاتهام بجديك شيئا ولا الغضب ولا فورته الهدامة . إنما الصورة الصحيحة لمسالحة الاصلاح أن تبحثوا بنفس هسادئة والتدبير الموقق رزينة عن أسباب المقاسد وحدودها ، وتحولوها بالحكمة والتدبير الموقق إلى المحاسن !



## ط لائع الثَّورة يعلى الدِّين

كل أمة تشنعل على طبقتين : إحداها العامة والاخرى الخاصة . اما طبقة المامة ثمع أنها كثيرة المدد ومنها تتألف القوة المدديةللأمة والكن المقول المفكرة الهادية لاتنبغ منها فهؤلاء لايكون لهم حظ من العلم أو قوة اقتصادية تذكر . ولا هم في شيء من المز والجاه ولا بيدهم سلطة الحكم . لذلك لا يكون تسبير الأمة من شأنهم . واغا شأنهم أن يسيروا خلف من يسيرهم. وكذلك لابكون هؤلاء ممن يضمون طرائق العمل ويمهدونها ، بل هم يسيرون على ما يهد لهـم من الطرق. أمــا الواضعون للطرق والمسيرون لجميع الامة عليها فهم في الحقيقة الخواص، وهم الذبن بحمل كل قولهم وكل فعلتهم من وراثه قوة العقـــل والثروة والمز والحكم. وتضطر الامة إلى اتباعهم طوعاً وكرها. لذلك يصمح القول : أنَّ القوة الحقيقية لامة مالانكون في عامتها ، بل في خاصتها . فيؤ لاء هم الذين يتوقف عليهم صلاح الامة وفسادها ، يؤدي رشدهم كانت الامة في إقبال نبغ من بينها خواص يسيرون على الصراط الســوي ويسيرون الامة معهم عليه (وجعلناهم أعمة بهدون بأمرنا )(وأوحينا الهم غمل الخيرات ) . ومن كانت الامة في إدبار ابتدأ الفساد فيها من خاصتها

الذين يتأثر بضلالهم وفساد أخلاقهم عامة أفرادها فيقمون جيماً في الضلال وسيئات الاعمال ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففقوا فيهما قمق عليها القول ، فدمرناها تدميرا ) .

و تدعى الخاصة في المصطلح القرآئي و المترفين ، وهم الذين يكونون في نعمة واسمة من عند الله . ويشهد الله عز وجل بأن هؤلاء المترف ين هم الذين يرتكبون أولا الفسق والفجور والظلم والمدوان في البلاد ، ثم تبثلي البلاد كلما بالسبثات .

وأي شك في عذه الشهادة الإلهية . انظر إلى أمتنا نحن . فقد نشيج الفساد فيها عن مترفيها لاغير . لهنهم هجروا الطريقة التي كانت طريقة الأعمة الهادين بمقتضى الاحكام الإلهية وبدؤوا يتبعون السبل الشيطانية . فهم الذين جروا على ارخاء القيود الشرعية اتباعا لاهوائهسم ، وجعلوا عباد الله يسهدونهم شأن الفراعنة والقياصرة ، وهم الذين عودوا أمتهم الخصوع الملوك والامراء بدل الخصوع أمام الله وعلموا الرقاب التي أمرت بأن تسجد لله وحده كيف تسجد للميساد ، وهم الذين زينوا الماصي والذوب لامتهم بارتكابهم اياها في القسور الراهيسة والاثرياء الفاخرة . وبأ كلهم الحرام عودوا أفراد أمتهم أن بأكلوا الحرام وبؤ كلوه وهم الذين استخدموا العلم للشلال والمقل للاقساد والفطنة المكر والاثبار ، والثروة لاشتراء سلمة الإعان والحكم للظم والمدوان ، والقوة والاستكبار . ثم هم الذين سدوا معظم الطرف الشرعية إلى فيل المصالح والحقوق وإلى الترقي والصعود ، ودفوا الناس على أن عنالوا لنيل مقاصدهم بالرشوة والتعلق والكذب والمكبدة وما إلى ذلك من الطرف الميئة .

وبالجلمة ليس هنالك من فساد خلقي أو عملي لم تكن نشأته من هؤلاء لملترفين . انهم أساؤوا استمهال ما آثاهم الله من النمم ، فضاوا وأضاوا .

كان كل هذا واقماً مند القرون، وكان كيان الماين القومي بنخر فيه الفساد الخلقي الداخل في أحشائه ، ولكن القلوب على الاقل كانت علمرة بنور الايمان ، وانه وان تضاءل الاتباع لاحكام الله والرسول إلا أن عظمة الله والرسول كانت باقية في الصدور ، ومها خالصف القوم القانون الاسلامي فان احترام القانون لم تخل منه نفوسهم ، ومهما ازداد الانحراف من الحكم الاسلامي فانه لم بنجراً أحد على البغي عليه ، وكل ماعده الاسلام حقا كان بعد من الحق لاشك وان علاالغالون في الاعراض عنه وانباع الباطل ، ولم بتجاسر أحد على أن بعد ما هو حق في الاسلام وحرامه حلالا بل مستحسنا ويجمل واجبه لفواً وعبئاً وجائزه مكروها وحرامه حلالا بل مستحسنا ويجمل إثمة عملا سالحاً ، ولا ربب أن كان الناس بركبون الاتمو تدنس أعراضهم بلؤم الحرائم وكانوا يتعدون حدود الشرع ويحنون في غالفة القوانين الاسلامية ، ولكنهم على هذا كلمه الشرع ويعنون في غالفة القوانين الاسلامية ، ولكنهم على هذا كلمه مترف على الاقل بانهم بعصون الله والرسول .

ومرد ذاك إلى ان حضارة المسلمين على كل ما يوحد فيهم من انحلال المقائد وفساد الإعمال كانت تقوم على تلك الدعائم والاركان التي رفعها الاسلام. ومع ان استيراد الافكار اليونانية والفارسية في المجتمع المسلم نشرا كثيراً من الضلال الا ان هذه الافكار الطارئة لم تنجح إلى حد أن تقلب وجهة نظر المسلمين وتجعل تركيب عقليتهم شيئاً متنافياً مع الاسلام

ولم يبلغ من تأثيرها فبالديهم من قوى العقل والفكر والنمييز ان يتركوا النظر بنظرة السلم والتفكير بذهن المسلم . وكذلك ان ارتقاء المدنية والحضارة وان انحرف كثيراً عن السبل اثني خططها الاسلام ، بتأشيب المؤثرات الخارجية ، إلا أن المبادى «التي رفعت عليها فواعد هذه الحضارة والمدنية بقيت موجودة في أساسها، ولم تحل محلها مبادى «الحضارة والمدنية الاخرى المعارضة ، وفعد كذلك نظام التعليم الواتيج بين المسلمين كثيراً والكنه كان المعلوم الدينية فيه مكان علجوظ أبداً . ولم بكن أي فرد متعلم من المسلمين بكون غير عارف بالعلم الاساسي الابتدائي – على الاقدل – على المعالم الاسلمية والاحكام الديمية والتقاليد الملية .

وضعفت سيطرة القانون الاسلامي على حياة المسلمين العملية ولكن شؤونهم بالجلة بفيت تحت سلطان قانون واحد هو القانون الاسلامي . وملخص القول انه على الرغم من كل المفاسد والمساوى ، الرائجة بدين المسلمين كان للاسلام تأثير بائغ في أفكارهم وأخلاقهم وأعمالهم .فكانوا يؤمنون عبادئه حنفاء لايميلون إلى شيء آخر . ولم تكن المبادى الحفالفة للاسلام نجحت في الدخول في حظيرة إيمانهم على الاقل . وكانت القيم الاخلاقية والعملية التي قررها الاسلام لم تتغير إلى حد أن تنقلب رأساً على عقب وتقوم مقامها قيم أخرى .

ولكنه لما انتزع الحمكم من أيدى المسلمين في القرن التاسع عشر ورأى متر فو هذه الامة أنه بكاديضيع عنهم الحجاه والمنزلة والعز والاحترام والثرة والاموال يرمم ماضاع من الحمكم والامر ، وأنه ما من وسيلة للاحتفاظ بكل ذلك واستدراك ما فات منه في حالة المبودية سوي تعلم

علوم الغرب وتقليد حضارة الفرب ، أصاب سيرتهم وسلوكهم تفيير آخر لم يكن في حقيقة الامر تغييراً فحيب بل كان اتقالابا . فان التغيير معناه تبدل الشيء ولكن و الانقلاب، معناه الثقلب والانكباب . فالمسلمون انقلبوا حقا في تقلبهم هذه المرة إلى حد ان انقلبت عقليتهم وانقلبت فظرياتهم وتحول اتجاههم من الاسلام إلى الطريقة الافرنجية التي تقف في الجهة الماكسة للاسلام .

غلما ابتدأ هذا الانقلاب جمل ذلك الخجل والندم الذي كان يشعر به المسلم عند عصيانه للقوانين الاسلامية يزول ويتلاشى . وعاد المسلمون لا محسون أبداً أنهم بتجاوز حدود الشرع يرتكبون إنما أو خطيئة . وحل محل الندامة والخجل على مرور الايامالنجرء والوقاحة فندوا برتكيون كل نوع من عصيان القانون علناً ويفتخرون به بدل أن يندموا عليــه. ولكن تيار الانقلاب هذا لم يقف عند هذا الحد يم، وانما الذي أصبح يسمع ويشاهـــد اليوم في مجالس المسلمين المتفرنجين المستفريين بتخطى حدود الوقاحة ويشير إلى علامات البغي الصربح على الاسلام . وقد آل لا يخجل من ملته بل يخجل من لا يزال الى الآن بتبع ذلك القانون البالي القديم ? مكمأن المذنب والمجرم الآن ليس من مخرج على القانون الاسلامي بل الذي بلتزمه . وأصبح المسلمون اليسوم لايكتفون بان مجتنبوا الصوموالصلاة بل هميتباهون في ذلك ويشجبون على ركها، فيستخرون من الذين يصلون ويصومون في هذا العصر المتنور ، ويرجى من المصلين والصائمين ـ خصو سأإذا كانوا من الطبقـة المتملمة المثقفة ـــ ان بعودوا في يوم من الأيام نادمين على فعلتهم . وسار من الرأي الانافه ليس اجتناب الصوم والصلاة بل التزامه هوالعار الذي يجب ان يستحبى منه . وقد بلغ الامر من ذلك انه ان ظهر عبب او معرة في رجل بلتزم الصلاة فانه يتناوله القوم بالسخرية والطمن ويقولون : لاغرو فان حضرتنا من المصلين . كان السبب في صدور ذلك العيب من الرجل ليس غيب العمل الذي قد عده الله عز وجل ناهيا الفحشاء والمذكر وجعله النبي عصيفين أفضل الاعمال كلها .

وليس هذا البغي والخروج عن الدين موقوفا عند الصلاة والصوم بل قد تجاوزها إلى جميع شؤون الحياة على التقريب . فالآت يعبر عن التزام الاحكام الإسلامية به و الرجمية الدينية ، و « الرجمية الدينية ، في مصطلح عصرة الحديد عبارة عن مركب عاد من ضيق النفار وإظلام الفكر والحيالة والسفاهة والتزوع إلى القديم . وبكلمة أخرى إن المسلم الراسخ الاعتقاد المتبع الشريعة اسمه في المصطلح المصري « رجل الدين الرجمي ، و « رجل الدين الرجمي ، هوالذي بكون بيداً عن التهذب والاستنارة الفكرية ولا يكون أهلاً للاندماج في المجتمع المهذب . فهذا القلب يهون في جنبه كل الشتائم وإذا آراد « أفر نجيونا السود ، آن ببيدوا كراهيتهم الذي يتبع الدين فانهم بدل أن يستعماوا لذلك كلمات متعددة وهي حواع كل عبب .

وليس من الحجة الكافية اليوم لتبرير قول أو فمل أنه موافق القرآن

والسنة ، وإغا يقوم ويرفض سند القرآن والسنة المسلم نفسه ، لاغير المسلم، نعم المسلم الذي قد أصبح لسوء الحظاء مثقفاً مستنيراً ، مم لا يخجل على ذلك شيئاً بل برى أنه ينبغي الذي قدم تلك الحجة الدبنية أن يخجل ويستحيى . ودع القول في سند القرآن والحديث و حجتيها ، إغا شاهدة أن امر الساؤة عرض على تلك و الطبقة المثقفة المستنجرة ، ياسم الاسلام فأنه تحجه نفوسهم وينشأ فيها تعصب شديد عليه ، لكنه إذا عارض نفس الأمر باستدلال عقلي أو باقتباس من كاتب غربي فانهم يصيحون : آمنا وصدقنا . فاسم الاسلام بلقي في أذهان و المسلمين المتفرنجين ، منا أنواعاً من الشكوك و محملهم على الفان أنه إذا اقترن أمر بالاسلام فلا بدد أن يكون فيه ضعف أو مغمز ، وكأن سند القرآن والحديث الآنلا يقوي بكون فيه ضعف أو مغمز ، وكأن سند القرآن والحديث الآنلا يقوي لهم أمراً في أعينهم بل هو يجمله ضعيفاً مفتقراً إلى الحجة والبرهان .

وكانت هذه الآفة قبل سنوات منتسرة في رجالنا وحدم ، وكانت نساؤنا بمأمن منها . وإنا نستطيع أن نقول بالنسبة للحضارة الاسلامية على الأقل أن الحريم (الله هو الملجأ الأخير الذي يدافع الاسلام فيه عن مدنيته وحضارته . ولا ربب أن من المصالح الكبرى التي جمل الاسلام المرأة من أجلها من وراء الحجاب أن يتطهر على الأقلل ذلك الصدر الذي يتنذى بلبانه الطفل المسلم ، فيبق مشرقاً بنور الاسلام وأن محفظ على الأقل ذلك الحجر الذي يتربي فيه الطفل المسلم من تأثير الكفر والضلال وفساد الأخلاق والأعمال ، وأن يقام حول ذلك الهد الذي يجهاز فيه

<sup>(</sup>١) حرم الرجل : ما يدافع عنه ويجميه ، ومنه سميت نماء الرجل بالحري .

الجيل المسلم منازل حياته البدائية جو إسلامي خالص ، وأن تحرس من فيل المؤثرات الخارجية تلك الحدود البيتية - على الأقل - التي ترتسم فيها على ذهن الطفل وقلبه الصافي أولى نقوش النملم والتربية والمشاهدة. وظافريم البيتي ، إذن هو أحكم وأمنع قلمة للحضارة الاسلامية ، بنيت في الحقيقة لا جل أن تلجأ إليها هذه الحضارة متى الهزمت ونكصت من الميدان الخارجي . ولكن الا مض أن هذه القلمة أيضاً قد بدت فيها أعراض الخراب . وأصبحت آفة و الطريقة الافرضية ، تدخل في البيوت أيضاً . وذلك أنه عاد متروفا المتفرنجون بجرون النساء أيضاً معهم إلى مزدهم الحياة لكي يتسممن بذلك السعوم الذي قد سرى قبل ذلك في الرجال . وها هن بنات أمننا ترسل الآن إلى معاهد النمليم الغربي لكي بتلقين فيها دروس الضلال وسوء الاعتقاد و فساد الا خلاق والحضارة الافرنجية ، كا أرسل إليها أبناؤنا من قبل ، فتلقوا منها كل ذلك وجاؤوا خارجين على الاسلام .

وهذه الخطوة الاخيرة سوف تكون \_ في رأينا \_ مكلة لذلك الانقلاب الذي قد أشرن إليه آنفاً. وليسهذا من ظننا وقياسنا فحسب، بل قد شاهدة إمارات تكيل هذا الانقلاب ببينينا هاتين وسحمنا عنها باذنينا هاتين. وقد آلالا مر إلى أن المرأة المسلمة تخرج من بيتهاسافرة متبرجة جاعلة أحكام القرآن والسنة الصريحة وراء ظهرها، فتتناول الفداء والمشاء في الفنادق الاوربية وتجلس في صف الرجال في قاعة السباوة وتمين في الاسواق من محل إلى آخر وتبيع وتشتري. وآفة الآفات أنها تأتي كل هذه الاعمال خلافاً للشرع الاسلامي ولا تندم أو تستحي عليه تأتي كل هذه الاعمال خلافاً للشرع الاسلامي ولا تندم أو تستحي عليه

يل تذكر أعمالها هذه بكل فخر وسرور وتوجه الملام إلى تلك المفيفة التي أبت أول الا مر أن تترك الحجاب السرعي انباعاً فلقانون الاسلامي، ولما نزعها زوجها إلى الخارج بالعنف فانها استحيت من التفرج بينظهر اني الرجال ولم ترض أن تطوف في الا سواق وتحضر حفلات المشاء والرقص في فنادق ( تاج ) و ( جرين ) وتتنزه في المصابف والشواطيء لم ترض ذلك ولم تؤثره على الا شفال البيتية الرتبية التي كلفها بهما الله ورسوله . ومنى ذلك أن روح الخروج على الاسلام قد جاوزت الرجال إلى النساء أبضاً وهن أبضاً أصبحن بمتبر فاتباع القوانين الاسلامية \_ لاعصيانها \_ شيئاً تندم عليه المرأة المسلمة وتخجل. فانا فقه وإنا إليه راجمون. وإنانتساءل: إن كنتم أنتم الذين تربيتهم في حجور الامهات المابدات الصالحات قد انحدرتم إلى هذا كله فاذا بكون إذا افتقدت نساؤكم أيضا النبرة الاعائية وتخطين حدود الاطاعة لله والرسول، وماذا تكون حال الا حبال التي ستنشأ في حجور أولئك الآنسات المتفرنجات الجديدات ؛ وقل لي بالقرإن الا ولاد الذين سيرون أول ما يفتحون أعينهم آثار الحياة الافرنجية فيما حولهم ولن تقع عبونهم البريئة على مظهر من مظاهر الحضارة والتمدن الاسلامي . وأن تقرع مسامعهم كات الله والرسول وأن ترتسم على ألواح ذهنهم وقلبهم الصافية إلا نقوش الطريقة الافرنجية منذ أول يوم هاريمكن أن يرجى منهم أن يكونوا مسلمين في عواطفهم وأفكارهم وأخلاقهمو أعمالهم أو في أي شيء آخر !.

إن المرحلة الاولى لجريمة ما هيأن يرتكبها الانسان ولكن بستبرها - ١٩٣٠ - نحن والحضارة م-١٩٣ جريمة ويندم عليها . مثل هذه الجريمة انما تستحق المقاب بحسب نوعيتها ودرجتها فحسب ، بل هي قد تغفر ارتكبها إذا تأب الى الله و نسدم على ما فعل ، لا "ن مثل هذه الجريمة تعتبر من مظاهر ضعف الانسان .

والمرحلة الثانية للجريمة هي أن يتولى كبرها الالسان ثم يعد فعله هذا حسنة و لا سيئة ، ، فيعلن به بكل غر, ومعنى هذا الىالر جدليس في قلبه احترام لذلك القانون الذي قد قرر ذلك الفعل جريمة .

والمرحلة الاخبرة النهائية للجرعة هي ان لا بكتني الانسان بات يرتكب ما يخالف قانونا من القوانين، بل يمتقد جريمته تلك جائزة وعملاً مستحسناً باعتبار قانون آخر بخالف ذلك القانون، ويستهزى، بالفانوت الذي يقرر فعلته تلك جريمة، وبخطى، متبعيه . مثل هذا الرجل لا بعصي القانون فحسب بل هو يهينه ويرتكب البغي عليه .

كل من أوتي حظاً من العقل السلم لا بد أن يسلم بأن الانسان إذا وسل إلى هذه المرحلة النهائية فانه لا يكن أن ببقى في حدود القانون الذي قد بغى عليه علناً. ولكن ما أخبث الشيطان الذي يقنعكم بأنه يكن أن نظلوا مسلمين مع إهانتكم الاسلام وتهككم به و نسيركم لا تباعه وتصويكم لعصيانه . فبجانب ها أثم أولاء تستقبحون ما يستحسنه الله والرسول وتستحسنون ما يستقبحانه ، وتعدون صواباً ما يجملانه إثماً وتعدون دنباً ما يجملانه ثواباً، وتسخرون بما يأمران به وتعصون ابضمان من قانون ، ثم لا تخجلون عليه بل تخجلون - على المكس - عن يتبع من قانون ، وبجانب ها ادعاؤكم أنكم تؤمنون بالله والرسول خلك القانون ، وبجانب ها ادعاؤكم أنكم تؤمنون بالله والرسول

وتعمر قلوبكم عظمتها وتتبعون الدين الذي يرتضائه \_ أي الاسلام \_ م فيل عكن لذي عقل أن يقبل أن هذا الادعاء القارغ مع ذلك العمل أم يسح وبجوز. واثن كان من المكن أن يجتمع الانكار بالاعان والاهانة بالمنظيم ، وإن كان من المكن أن يحترم المرء أحداً ويستهزىء به في الوقت نفسه. وإن كان عابتصور أن المرء الذي يفتخر بالمخالفة ويعد الاتباع حقيقاً باللاغ \_ ق كون متبعاً ومطيعاً فانتاً ، فانه لا بد أن يذعن بأن البني هو الاطاعة عينها وأن الاهانة في التنظيم نفسه وان الانكار هو الاعدان في الواقع ، وإن الذي بحقرك ويركلك برجله هو في الحق يعظمك و بكرمك وإن الذي يسخر منك هو الذي بحترمك وإن الذي بعندك و بدعوك كاذباً هو الذي يصدقك !

إلا أن الاسلام ايس بني عبر الاطاعة . ولا تنحقق الاطاعة الحقيقية بغير الإيمان، وأولى مقتضيات الايمان أنه إذا بلغ المرء أمر من أوامر الله والرسول خضع له خضوعاً ولم بسمه أن يرفع رأسه بازائه . (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمنا وأطمنا وأولئك م المفلحون )(١) . ثم ان هذا الخضوع بجب أن يكون عن طوع ورضى ، لا عن كراهية ، حتى ولا يجد المرء في قلبه من حرج أو سخط على ما يأمر به الله والرسول . ومن تظاهر بالخضوع والنسليم ووجد في نقسه حرجاً من كل هـــذا فائه ليس بمؤمن ، بل في زمرة المنافقين . ( وإذا قبل لهم تعالى الى ما أزل الله وإلى الرسول رأيت

<sup>(</sup>١) النور : آية – ١٥ .

المنافقين يصدُّون عنك صدوداً)(١). (فلا وربَّك لا يؤمنون حتى محكموك فيا تشجر بينهم ثم لا بجدوا في أنفسيهم حرَّجاً مما قضيت ويسلسموا تسلم )(٢).

ولكنه من رفض انساع الاس علانية وهر شريعة الله والرسول ليتبع القوانين الاخرى واعتقدها صحيحة وحقاً ، وبجانب انباعه لتلك القوانين سخر من شريعة الله والرسول وقبيح إطاعتها والتزاميا فانه لا يمكن أن يكول مؤمناً وإن كان يدعو نفسه مسلماً بلسانه ويتسمى باسم من أسماء المسلمين وكان اسمه مقيداً في ثبت المسلمين في بجل الاحصاء. وذلك أن المرء يمكن أن يقى مؤمناً مع ارتكابه لمصية ولكن بشرط أن يعتبر معصيته معصية ويندم عليها ويسلم بذلك القانون الذي قد ارتكب عصيانه اضعف كامن في فطرته . ولكنه إذا كانت مع المصية الوقاحة واللجاج وكان المرء بتباهي بها ويستحسنها ويلوم من يحجم عنها ، فات هذه المصية الممر الله لا يمكن أن يبقى بعدها الاعان أبداً ، وعلى المره قبل أن يدخل في هذه المرحلة أن يقني بعدها الاعان أبداً ، وعلى المره قبل أن يدخل في هذه المرحلة أن يقني ويقطع ، هل أنه يريد أن يبقى في دائرة الإسلام أو بحب أن بغادرها ويدخل في إطاعة القانون الذي قد انشرح صدره لاطاعته ؛

و من فضل الله على هذه الامة أن عامة المسلمين بمأمن بعد من هذا التيار العنيف للطريقة الافرنجية والتورة الالحادية. فلا تزال قلوبهم عامرة

<sup>(</sup>١) الناء آية \_ ١١ .

<sup>(</sup>٢) الناء آية \_ ٢٥ .

باحترام أنه والرسول وهم الذي يوجد فيهم اتباع القوانين الاسلامية كثيراً أو قليلا. ولكن سلوك الخاصة كما أثر من قبل في أخلاق هؤلاء وشؤونهم ، كذلك يخشى أن يصيب سلوكهم هذا الجديد ابمان هؤلاء الضماف بتأثيره المهاك. وإن السرعة التي يزداد بها ميل العامة المسلمين إلى ترك الصوم والصلاة وافتراف المنكر والمنبي وتقليد الطرق الأفرنجية والتفرج بالالعاب والمعارض المسرحية والسيئائية التي تعرض الحضارة الأفرنجية بمظهر خلاب ، هي في الحق منبهة على الخطر المخشى الآتي . ولئن لم يقوم عوج مترفينا في الفكر والرأي وبقي عدولهم عن صراط الاسلام المستقم على ما هو عليه الآن ، فانه لا يبعد اليوم الذي تبتلي الاسلام المستقم على ما هو عليه الآن ، فانه لا يبعد اليوم الذي تبتلي جميع الامة فيه بهذا الضلال وتتحقق سنة الله التي أشار إلها القرآن بقوله : (وإذا أردنا أن نهاك قربة أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً 1)

## الفناد الاجتمياعي

من القواعد الكلية التي أثبتها المقرآن أن الله تعالى ليس بظالم ، حتى يهلك أمة بلا سبب وهي تعمل سالحاً ( وما كان رابك ليهلك القرى بظالم وأهلها مصلحون ) (١) وليس المراد بهذا الاهلاك والتدمير أن تقلب طبقات البلاد ويورد العمران الانساني حياض الموت فحسب ، بل من صور الافناء والندمير أيضاً أن بشتت أمر الامم وتكثر قوتهم الاحتماعية و تضرب عليم الذلة والسودية والخزي. وبحسب هذه القاعدة القرآنية لا يصيب أمة ما أي نوع من أنواع الدمار والخراب إلا إذا تركت منهج الخير والصلاح وأخذت تسلك مناهج السر والفساد والمتو والمصيان ، وبذلك ظلمت نفسها بنفسها . وان الله تعالى حيث ما ذكر في كتابه أمة أصبت بعداب وهلاك قد ذكر مجانب ذلك جرعتها أيضاً في كتابه أمة أصبت بعداب وهلاك قد ذكر مجانب ذلك جرعتها أيضاً يفساء لتلك القاعدة ، حتى ينبين للناس أن وبال أعمالهم السيئة هو الذي يفسد دنياه و آخرتهم ( فكلا أخذ نا بذ نبه ....وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفشهم بغالمون ) (٢) .

والأمر الآخر الذي يستخرج من هذه القاعدة هو أنه لا بكون

<sup>(</sup>١) هود - آية ١١٧.

<sup>(</sup>٢) الضكبوت \_ آية . ٤ .

باعث الهلاك والدمار هو الفساد الفردي بل هو الشر والفساد الاجهاعي القومي . ومعنى ذلك أنه إن كانت المفاسد الاعتقادية والعملية إنما توجد متفرقة في الافراد وكان مستوى الأسة الديني والخلقي رفيعاً من حيث المجموع بحيث بحجب مساوى والافراد، فها بكن من فساد سيرة الافراد على حدة تظل الامة من حيث المجموع محتفظة بكيانها ولا تحل بها فئنة عامة تجر عليها الهلاك بأكلها . والكنه متى جاءت المفاسد الاعتقادية والعملية تجاوز الافراد إلى الأمة بأسرها وتخدر شعور الأمة الديني والاخلاق إلى حد أنها أصبحت صالحة لأن يزكو فها النسر والفساد بدل الخير والصلاح فان المنابة الإلهية عند ثلث تنصرف عن هذه الأمة و تأخذه فيه المحبوط من علياء العز إلى درك الحوال ، حتى تحين الساعة التي يهبيج فها عضب الله عليها فيدم ها تدميراً .

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من أمثلة هذه الامم .

فتلك أمة نوح عليه السلام فد أهلكت حين تأسلت فيها مفاسد الاعتقاد والعمل وجعلت تنمو وتنتشر في المجتمع كله ولم بنى من أمل في أن شجرتها الخبيئة ستنتج تمراً صالحاً أبداً. فاضطر نوح \_ عليه السلام إلى أن بنادي ربه : ﴿ رَبُّ لا تَذَرُّ على الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً. إلى أن بنادي ربه : ﴿ رَبُّ لا تَذَرُّ على الأرض مِنَ الكافرين دَيَّاراً. إنك إن تَذَرّ م يُضافوا عِمَادًك ولا تبليدوا إلا فاجراً كَفَّاراً ﴾ (١٠).

وتلك عاد أهلكوا حيمًا بلغ التسر والفساد من نفوسهم بحيث أسبح المفسدون الطالمون الأشرار زعماءه وحكامهم. ولم يبق لأهسل الخير

<sup>(</sup>١) نوع - آية ٢٦ .

والصلاح من منسع في نظامهم الاجماعي ( وتلك عاد تُجحَدوا بـآبات رَبِهم وعصوا رُسُلُه ، واتبعوا أمر كل تجبّار عنيد )(١).

وأمة لوط عليه السلام - قد أخذها الله بمذابه عندما بلغ من تبلد حسهم الخلقي ووقاحتهم ونذالتهم ان عادوا يرتكبون الفواحش علانية في الحجالس والأسواق . ولم يبدق فيهم شمور بكون الفواحش فواحش (أإند كم لتتأتنون الرّجال وتنقطمون السّبيل وتنأتنون في ناديكم النّمنيكر ) (٢).

وأهل مدين ذاقوا عذاب الله عندما أصبحت الأمة كلما خائنة غاشة سيئة الماملة. ولم يبق التطفيف في الوزن والكيل وأخذ الزائد على الحق شيئاً معيباً عنده. ومات الحس الخلق فيهم إلى حد أنهم مني عذلوا على ذلك لم يطرقوا حياه و ندامة بل أقبلوا على العاذل نفسه يلومونه ، ولم يشمروا أن فيهم عيباً يستحق الملام . وكانوا لا يستقبحون الفواحش، بل يخطئون من بندد بها ويعتبرونه حقيقاً بالطعن والملام ( ويا قنوم أو فوا الكيثل والميزان بالقيسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشو افي الأرض مفسدين ..... قالوا يا شميب ما نَفقه كنيراً عمّا تقول وإنا انتراك فينا صفيفاً ولولا ره هاك فرجمناك (٣) .

وأما بنو إسرائيل فقد قضي بضرب الذلة والمسكنة عليهم وابتلائهم

<sup>(</sup>١) هود \_ آية ٥٠ .

<sup>(</sup>٢) الشكابون \_ آية ٢٩ .

<sup>(</sup>٣) مود \_ آية ٥٨ .

بغضب الله والمنته حيمًا جملوا بندفعون إلى العمل السيء والمدوان وأكل الحرام، وأصيب زعماؤهم وهدائهم عمرس الأثرة والجري وراء المصالح الذائية، بسامحون الخطايا والذنوب وليس فهم رجال بدعون البيب عيماً وينهون عنه ( وتشرى كشيراً منهم يسارعون في الإشم والمدوان وأكليم الشحت، الميئس ما كانوا يسمكون. لولا بنهاهم الرابانيشون والأحبار عن فولهم الإنم وأكليم الشحت، لبئس ما كانوا يصنعون) (١٠). ( لعين الذين كفروا من بني إسرائيسل على لسان داوود وعيسى ابن مراجم. ذلك بما عصوا وكانوا بمتدون. كانوا لا بقاهون عن منكر فتعلوه ( ) (١٠).

والأحاديث التي أثرت عن النبي والتلكية في تفسير هذه الآبة الأخيرة توضح مطالب القرآن الكريم إيضاحاً مزيداً ، وخلاسة تلك الآثار جيماً أن النبي والتلكية أخير أنه : لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي كان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول : با هذا اتنى الله ودع ما تصنع فانه لا بحل لك منم يلقاه من الفد فلا عنمه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله فلوب بعضهم يعض. ثم قال: (لُعن الذي كفروا من بني إسرائيل على ليسان داود وعيسى بن مريم .... الح) . قالوا وكان رسول الله ويتنهون عن المنكر ولتأخذن يبد المبيء ولتأطرنه على الحق المرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلمنتكم كما المنهم ، أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلمنتكم كما المنهم ،

<sup>(</sup>١) المائدة \_ آية ١٣.

<sup>(</sup>٣) المائدة \_ آية ٢٩ .

إن فساد الاعتقاد والعمل مثله كمثل الاوبثة . فان مرضاً وبيئاً من هذه الأمراض يصيب أولاً بعض الأفراد الضعاف. فان كان المناخ حيداً والتدابير المتخذة المرعابة الصحية محكة وكان هناك نظام مضطرد مممول به لازالة الأقذار والانجاس وعواج الصابون الأولون بدون تأخير ، فال هذا المرض لا يتحول إلى وباء عام ، ويسلم منه عامة الناس. ولكنه إن كان الأطباء غافلين وكان قسم الرعابة الصحبة غير مهتم بواجبه ، والمسؤولون عن التنظيف قد أصبحوا محتملون وجود النجس والقذر ، فان جرائم المرض تنتشر في الجو رويداً روبداً ويبلغ من سوء تأثيرها في المناخ العام أنه يعود صالحًا لفءُو المرض بدل الصحة . حتى إذا لم يجد علمة أفراد البلا أى ثيء من الهواء والماء والطمام والسكني واللباس سالماً من أثر النجس والسمية فان قوة حياتهم تبدأ تخونهم وبصاب السكان جميعاً بالوباء المام ، فحينتُ لما يستطيع حتى أقوى الافراد وأصحهم أن يدفعوا عن أغسهم غائلة المرض ، بــل المرض بعم حتى الأطباء المعالجين أنفسهم ومن معهم من القائمين على التنظيف والرعلة الصحبة ، ولا ينحو من الهلاك حتى أوائنك الذين يتخذون بالنسبة لأنفسهم جميع الثدابير الصحية ويستمعلون الأدوية والعقاقير ، لأن تسمم الهوا، وتنبر الماء واتساخ الأرض وفساد وسائل الفذاء أيس بما ينفع في وجيه أي علاج أو تدبير وقائي .

وقس على هذا كله فساد الأخلاق والأعمال وضلالات الاعتقاد . فالماء ه أطباء الامة . والحكام ورجال الدولة هم القائمون على التنظيف

والرعابة الصحية . والنبرة الايمانية الأمة والحاسة الخلقية المجتمع هي عِثَابَة قوة الحياة ( Vitality ) . والبيئة الاحتاعية تقوم مقام الهواء والماء والطمام والسكني واللباس. ومنزلة الامر بالمروف والنهي عن المنكر في الحياة القومية باعتبار الدىن والخلق كمنزلة عمل التنظيف والتدابير الصحية باعتبار الصحة الجسدية . فتى ترك الملماء وأولو الامر واجبهم الحقيقي وهو الامر بالمروف والنهي عن المنكر وعادوا محتملون وجود الثمر وانفساد ، فإن الضلال والإنجلال الخلقي بأخذ في الانتشار بين أفراد الامة وتجبل النيرة الاعانية فيهم تضمحل وتتلاشى حق تفسد البيئة الاجتماعية كايا ويصبح جو الحياة صالحاً للفساد وغير صالح للخير والصلاح ، فيفر الناس من الحسنات ، وينجذبون إلى السيئات بدل ان يتفروا سنها ، وتنقلب القيم الاخلاقية رأسا على عقب . فتعود المعايب محاسن والمحاسن معايب ، وعندئذ تنمو الضلالة والمفاسد الخلقية ،ولا يبقى هناك من بذرة النخير نصلح النمو والنبات ؛ أذ يأبي كل من الارض والماء والهواء أن يغذمها وينشئها لكون هذه كلها منصرفة بجميع قواها إلى تَمَدُبَةِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيئَةِ وتَنْمِينُهَا . فاذا وصلت أمة من الاثم إلى هذا الحال فانها تستحق المذاب الالهي وبحل بها من النكبة الشاملة ما لا يسلم منه أحد و إن كان بسد ليل نهار في الزوايا والخلوات.

وفي هذا قال الله عز وجل في القرآن : (واشقُوا فِتْنَهُ لاتُصِيبَنَ النَّفِي الْمُعْمِينَ اللهُ عَالَى اللهُ اللهُ

<sup>(</sup>١) الأهال : ٥٠

وسلم هذه الآبة بقوله: إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانهم وهم قادرون على أن ينكروه فلاينكروه. فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة.

إن أنجع الأسباب للمحافظة على صحة الامة الخلقية والدبنية هو أن توجد في كل فرد من أفرادها الغيرة الايمانية والحاسة الخلقية التي قد عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة والحياء به الجامعة . ان الحياء في الحقيقة جزء من الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : وإن الحياء من الايمان بي مناسبة أخرى: هل الحياء جزء من أجزاء الايمان ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وبل هو الدين كله » .

والمراد بالحياء أن تشعر نفس المرء بانقباض فطري من السيئة والمنصية فيكرهها قلبه . فالذي كان على هذه الصفة فإنه لا مجتنب القبائح بنفسه فحسب ، بل لا يصبر على رؤيتها في غيره أيضا ، فهو لا يستطيع أن يرى السيئات ترتكب أمامه ولا يمكنه أن جادن المصية والفللم . واذا ارتكبت السيئة أمامه هاجت فيه النيرة الدينية وهب ليمنع عنها ويمحوها بيده أو بلسانه ، أو تململ على الأقل في نفسه حرساً على محوها . وفي ذلك جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن الم يستطع فبلسانه . في المستطع فبلسانه . في المستطع فبلسانه . في المستطع ا

فالامة التي تنصف بهذه الصفة على العموم ، يسلم دينها من الآفات ولا يهبط مستواها الخلقي لأن كل فرد من أفراد ها يكون محاسباً ورقيباً للآخر ؛ ولا مجد فساد العقيدة والعمل منفذاً للدخول في كيان الامة .

إن غامة القرآل الكريم في الحقيقة هي ايجاد مجتمع مثالي كهذا يقوم كل واحد من أفراده بواجب الرقابة والاحتساب بميلانه الطبيعي وغيرته الفطرية وحافزه القلبي، ويكون في مجتمعه محتسباً ربانيا بدون أن بأخذ على عمله ذلك أجرة ( وكذلك تجملناكم أمنة وسطاً ليتكونواشه مداعلى الناس وبكون الرسول عليكم تشهيداً)(١).

لأجل ذلك بيين المسلمين مرة بعد أخرى أن الأمر بالمروف والنهي عن المنكر هو خصيصتهم القومية التي يجب أن تتحقق في كل رجل منهم والمرأة .

(كُنْتُمْ خَيْرَ أَثْمَةِ آخْرِجِتْ للناسَ تَأْمُرُ وَنَّ بِللمُرُوفَ وَتَنْهَبُونَ عن اللنكر وتُؤمِنون بالله )(٢) .

(والمؤمنون والمؤمنات بمضهم أو لياه بمض بأمرون بالمروف و بشهون عن المشكر )(٣).

( الآميرون بالمروف والنـّـاهون عن المنكّــر والحافيظُـُون لِحُـدود الله )<sup>(2)</sup> .

<sup>(</sup>١) البقرة \_ آية ١٤٣ .

<sup>(</sup>١) آل عران \_آبه ١١٠ .

<sup>(</sup>٣) التوبة \_ آية ٧١ .

<sup>(1)</sup> التوبة \_ آية ١٠٢ .

( الذين إن مكنَّاه في الأرض أقاموا الصلاة وآتنوا الزكاةو أمروا بالعروف ونهَّوا عن المنكّر )<١٠ .

فان كان المسلمون على ما تدعو إليه هذه الآيات كان مثلهم كنل البلدة التي يكون كل واحد من سكانها ذا إحساس وشعور بالنظافة والرعاية الصحية ، فهو لا يطهر جسمه وبيته فحسب ، بل يزيح النجس والقذر أبنا وجده فيا حوله ، ولا يصبر على رؤية أثر من آثار النجس في أي مكان . فمن الظاهر أن مثل هذه البلدة يبقى هواؤها صافياً نظيفاً ولا تنمو فيها جرائهم الامراض ، وائن كان بين سكانها رجل مريض أو ضيف على الوجه النادر الشاذ عولج للحال أو كان مرضه على الاقل مرضاً على الإجم الها الآخرين ويتخذ صورة الوباء العام .

ولكنه إن لم تتمكن الأمة المسلمة كلها من البقاء بهذه الدرجة السامية فلا أقل من أن تكون منها طائفة تكون في كل حين مستعدة النهيد صحة المجتمع الدينية والخلقية ، ونظل تعمل دائماً لإزالة درن الاعتقاد ونجس الأخلاق والأعمال . (والتكن مينكم أثمة "بدعون إلى الخير وبأطرون بالمروف و يَشْهُون عن المنكر )(٢).

والمراد بهذه الأمة هو جماعة العلماء وأولي الأمر التي يجب أن تكون منهمكة أبداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يجب أن يكون قسم التنظيف والرعاية الصحية في البلاة مستعداً أبداً للقيام بواجباته . قات

<sup>(</sup>١) الحيم - آبة ١١.

<sup>(</sup> ٢ ) آل عمران آية = ١٠١ .

أغفل العلماء وأولو الأمر واجهم هذا ولم يبق في الأمة جماعة واحدة تدعو إلى الخير والصلاح وتصد عن المذكرات، فإن هلاك تلك الأمة من ناحية الدين والأخلاق أمر محتوم، كهلاك البلدة التي لا تنخذ فها تدابير التنظيف والرعاية الصحية. وإن الآفات والمنكبات التي تركت بالامم السائفة إنما نزلت لأنها لم ثبق من بينهم طائفة واحدة تنهاهم عن المفاسد وتسمى لإصلاحهم وإبقائهم على الخير والصلاح. ( قلولا كات مين القرون مين قبيلكم أولنو تقيئة ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا عن أنجينا منهم)(١). (لولا بنهاهم الرابنيشون والأحبار عن قولهم الإنم وأكليهم السحت)(١).

لأجل ذلك إن واجب الملماء والمشايخ وأولي الأمر من كل أمة هو أكبر الواجبات والتبعات. وذلك أنهم ليسوا مسؤولين عن أعمالهم أنفسهم فحسب عبل تقع عليهم أيضاً إلى حد كبير تبعة أعمال الامة بكاملها. ولا تقول شيئاً في أمر الطالمين الماجنين ومن يتعلقهم من السلماء والمشايخ لان الله سيسنع بهم يوم الحساب ما يصنع ، والها الحق الله ان ينجو من هذه المسؤولية عند الله أولئك الأمراء والملماء والمشايخ الذي هم قابعون في قصور م وبيوتهم وزواياهم يزاولون التقوى والزهد ويشتغلون في السادة والرياضة . وذلك انه اذا كانت أمنهم قد أحاط بها من كل جانب طوفان من المشلال والانصلال الخلقي فإنه ليس من شأنهم من كل جانب طوفان من المشلال والانصلال الخلقي فإنه ليس من شأنهم أن يجلدوا في زواياهم خاشمين منهمكين في العبادة بل من واجبهم أن

<sup>(</sup>۱) عود \_ آية ۱۱٦ .

<sup>(</sup>١) المائدة \_ آية ١٠٠ .

ينبرو! كالمناصلين ويستخدمواكل ما آنام الله من القوة والنفوذ في مقاومة هذا الطوفان. وانه لا شك أن المسؤولية في دفع هذا الطوفان وصد تباره ليست عليهم ، ولكنهم مسؤولون ولا شك عن أن يبذلوا أقصى وسعهم وإمكانياتهم في مقاومته . واذا م قصروا في القيام بهذه المسؤولية فلن تبرئهم عبادتهم ورياضتهم وتقواهم الشخصية من مسؤوليتهم يوم الفصل . وأنت ان تمغي من المسؤولية موظف التنظيف والرعابة الصحية الذي اذا انتشر الوباء في البلاة وراح ضحيته آلاف من الناس ، انقبع في بيته ولم يفكر الا في إنقاذ نفسه وأهله وعياله من أثر الوباء . فبذا إن فعله عامة سكان البلاة لم يلاموا عليه كثيراً . ولكنه ان فعل مثل هذا الفعال الموظف المسؤول عن التنظيف والرعابة الصحبة فانه لا يقي هناك من شك في كونه بجرماً عظيماً .

## الإيميان والإطاعة

إن التنظيم الاجتماعي مهما كان فوعه ومهما كانت أغراضه وأهدافه يفتقر أبداً لقيامه وثباته ولنجاحه وتوفيقه إلى أمرين اثنين: أولهما أن تكون المبادئ اني شكات علمها الجاعة راسخة في نفوس الجماعة كلما وفي ذهن كل فرد من أفرادها، ويكون كل فرد من الجماعة حريصاً علمها ومؤثراً لهاعلى كل شيء آخر. والآخر أن تتأسل في الحاعة ملكة الطاعة والسمع فنطيع لجماعة من انتحته أميراً علمها و تتبع أحكامه و تلتزمما يقرره لها من قانون أو ضابطة ولا تتمداه أبداً. فهذان شرطان لا بد منها لنجاح كل نظام. وكل نظام سواء أكان عسكر با أو سياسيا أو عمر انها أو دينيا لا يمكن أن يقوم بدون هذين الشرطين ولا أن يبقى و يستمر، ولا أن يبلغ غايتة بدونها بدون هذين الشرطين ولا أن يبقى و يستمر، ولا أن يبلغ غايتة بدونها

خد تاريخ العالم كله وسرح النظر فيه من أوله إلى الآخر لن تجد مثالاً واحداً لحركة نجحت \_ أو تمكنت على الأقل من أن تبقى سائرة في طريقها \_ مع أتباع من ذوي الجبن والنفاق بعصون أمر القائد ولا حاجة لذلك إلى الخوض في صفحات التاريخ بل انظر إلى ماحولك من الدنيا، فعاذا يكون من رأيك في جيش لا يكون موالياً لدولته ولا مطيماً لقائده، ويأبي و جاله اتباع الضوابط المسكرية . فاذا ضرب الناقوس للخروج إلى العرض العسكري لم يتحرك جندي واحد من مكانه . وإذا

أصدر القائد أمراً لقي من الجنود آذاناً صاء. فهل لك أن تدعو هذا الجمع المختلط من الجنود و جيشاً وي وهل لك أن ترجو من هذا الحشد الذي لافائد له ولا طاعة فيه انه سيظفر في معركة ؟ وماذا نقول في دولة لا يبقى عند رعاياها احترام للقانون ، فنعصي قوانينها علانية ولا يبقى في أقسامها وشعبها من ضبط أو نظام ، ويترك عمالها الممل بما يأمر به ذو السلطة المليا فوقهم ؟ هل لك أن تقول انه عكن أن تقوم دولة في هذه الدنيا عبل أولئك الرعايا وهؤلا المهل ؟ وامامك اليوم مثالاً من دولتي المانيا وإيطاليا وان القوة الجبارة التي اكتسما هتار ومسوليني قداعترف بها اليوم العالم كله ولكن هل تعلم ما هي أسباب هذه القوة ؟ إن أسبابها عي الأمران الذان فيد سبق ذكرها : أي الإيمان وإطاعة الأمر . ولم تمكن الجاعة النازية والفاشية لتكتسب مثل هده القوة والنجاح ، لولا أنها تؤمن عبادتها هدا الإيمان الراسخ و تطبع قادتها تلك الإطاعة المحكمة الشديدة .

هذه الفائدة الكلية لا استثناء فيها . وذلك أن الايمان والاطاعة ي الحقيقة روح التنظيم فيقدر ما كان الايمان راسخاً وكانت الاطاعة كاملة كان التنظيم أقوى وآمتن وأتجح في بلوغ مراسيه . وبخلاف ذلك كل ضعف الإيمان ونقصت الاطاعة كان التنظيم أضعف بحسب ذلك وأفشل في بلوغ مراميه وانه لمن غير الممكن أبداً أن تنتشر في جماعة ماأمراض النفاق وسوء الاعتقاد والشرودالفكري والمتو والمصيان وعدم الالتزام، عبق فيها النظام وتوجد سائرة نحو الرقي في أية شعبة من شعب الحياة . فياتان الحالتان متناقضتان ، ولم تجتمعا قط مذ كانت الدنيا . والتن كان

قانون الفطرة أمراً محتوماً لا يرد، فان هذه الجزئية منه \_ وهي أنهاتين الحالتين لا توجدان معا \_ أيضاً أمر محتوم لا يرد.

تُم انظر في حالة الأمة التي تدعى مسلمة . فأي لون من ألوان النفاق وسوء الاعتقاد هو الذي يمكن أن يتصور وهو ليس بموجود في المسلمين؛ إن نظام الجماعة الإسلامية قد انخرط فيه حتى أولئك الذين هم بجهاوت أبسط تمالم الإسلام ويستمسكون إلى الآن بمقائد الحاهلية.وقد انخرط فيه أيضاً أوائك الذين يشكون في مبادىء الإسلام الأساسية وينشرون شبهاتهم هذه بين الناس ويدعون إليها علناً . كما انخرط قيـه قوم يملنون بكفرهم وإنكادهم بلانحرج ، وفوم آخرون بتهكمون بالمقائد والشمائر الإسلامية على رؤوس الاشهاد . وفي سلك الجاعــة المسلمة أيضاً أوائبك الذين يظهرون علانية نفرتهم من الدين والطريقة الدينية ، وأو الذك الذين يؤثرون الأفكار والآراء المستقاة من الأجانب على تماليم القرآن والسنة وأولئك الذن يقدمون على شريعة الله والرسول قوانين أهل الكفر وتقاليد الحياة الحاهلية ، وأوائك الذين يستخفون بشمائر الإسلام ترضيا لأعـدا ﴿ الله والرسول ، وأولئك الذين بقدمون على أن يضروا الإسلام أكبر ما يكون من الضرر الأحل مصلحة من مصالحهم الشخصية الصغرى. كما في سلكما أو لئك الذي عالمون الكفار على الإسلام ومخدمونهم مخلاف المقاصد الإسلامية ، ويثبنون بعملهم أنهم لا محبون الإسلام حتى بقدر الراسخين في الإعان الاصحاء المقيدة أشتمل الأكثرية الساحقة من هذه الآمة على أمثال هؤ لاء المنافقين ذوي العقيدة الفاسدة .

هذا من جهة الإعان. وانستمرض الآن حالة السمع والطاعة. إنك إن ذهبت إلى بلاة عامرة بالمسلمين رأيت العجب العاجب منه . بنادي المؤذن للصلاة ولكن كثيرًا من المسلمين لا محسون من هو الذي ناداه المؤذن ، ولأي عمل ناداه . وبحين وقت الصلاة وينقضي . ولكنه ليس من بين المسلمين من يذر عمله أو لهوه ولعبه لذكر الله إلا الفشـة القليلة جداً . ويأتي شهر رمضان فلا تكاد تحس من بعض بيوت المسلمين أنسه شهر الصوم . وكثير من المسلمين بأكلون ويشربون علانية ولا مخجلون من عدم صيامهم ولو قليلاً ، بل هم بخيطون \_ على الحكس \_ نمن يصوم من المسلمين إن عرضت المناسبة لذلك . ثم إن الذين بصومون قل منهم من بفعل ذلك مع الشعور التام بالواجب. وإنما منهم من بصوم عملاً بالتقليد الجاري في مجتمع المسلمين . ومنهم من يصوم للفائدة الصحية . ومنهم من يصوم ومع ذلك يقترف كل ما نهى الله ورسوله عنــه . أما الزكاة والحج فالممل بهما والتزامها أقل وانزر . وكذلك لا يزال ينعدم في المسلمين التمييز بين الحلال والحرام والطيب والخبيث . فأي شيء قد منمه الله والرسول لا يستبيحه المسلمون لأنفسهم وأي حدىما قررء افة والرسول من الحدود لا يتمداه المسلمون ؟ وأي ضاجاة قــد وضمها الله والرسول لا يلفيها المسلمون . وائن راجعت إحصاء المسلمين في العالم لوجدتهم مثات الملابين . ولكن انظركم في المئة منهم ، بلكم في الألف ، بلكم في المئة ألف، هم الذين يتبمون أحكام الله والرسوا، وبلنزمون الضوابط الاسلامية .

إِنْ الْأُمَةُ الَّتِي بِمِ فَيهَا مَرْضَ النَّفَاقَ وَضَعَفَ الْاعْتَقَـادُ ، وَالَّتِي يُمُوتَ

فيها الاحساس بالواجب وبذهب عنها السمع والطاعة والتزام القانون تستحق من المآل السيء ما قد وصل إليه المسلمون ولا يزالون. إن السلمين اليوم محكومون ومغلوبون في العالم كلمه . وان الاقطار التي هم فيها مستقلون ليسوا متحررين فيها من السيطرة المادية والمقلبة والخلفية للأجانب. أما الجهل والفقر والشقاء مهم مضرب المثل في كل ذلك. وال الانحطاط الخلقي قد أبلتهم قرار الذلة والهوان . وان صفات الأمانة والصدق وإيفاء العهد التي كانوا عنازون بها في العالم سابقاً قد انتقلت منهم إلى غيرهم، وقد استعاضوا منها ردّائل الخيانة والكذب والغش وسوء المعاملة ، ولا يزالون يتجردون مع الأيام عن التقوى والمفاف وطهـــارة الأخلاق، وبفقدون الغيرة والحمية شيئًا فشيئًا . ولم بين مهم أى وحدة أو تنظيم، نقلوجهم شتى ولم يعودوا يصلحون التعامل لأحل مقصود مشغرك. وإنهم قد ضيموا قدرهم بعد دلك في نظر عيرهم وافتقدوا ثقتهم لدىالامم ولا زالون يفتقدونها إلى هذا البوم. ولا تزال قونهم القومية والاجتماعية تضمحل على مرور الأيام ولا بزال تهذيبهم وثقافتهم القومية تنحو نحو الزوال. وإنهم ليزدادون عجزاً عن الدناع عن حقوقهم ، والاحتفاظ بعزه القومي.ومع أن التعلم لا يزال ينتسر فيهم وعدد الحائزين لشهادات الكالوريا والماحستير ، والمتعلمين في بلاد الغرب إلى الزيادة يوماً فيوماً ، وينمو فهم عدد الساكتين في الفيلات ( Villas ) والراكبين للسيارات واللابسين للبدلة الاوربية والمدعوبين الاسماء والألقاب الضحمة، والمفريين إلى جناب الحاكم الأعلى ، ولكن الصفات الخلقية العلبا التي كانوا متحلين

بها فيا مضى قد تعطاوا منها الآن. ولم يبق لهم شيء مما كانوا عليه فيا مضى من المهابة والقدر الرفيع لدى الأمم المجاورة. وقسد ضل عنهم أيضاً ما كانوا يملكون من القوة والنجدة الاجتماعية. وأما ما ينبىء به المستقبل من حالهم فهو أسوأ من هذا كله وأرداً.

كل دين أو حضارة أو نظام اجتماعي عِكن أن يُقبِل من الانسات تجاهه مدهبان اثنان لا غير : أو لهم أنه إذا كالداخلا فيه فعليه أن بؤ من بمادثه الأساسية إيماناً كاملاً وبتبع فانونه وضابطه كل الاتباع . والآخر أف إنَّ لم يستطع أنَّ يعمل بذلك فلا يدخل فيه . وإنَّ كان قد دخل بعد فليخرج منه علانية . وابس بين هـ ذين المدهبين صورة منقولة أخرى للممل . وابس أسخف وأبعد عن المنطقية أنْ تكونْ داخلاً في نظام وتعبش بينه كجزء من أجزائه وتدعى كونك متبعاً له، ثم تنحرف عن مبادئه الأساسية انحراقاً كلياً أو حزئياً فتمصي قانونسه وتعفى نفسك من التقيد بضواطه . إنَّ من النتائج الحتومة لهذه الخطة العملية أن تنشأ فيكم صفات الكذب والنفاق وتخلو قلو يكم من صدق النية ولا ينبعث في أنفسكم حماس أو صرامة عزم لقصود من القاصد، وتتجردوا من صفات الشمور بالواجب وانباع القانون والنزام الصابطة ولا تبقوا أهلا لأن تكونوا أعضاء المعين في نظام اجهاعي . إنكم بهـ ذه الرذائل والنقائص الخلقية أبنها ذهبتم وأي جماعة دخلتم فيها كنتم لها عازاً وسية ، وأي نظام الضمعة اليه خربتم بنيانه ، وأي حضارة سريتم في جسمها كنتم لهـــا كجراثم الجدام وأي دين اعتنقتموه مسختموه مسخًا . وإنه لخير من أك

تكونوا مسلمين بهذه الأوصاف أن تهجروا الاسلام وتنضموا إلى الطائفة التي تقتنع نفوسكم بمبادئها وتستطيعون أن تنبعوا طرائقها . وانه لخير من المسلم المنافق ذلك الكافر الذي يؤمن بدينه وحضارته صادق الإيمان ويلتزم ضوابطه .

وقد أخطأ من كان يظن في الماضي أن الملاج الناجع لمرض المسلمين هذا هو التعلم الفربي بالحضارة الحديدة وإصلاح الأحوال الاقتصادية ونيل الحقوق السياسية ، ومخطى • كذلك من يظن مثل ذلك في الوقت الحاضر. ولعمر الحنى اثن أصبح كل فرد من أفراد المسلمين حائز أاشهادة الله كتوراه والماجستير والمحاماة ، واغتنى وجم من الثروة والاموال شيئاً كثيراً ، وزين نف بالطراز الاوربي الجديد من الملابس من قمة رأسه إلى أخمص القدم. والن حاز المسلمون إلى ذلك جميع مناصب الحكومة وجميع أماكن الحجالس التشريعية ولكنه كان في قلومهم بجانب هذا كله مرض النفاق ، ولم يظنوا واجهم واجباً ، ومردوا على العتو والمصيات وعدم الالتزام ، فإنهم لا بد أن بعقوا على ما هم عليه اليوم من الضعف والضمة والحقول.ولم يكن لشيء منالتمليم الجديد وتقليد الطراز الاوربي والثروة والحكومة أن ينتشلهم من الوهدة التي انحدروا إلبها لصعف سيرتهم وأخلاقهم. فإن كنتم تر بدون الرقي و تطمحون أن تكونوا جماعة قوية عزيزة فإنه يجب عليكم قبل كل شيء أن تبثوا في المسلمين روح الايمان واطاعة الامر، إذ لا يمكن بدون ذلك أن تتقوى سبرة أفرادكم ولا أن ينتظم أمر جماعتكم ، ولا يمكن بدون ذلك أن تجمموا من القوة

الاجتماعية ما تحتلون به مكان المز والرفعة في العالم. وذلك أن جماعة منتشرة متشتتة تسوء حالة أفرادها الخلقية والمعنوبة لا يمكن أن تكون أهلاً لا ثن ترفع رأسها أمام أمم الا رض القوية المنظمة. وإن كومة من الزبل المجفف مها علا وضخم لا يمكن أن تكون قلعة!

إن أسوأ أعداء الإسلام والمسلمين م الذين يعممون في المسلمين داء المسيان وسوء الاعتقاد . وهؤلاء هم النوع الاضر الاسوأ من المنافقين الذين وجودهم أفتاك بالمسلمين من وجود الكفار المحاربين ، لا تهم لا يهجمون على هذه الاثمة من الحارج بل هم ينصبون لها المكايد ويوارون لهم الديناميت داخل مجتمعهم ، وبريدون أن يخزوا المسلمين في الذين والدنيا مما ، وهؤلاء هم الذين جاء عنهم في القرآن الكريم: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء). فأقل التدابير لاتقاء شرهم هو أن يقطع صلته عنهم كل من هو مسلم من صميم قلبه ويريد أن يبقى مسلماً. فلا تتخذوا منهم أولياء . وإلا قد قرر القرآن الكريم من جزائهم النهائي أن يحاربوا كأعداء الاسلام . (فانقولوا خذوه هوافتلوم حيث وجدتموه).



## المفهوم محقب في لكلة " لم الله

قد راج في حوارنا اليومي كان وتراكيب ينطق بها الصغير والكبير ولكن قل منهم من يفهمها و بدرك غور سانها . و بكثرة دوران تلك الكلمات على الألسن قد قر لها في أذهان الناس مفهوم إجمالي . فإذا تكلم بها ناطق أراد ذلك المفهوم ، وإذا سمها سامع فهم منها نفس المفهوم المختزل . ولكن المعافي المعبقة الدقيقة التي كانت وضعت لأجلها تلك الكلمات لا يهتدي إليها المثقفون بله الجاهلين العاميين .

خدمتلاً كامتي والإسلام، ووالمسلم، فاأكثر جريان هانين الكامتين على أقواه الناس وما أعم سيطرتها على ألسنتنا ، ولكن كم من الناطقين من ينطق بها وهو يشعر بما تنضمنان من الماني ، وكم من السامعين من يسمعها ويعهم منها عام المفهوم الذي كانتا وضعنا لأجلد . إن في المسلمين أنفسهم - دع عنك ذكر غير المسلمين - تسمأ وتسمين في المئة بل أكثر من دلك يدعون أنفسهم ومسلمين، وبسبرون عن دينهم بكلمة والإسلام، ولكنه لا يعلمون ماهو والمسلم، وما هو المفهوم الحقيق لكامة والإسلام، ولما بنافصرف بعض أوقائنا اليوم في تشريح هاتين الكلمتين .

إنكإن نظرت في أحوال الناس من ناحية الاعتقاد والممل وجدتهم على أقسام ثلاثة في أغلب الأحوال : أولها هم الذي يقولون علناً بحرة الرأي وحرية الممل . فهم ف كل أمر من أمور حياتهم يعتمدون على رأبهم أنفسهم ويؤمنون بما نحكم به عقولهم وكفى ، ومختارون من طرف العمل ما يكون في رأبهم أنفسهم صوابا . فهم لا علاقة لهم بدين من الأديان ولاهم يتبعونه .

والقسم اثناني يتألف من الذي هم يدينون بدين ما في ظاهر أمرهم.
واكتهم يتبعون في الحقيقة آراء هم وأدكارهم أنفسهم . فهم لا يرجعون إلى
دينهم ليأخذوا منه المقائد وقوانين الحياة ، بل هم يتخذون بأنفسهم
بعض المقائد حسبا تشاء أهواؤهم وسيولهم وحاجاتهم ، ويختارون
لأنفسهم طرقاللممل محاولون أن يصوغوا دينهم على سينتها ويصبغوه بصبغتها ،
فهم لا يكونون في الحقيقة أتباعاً للدين . بل الذين يكون تابعاً لهم
ولاهوائهم .

والثالث يشتمل على الذينلا يستمعلون عقولهم بل بمطلونها تعطيلاً، ويجرون وراء غيرهم من الناس يقلدونهم تقليداً أعمى ، سواء كان أولئك أجدادهماًو معاصرتهم .

فالطائفة الاولى تتهالك على الحربةولكنها لانسلم حدودها الصحيحة . 
إن حربةالفكر والعمل لاشك صحيحة إلى حد سا . ولكنها إذا جاوزت حدودها عادت ضلالا . فالرجل الذي لا يشمد الاعلى رأبه في كل أمر ولا يحتكم الا إلى عقله في جميع الشؤون ، فهو واقع في سوء الفهم وبغان خطأ ان علمه وعقله قد أحاط بجميع أمور هذه الدنيا ، فلا تعزب عنه حقيقة أو مصلحة وانه خبير بمالم كل طربق في الحياة ، عارف بدقائق كل مذهب علم بنهاية كل سبيل كمله بدايتها . هذا الزعم للعلم

والتنقل في الحق زعم خاطىء . وإن احتكم المرء إلى عقله بصدق ، لدله عقله بنفسه على أنه \_أي المقل \_ لا بتصف بالصفات التي بظنها فيه مقلده الأعمى ، وأن الرجل الذي بتخذه قائداً ولا يسلك طربق حياته الاعلى هديه لا يمكن أن ينجو من ذلة أو صدمة أو مهلكة أو ضلال .

وهذا النوع من حربة الفكر والعمل خار بالتمدن والحضارة أيضاً. في تقتضيه الحربة الا يستقد المرء إلا ماصح في رأيه نفسه والا يسلك من العارق الا ما صوبه عقله هو . وبما بقتضيه التمدن والحضارة \_ بخلاف ذلك \_ هو أن جميع من يضمهم نظام التمدن بجب أن يكونوا متفقين في بعض المقائد والأفكار الحوهرية ويتبعوا في حياتهم تلك الآداب والمادات وتلك القوانين التي قد قررت لنظم الحياة الاجتماعية . فأنت ترى أن حربة الفكر والعمل تتناقض مع التمدن والحضارة . ان الحربة تبعث في الافراد الانائية والاباحية والفوضى ، والتمدن بطالهم بالانباع والاطاعة والرضا . الدلك حيثا كانت الحربة انعدم التمدن ، وحيثا كان التمدن حتماعلى الأفل أن ينزلوا من حربة فكره و عملهم عن شيء كثير.

والطائفة الثانية أسوأ حالا من الاولى . فالطائبة الاولى ضالة فحب ولكن الثانية كذابة أبضاً ومنافقة غاشة مدخولة الباطن . وان كان رجل يستطيع أن يوافق بين دينه وأفكاره ومبوله ضمن الحدود الصحيحة للتأويل فانه عكن اتباع الدين مع حربة الفكر والسمل كذلك إن كانت مبول الرجل خالفة لتماليم الدين و لكنه صوب تماليم الدين و خطأ مبوله هو صحت دعواه إلى حدد ، انه يدين بذلك الدين الذي يدعى اتباعه و لكنه إذا كانت

عقائده وأعماله صريحة الاختلاف عن تعاليم الدين الواضحة ، وكال يظن أفكاره هي صحيحة وتعاليم الدين خاطئة ، تم حاول أن يسبب كون التعاليم الدينية مطابقة لافكاره وعاداته كيما يستطيع أن يعد من المؤمنين فان مثل هذا الرجل ان ندعوه أحمق لان الاحمق لايتأتي له مثل هذا المكر والخديمة ، بل سندعوه كذاباً مارقاً ، وسنضطر إلى الظن أنه لا يملك من الجرأة ما يبغي به هي الدين علنا ، فيدعي ايمانه من طريسق النفاق . والا أي شيء – ياثرى – يتعسه من هجر الدين الذي تتعارض النفاق . والا أي شيء – ياثرى – يتعسه من هجر الدين الذي تتعارض النبي عليما ، بل هو سائر عليما في الواقع . الذي يحب من صحيم قليه أن يسير عليما ، بل هو سائر عليما في الواقع .

والطائفة التالئة اسفل هذه العلوائف جميعاً باعتبار در جتها العقلية . فاغا خطأ الطائفة التالافقين الاوليين أنها نحملان العقل مالا طاقة له به ، ولكن خطأ هذه الطائفة أنها لا تستعمل العقل أصلا أو تستعمله استعمالا نزراً سواء هو والعدم، وأي خزي أكبر لعاقل أن يعتقد عقيدة ما تم لا يكون بيده دليل بحق تلك العقيدة سوى أنه ألفي عليها آباءه ، أو أن تؤمن بها الامة الفلانية التي هي على درجة عالية من الرقي، وان الرجل الذي يتبع بعض الطرق في شؤونه المدينية أو الذنيوية الكونه قد توارثها عن آبائه واسلافه ، أو يختار الطرق الاخرى بناء على كونها رائح، فين الاهم الغالبة في زمانه فكأنه يبرهن عن نفسه أنه ليس في جمجمته دماغ ولا في دماغه قوة للفكر ، فهو لم يؤت الملكة التي يميز بها بين الخاطيبية والصحيح . لو انه ولد في بيت يهودي بالمصادفة ، فهو يؤمن بصدق الدبانة الهودية . ولو أنه ولد في بيت يهودي بالمصادفة ، فهو يؤمن بصدق الدبانة الهودية . ولو أنه ولد في بيت سهودي بالمصادفة ، فهو يؤمن بصدق الدبانة الهودية . ولو أنه ولد في بيت مسلم لآمن بصدق الاسلام ، أو ولد في

عائلة نصرانية لتحمس النصرانية . كذلك من المصادفة أبضاً أن الغلبة في زمانه للايم الفرنجية فيو يعد عادات الافرنج هي معيار التهذب ورمز التقدم والرقي ، ولو كانت الغلبة في زمانه المصينيين لكانت عادات الصينيين هي عنوان التهذب عنده . وان تكن الغلبة اليوم في العالم المحبش الافريقيين فلا جرم أن تصبح الحبشة هي عصدارة الاندانية والتحضر عند هذا الرجل الخفيف العقل .

الحق انه ليس من الدليل المقول على كون شيء سحيحا أو محقما انه قد عمل به الآباء والاسلاف أو آنه يعمل به في الدنيا اليوم إنما ارتكبت الحاقات قدعاً وحديثاً وليس من شأنناأن نقلد تلك الحاقات تقليداً أعمى ولا أن نروح نتيع كل طريق من العارف القديمة أو الجديدة بدون بصيرة أو تفكير ، فنربط أنفسنا بذيل كل سائر على الدرب سواء أكان بقصد في سعره إلى الاشواك أو إلى هوة من العالال ، وإنا الما أو تبنا المقلل لأجل أن غيز بين الصحيح لأجل أن غيز بين الصحيح وائز أف باختبارها على الحك، وقبل أن نقتدي باحد محب أن نرى : إلى أن يسير الرجل ؛

والاسلام يعد كل هذه الطوائف الثلاث واقعة في الباطل والضلال. أما الطائفة الاولى فهو بقول فهم أن القوم لا هم يتخذون هادياً وزعيماً لهم من محمل النور ، ولا هم بأيديهم أنفسهم فور الحق والصدق حق يستضيئوا به في طريق حياتهم ، فنلهم كثل من رجم بالنيب ومثنى على الدرب في الظلام ، فقد ببقى إلى الهجة وقد يعدل عنها ليقع في

الحضيض . وذلك بأن الظن والتخمين ليس من اليقين في شيء بل هــو عرضة للصحة والخطأ ووقوع الخطأ فيه أكثر احتمالاً .

( وما يتبعُ الذين بدعونَ من دون ِ اللهِ شركاءَ ، إن يتُسبعونَ إلا الظنُّ وإن م إلا يخرُ صون )(١) .

( إن يتمون إلا الفان". وإن الغان "لا يُـعْني من الحق شيئاً ) (٢٠).

( إن يتبعون إلا الفان وما تهوى الأنفس . ولقد جاءم من ربهم المُدى أم للانسان ما تمنى )(٢) .

( أَفَرَ أَيْنَ مَنَ اتَخَذَ إِلَىهِ هُواءٌ فَأَصَلُهُ اللهَ عَلَى عَلَمَ وَخَتَمَ عَلَى سَمِمَهِ وَ وقلبِهِ وجَالَ عَلَى بَصْرَهِ غَشَاوَةً . فَمَنْ بَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهَ ) [1] .

( ومن أضلُّ ممن اتبع هواء ُ بفير هـُدَّى من الله . إنَّ اللهُلاجِدي القومَ الظالمين )'\* .

وكان المثلون للطائفة الثانية في زمان يزول القرآن هم بنو اسرائيل الذين كانوا ينتمون إلى النبي موسى – عليه السلام – وبدعون أنفسهم متبعي التوراة . ولكنهم كانوا في عقائدهم ومعاملاتهم بخالفون في الاغلب طريقة النبي موسى عليه السلام وتعاليم التوراة . ثم كانوا لا يخجلون على انحرافهم ذلك، وبدل أن يصححوا أمكارهم وأعمالهم حسب تعاليم التوراة

<sup>(</sup>۱) يوني: ۲۹

<sup>\*</sup> A : pril ( \* )

<sup>(</sup>٧) النجم: ٢٢ ـ ٢٢

<sup>(</sup>ع) الحالية: ٣٣

<sup>(</sup>ه) القصمي: ٠ ه

كانوا بحرفون الكام وبؤونون الماني في كناب الله ليطابقوا بينه وبين أفكارهم وأعمالهم . وكانوا يخفون تعاليم النوراة الأسلية وبمرضوت مكانها أفكارهم أنفسهم كأنها مي التعاليم المنزلة في الكتاب . والدن ينبهون على ذلك الصلال والعصيان ويدعونهم إلى اتباع كلام الله بخلاف ما تشتهى أنفسهم كانوا مجازون بالشتم والسباب والتكذيب وحنى بالفتل في الاحيان. فقال الله تعالى في هذه الطائفة : ( يُنحر فوت الكام عن مواضعه ونسوا حظاماً عاد كروا به ولا تزال تطليع على خائنة منهم إلاقليلا منهم إلاقليلا منهم إلاقليلا منهم إلاقليلا منهم إلاقليلا وأنتم تعلمون (لا أهل الكتاب لم تلدسون الحق بالمناطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (١٢٠).

(كلم جامعم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذَّبُوا وفريقاً يقتُـُـلـون )'٣١.

ثم قال لهم بالصراحة : ( المنم على شيء حتى تُلقيموا التمور الة والإنجيل وما أنزل إليكم من رباكم ) الما

وفي الطائفة الثالثة الأخير: قال الله تعالى :

(وإذا قيلَ لهم اتبعوا ما أنزلَ الله قالوا بل نتبعُ ما ألفينا عليه آباء فا. أولو كان آباؤهم لا بمقلون شيئاً ولا يهتدون )(٥٠٠ ( وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزلَ الله وإلى الرُّ سول قالوا حسبُنا ما وجدنا عليه آباءنا .

<sup>14: 3411 (1)</sup> 

<sup>(</sup>۲) T ل عوال : ۲۱

<sup>(</sup>٣) الألفة: ١٠٠

<sup>(</sup>٤) المائدة: ١٨

<sup>(</sup>٥) القرة : ١٧٠

أو لوكان آباؤ هم لا يملمون شيئاً ولايهتدون ) (١٠). ( وإن تسُطع أكثر من في الأرض بـُـضلـُـوكءن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن ". وان هم إلا يخر ُسون )(٢) .

إن الذين لا يستعملون عقولهم وأفهامهم ولا يميزون بأنفسهم بين الصحيح والزائف ، بل يقلدون غيرهم تقليداً أعمى بحكم عليهم القرآن الكريم بأنهم (صم بك محمي فهم لا يعقلون) (٣). ويشبهم بالأنمام بل يجلهم أحط منها لأن الأنمام غير دوات العقل ، وهؤلاء دوو العقل ولكنهم لا يستعملونه. (أوائك كالا نعام بل هم أضل أوائك هم الغافلون) (٤).

هذه الطبقات الثلاث التي تقوم طرائق عملها على الافراط والتفريط ينبذها القرآن الكريم ويريد أن يستبدل بها أمة تلتزم القصدو الاعتدال، أمة وسط ثوامين بالقسط.

وما هو طريق القصد والاعتدال هذا ؟ هذا الطريق هو أن تشقوا أولاً جميع الحجب التي قد أسدلتها أمام أعينكم التقاليد القديمـة والتماليم الحديدة . فانتحوا أعينكم على ضوء المقل السليم وانظروا بأنفسكم ما الحق وما الباطل . أالالحاد صحيح أم التوحيد ؟ التوحيد حق أم الشرك ؟ وهل الانسان لا حل أن يسلك سواء السبيل مفتقر إلى هداية الله تعالى أم لا ؟ وهل كانت الا تبياء \_ عليهم السلام \_ و محمد و التحديد صادقين

<sup>1 . 1 : 2.50 (1)</sup> 

<sup>(</sup>٢) الانمام: ٢١١

<sup>(</sup>٣) البقرة : ١٨

<sup>(</sup>٤) الأمراف: ١٧٩

كلهم أم كاذبين (عياداً بالله ) والطريقة التي يدعو إلبها القرآن هل هي مستقيمة او ملتوبة معوجة ؟ فان شهد قلبكم بان الايمان بالله تعسالي هو ما تقتضيه الفطرة الانسانية وان الاله هو الله الذي لا شريك له وأذعن ضميركم بان الإنسان لا شك مفتقر إلى ثور من عند الله الا جل أن بسلك في حياته سواء السبيل. وهذا النور هو ما جاء به الا بنياء والمرسلون الذين كانوا هداة صدق النوع البشري في كل زمان. وإن دلكم النظر في الحياة الطبية التي عاشها الذي محد عن المنابق في هدد الدنيا على أن إنسانا بنك السيرة المطبرة المالية لم يكن ليخدع المالين ، وإدا كان قد ادعى أنه رسول من عند الله فلا بد أن بكون صادقاً في دعواه. ثم إن قرأتم القرآن وحكم عقلكم بأن الطريق المستقيم الاعتقاد المرء وعمله هو الذي قد عرضه هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو الاشك من عند الله فطبكم أن الوجع وآمنوا بالذي قد شهد بصدقه شاهد خوف النقصان وكل طمع في الرجع وآمنوا بالذي قد شهد بصدقه شاهد غيمكم وضميركم.

وإذا مبزتم بين الحق والباطل بما آتاكم الله من المقل السليم واخترتم الحق على الباطل فقد انتهت عندئذ وظيفة عقلكم في النقد والاختيار وانتقلت سلطة الحكم والامر من المقل الانساني الى الله والرسول. ولم يكن لكم بعد ذلك أن تحكموا بأنفسكم في شؤونكم بل كان عليكم ان تذعنو الكل ما يأمركم به الله والرسول. ويجوز لكم ولاشك أن تستعملوا عقلك لفهم تلك الاحكام وإدراك حكمتها ودقائقها ولتطبيقها على جزئيات حياتكم ، ولكنه ليس لكم ان تشكوا وتنساملوا ولتطبيقها على جزئيات حياتكم ، ولكنه ليس لكم ان تشكوا وتنساملوا

في أمر يأمركم به الله تمالى . وسواء أأدركتم الحكمة من وراء أمر إلهي أم لم تدركوا ، وطابق أمر من عند الله معيار عقلكم ام لم يطابق ، وكان ما قضى الله ورسوله به مفيداً عندكم لمآربكم الدنبوية أم غير مفيد. وسواء كان أمر رسوله موافقاً للمادات والنقاليد الرائجة في هذه الدنيا أو منافياً لها ، فليس لكم في كل حار إلا النتذعنوا له وتتبعوه . لانكم إذا آمنتم بالله وصدقتم رسوله وأيفنتم بال كل ما يدعو اليه رسول الله هو من عند الله لا من عند نفسه . ( وما بنطقُ عن الهوى، إن هو َ إلا وحيُّ يوحي) ، فمن النتيجة المنطقية لهذا الاذعان واليقينان تؤثروا ما يقضى به الله والرسول على ما تقضي به عقولكم وألا ننتقدوا الاوامر والنواهي التي جاه بها النبي من عند الله على محك عقلكم وعلمكم ونجاركم او على محك افكار واعمال غيركم من أهل الدنيا . فالذي قال إني مؤمن تم غـدا يشك وينساءل فيما يأنيه من عند الله فهو يرد بنفسه قوله وبنقض بنفسهما أبرم، ولا يعلم أن الايمان والشك ضدان لايجتمعان وأن نظام الامور بقوم على الاطاعة والتسلم وأن الشك والتساؤل لابؤدي إلا إلى الفوضى والبغي .

فطريقة القصد والاعتدال هذه هي ه الاسلام ۽ والطائفة التي تتبع هذه الطريقة هم المسلمون .

ان و الاسلام ، معناه الانقياد والاطاعة والرضا . والمسلم هـو الذي يذعن لاسر الآمر ونهي الناهي إذعان رضي م فهـذه التسمية بنقسهـا دالة على انه لم تبعث في الدنيا هـذه الطائفة الرابعة على انفراد من تلك الطوائف الثلاث وطرقهم الضالة الالان تتبع أمر الله والرسول وتخضع له . انه ليس لهذه الطائفة ان تتبع عقلها في كل أمر . ولا لها ان تعبث باحكام الله فتأخذ منها ما وافق هواها وتدع ما خالفه ، ولا لها أن تجمل كتاب الله وسنة رسوله وراءظهرها وتروح تقلد الانسانيين تقليداً اعمى، سواء " أكان أولئك أحياء أم أموانا .

وهذه الحقيقة قد جاء القرآن الكريم صريحاً في باجها , فهو يقول انه اذا أقى الانسان المؤمن أمر من عندالله تعالى فلا يكون له ان يؤمن به أو لا يؤمن كابشاء . (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون الهم الخيرة أمن أمر هم ومن يعلم الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً )(١) .

ويقول: إن أخذ المر، جانبامن كتاب الله وتركه الجانب الآخر يفضي إلى الخزي في الدنيا والآخرة (أفتُـوْمنون بِمَعْض الكِتاب وتكفرون بِمعْض فما جزاء من يقمل ذلك مشكم إلا خزاي في الحياة الدانيا ويوم القيامة أبردون إلى أشد العذاب . وما الله بنافيل عما تعملون ) (٢).

ويقول: أن حكم المؤمن في قضية ما يجب أن يكون حسب كتاب الله ، وإن كان ذلك موافقاً لهموى النفس أو مخالفاً له . ( فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتنتاب أهواءهم عما جاءك من الحن "(")

ويقول : كل من لا يحكم بحسب كتاب الله فهو فاسق . ( و من م م بحكم بما أنثرل الله فأولئك مم الفاسيقون )(٤) .

<sup>(:)</sup> الاحزاب : ٣٦

<sup>(</sup>٢) القرة : ٨٠

<sup>(4)</sup> Iller: : v3

<sup>(</sup>٤) المائدة: ١٧

وكل حكم يخالف كتاب الله فهو حكم الجاهلية . (أفحاكم الحاهيليية ي يثغاُون وكن أحسن من الله حكماً لِقوام "يوقينون") (١) .

ثم يقول: ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. فإن تنازعتُم في شيء فردوه إلى الله والرسول الأمر منكم تؤمنون بالله والسوم الآخر. ذلك حير وأحسن تأويلاً. ألم تر إلى الذين رعمون أنهم آمنوا عا أزل إليك وما أزل من قبليك أربدون أن بتحا كموا إلى الطاعون وقد أمروا أن يكفروا به . و ربد الشيطان أن يُعلم مالالاً بعيداً . وإذا قبل لهم تمالوا إلى ما أزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين بعدون عنك مدودا من وما أرسلنا من رسول إلا ليكاع بإذن الشيرة من فلا وربك لا يومشون حتى الحكولا فيا شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا عنا قضيت و إسلموا تسليماً) (٢).

انه بتضح من هذه الآبات الصريحة وجه التسمية بكلمتي والاسلام، و و المسلم ، فالآن بجب علينا نحن الذين كتبت أسماؤنا في سجل المسلمين ان نتفكر ونرى : إلى أي حد تصدف علينا كلة ، المسلم ، ، وإلى أي حد يصح أن تدعى الطريقة التي نحن نتبعها باسم و الاسلام ، ؛ ؛

<sup>(</sup>١) المائدة : ٠٠

<sup>(</sup>۲) الساء : ۹۹ ـ ۵۲

## المصكرات في لقوة لميلم

من حوادث مطلع القرن التاني المجرة أن ملك سجستان والرخج الذي كان لقبه الماثلي: (رتبيل) رفض أداء الخراج المهال بني أميسة ، فأغاروا عليه الغارات ، ولكنه لم بخضع ، وفي أيام الخليفة الالموي يزبد ابن عبد الملك بمت إليه وفيد من المسلمين بطالبه بالخراج ، فلما حضره للوفد سألهم رتبيل: أن القوم الذين كافوا بأتوننا قملكم ، كافوا ضامري البطون من الحوص وفي وجوهم سياء من أثر السجود ؟ فقيل له : قيد معنوا ، فقال رتبيل : إنكم لا شك أفضر منهم وجوها ولكنهم كافوا أسدق منكم وعداً وأشد بأساً ، ويذكر التاريح أن رتبيل قال هذا والتوى عا عليه من الخراج ، وما زال خارجاً عن طاعة الحكومة الاسلامية مدة نصف قرن أو حازه .

ذلك في عهد كان فيه كثير من التابعين ومن نبعهم على قيد الحياة .
وكان زمان الائمة المجتهدين . لم يحض على وفاة النبي و المسلمون أمة موفورة القوى والحياة ، لا يزالون يبسطون نفوذهم على الدنيا ، وقد ملكوا فارس والروم ومصر وأفريقيا واسبانيا ، ولا تساميهم أمة من امم الارس في المدة والمتاد والعزة والبذخ والتروة

والا موال . هدفا والاعاب بعمر القلوب وأحكام النسرع تقبع أكثر مما نتبم الآن ، ونظام السمع والطاعة قائم ، والامدة ينظمها تنظم محكم إلا أن خصمهم الذي كان قد عجم عود البدو الجائمين المراة من رجال عبدالسحابة أحس بفر قعظم بين هؤلاء الشاكين في السلاح وأولئك المدمين المزل .

من أي شيء كان هذا الفرق يا ترى إ.

لمل رجال الفلسفة أن مجملوه فرقاً بين البداوة والحضارة. فيقولوا: إن البدو القدامي كانوا بسيشون عيشة المشقة والحمهـد والذين جاؤوا من بعدهم جعلتهم الثروة والتمدن بألفون العيش الناعم الرغيد . ولكن الحقيقة أنه لم بكن ذلك علة هذا الفرق، بل كانت علته حقاً هي الايمان والاخلاص وحسن النية والاخلاف وطاعة أنة ورسوله. فهذه كلها كانت مأتى القوة الحقيقية المسلمين . لم تكن قوتهم من كثرة المديد ولا من وفرة المتاد ولا من قناطير الذهب والفضة ولا من حذق العلوم والصناعات ولا من توفر لوازم الحياة والتمدن. وإنما كانوا نهضوا بقوة الايمان والعمل الصالح، وهـ ذه هي التي جعلتهم أعزة في العالم وألقت في قلوب الامم هيبتهم والانمان بخلقهم وأمانتهم . وما دام عندهم هذا الذخر من الفوة والعزفؤنهم كانوامه قلة العدة والعناد أقوياء ذوي السؤددوالشرف. ولكنه للاقل عندهم هذا الذخر أخذهم الضعف وحملت ومحمسم تفشل مع الالم ، ولم تفن عنهم شيئاً كثرة المدد واستفاضة الاسباب المادية .

عقد رأيت أن الذي قاله ور نبيل ، وهو عدو الاسلام والمسلمين هو أكثر عبر قمن آلاف المو اعظ الناصين الأواياد انه بين في الحقيقة أن القوة الحقيقية لامة ما ليست في حيوشها الزاحفة ولا في أسلحتها اللاممة ولا في جنودها المتألفين في المآكل والملابس ولا في وسائلها وأسبابها الكثيرة. بسل قوتها هي الخلق الفاضل والسيرة الطيبة والمعامسلة الصحيحة والامسل البعيد . وهذه القوة هي تلك القوة الروحانية التي تفتح العمالم بدون الوسائل المادية وتغلثب المعدمين على الموسرين ولا تورثهم الارضين فحسب بل تجعل في فبضتهم القلوب والنفوس أيضاً . بهذه القوة يتقدم اللانسون تعال الخوص المزولون المعروقون المغمدون سيوفهم في الاسمال فيشمرون أهل الارض من هيبتهم ورعيم ومن سيطرتهم وجبروتهم وقدرهم وعزهم وتقتهم وسلطانهم مالا بتهيأ ابدأ حديدون هــذه القوة ــ للابس الوشي والدبياج وأهل البذخ والترف أولي الوجوه الناضرة والقصور الشامخة والمسلحين بالمناحين الضخمة والدبابات الفخمة. ذلك أنَّ وفرة القدوة المشوبة تتلافي قلة الاسباب المادية ، ولكن وفرة الاسباب المادية لا تموض مما يفوت سزالقوة المتوفة . وثو أنه تحصل غلبة بدون هذه القوة فانهما أحرى أنْ تكون عارضة موقتة . لانه لاتفتح القلوب أبدأ بدون هذه القوة وانما نتطأطأ الرفابء وتيقي بعد ذلك بالمرصاد أبدا لتنتهـ ز أول فرصة للنمالي والتشامخ.

ان بناءً ما لا يتحقق إحكامه بنقوشه وزخارفه وألوانه ولا بفنائه الرحب وروضته النتاء ، ولا بأي جمالخارجي .كما لايزيد في قوته كثرة ساكنيه ، ولا وفرة أثاثه ولا تمدد أجهزته وآلاته . وهو مادام واهي الأسى أجوف الجدر منآكل المهد متفتت الالواح والخشب فانه لاعنعه شيء من السقوط وان كان عامراً بالاهل زاخراً بالمتاع بسر الناظرين بزينته ونحاسينه . إنكم إنما تنظرون إلى المظاهر وتتوقف أنظاركم عندما يتمثل أمام أعينكم ولكن حوادث الدهر لايقف فعلما عند الظاهر بسل هو يتعذ إلى الصميم . فهذه تمارس الاسس وتخبر متانة الجدران وتمتحن سلامة العمد ، فان وجدت هذه كلها محكمة مغراصة ارتدت كالموج ترده الصخرة الصهاء ، وغالبها البناء برصائته وإحكامه ، مع انه عاطل من كل زينة . وان كانت الاخرى حطمته اطهات الحدثان فانهدم وسقط مسمح كثرة سكانه وجودة نقوشه وألوانه .

هذا بعينه هو شأن الحياة القومية . فالذي يجمل أمة ما قوة غالبة بين الايم نيس منازلها ولا ملابسها ولا مراكها ولا مرافق حياتها الناعمة ولا قنونها اللطيفة ولا مصافعها ولا كلياتها ، يل همو المبادى، التي تقوم عليها حضارتها ورسوخ همذه المبادى، في القلوب وهيمنتها على الاعمال . وهذه الاشباء الثلاثة أي استقامة المبادى، والايمان القوي بها وهيمنتها الكاملة على الحياة العملية في في حياة الامم عكان الأس المنين والجدار القوي والعاد الحمكم في البناه . فالاثمة التي توقرت فيها همذه الاشهور الثلاثة كاملة فانها لا جرم أن تكون غالبة بين الامم . تعلو كلتها في الارض وينبسط نقوذها على الشرق والغرب وتتأسل ثقتها في الفلوب وتعنو لامرها الرقاب ، وتكون صورة محترمة وإن كانت تسكن الاكواخ وتلبس الاسمال وكان أفرادها ضامري البطون من إلحاح الفاقة الاكواخ وتلبس الاسمال وكان أفرادها ضامري البطون من إلحاح الفاقة

ولم نكن في مدائنها كلية ولا ارتفعت في معمورتها مدخنة ولا كانت لها في العلوم والصناعات بد . ذلك بأن كل هذه الاشباء التي تعدونها مرت أسباب الرقي والنقام إن هي نقوش وألوان للبناء وليست أسمه وقواعده وأركانه . وأنت إن كسوت الجدران النخرة ورق الذهب فلن يمنعها ذلك من المسقوط . وهذه عي الجقيقة التي يكررها القرآن الكريم :

إنه يسف مبادى الاسلام بأنها تطابق تلك الفطرة الثابتة غير المتبدلة التي قد فطر الله تعالى علمها الاسان . لذلك فإن الدين المشيد على تلك المبادى عبو الدين القم ، أي الدين الذي يقم جميع شؤون الماش والمعاد على الاساليب الصحيحة المستقيمة ( فأقم وحبهك الدين حنيفاً فطرة لفه التي فنطر النباس علمها ، لا تسديل خلق الله . ذلك الدين الفيم التي فنطر النباس لا يعلمون )(١) . ويقول بعد ذلك : ان الفيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(١) . ويقول بعد ذلك : ان استمسكوا بهذا الدين الفيم وآمنوا به وعملوا بمقتضياته تغلبوا في الدنيا ورثوا الارض واستخلفوافها (أن الارض رثها عبادي المسالحون)(١) . ( و عد الله الذين آمنوا و تشول الدين المتاحدة الله علم الفالون)(١) . ( و عد الله علم الفالون)(١) . ( و من تشول النه علم الفالون)(١) . ( و من النه علم الفالون)(١) . ( و من النه علم الفالون)(١) .

<sup>(</sup>١) الروم: آية ٠٠٠ .

<sup>. 1 . 0 4,</sup> T: - Ly. \$1 ( + )

<sup>(</sup>٣) آل عران: آية ١٣٩٠٠

<sup>(</sup> ه ) النور : آية ٥٠ .

<sup>.</sup> on it: : will (o)

وبخلاف ذلك إن الذين قد دخلوا في حفليرة الدين في ظاهر الا مر واكنه لم تخالط بشاشته قلوبهم ولا هو أصبح قانون حياتهم فلا رب أن ظاهره رائق معجب (وإذا رأيتهم تمجيك أحساسه ). وأقوالهم الذ الاسماع (وإن يقولوا تسمع لقولهم). ولكنهم في الحقيقة جنث لاروح فيها (كأنهم خشب مسندة) . يخافون الناس أكثر مما يخافون الله (بخشون الناس كخشبة اللهأو أشد خشية). أعمالهم كسراب يتراءى كالماء ولكنه ليس بديء في الحقيقة (أعمالهم كسراب بقيمة بحسبه الفله أن ماء حتى إذا جاء لم بجده شيئاً ). وأمثال هؤلاء لا يمكن أن نتأتي لهم نوة جماعية لا "ل قلوبهم متنافرة وهم لا بستطيعون أن يتشاركوا في عمل من الاعمال الخالصة : (بأسهم بينهم شديد تحسيهم جميعاً و العربهم شقى ). قلا يمكن أن يكون لهم من القوة ما يختص بالمؤمنين الصالحين ( لايقاللونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء حدر) . وهم ان نالوا إمامة العالم (قال لاينال عهدي الظالمين ). وابس من عاقبتهم إلا أن يذلوا ويهنوا في هذه الدنيا ويذوقوا في الآخرة أيضاً عذاباً شديداً (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظم).

ومما عسى أن تعجب منه أن القرآن الكريم قد جمل وسيلة رقي المسلمين وتألفهم كجاعة حاكمة غالبة في الاثرس شيئاً واحداً هو الايمان والعمل الصالح. ولم يفرض عليهم لا عجدل ذلك أن يؤسسوا الجامعات وينشئوا الكليات ويقيموا المصانع ويسنعوا السفر ويؤلفوا السركات ويفتحوا المصارف ومخترعوا الآلات وأن يحاكوا الاعمم الرافية في اللباس وأساليب الاجماع والعادات . ثم إنه جمل السبب الوحيد للتخلف

والانحطاط وخزي الدنيا والآخرة هو النفاق ، لا انمدام الا°سباب اتي تحسبها الدنيا أسباب النقدم والرقي .

ولكنك إن تفهمت روح القرآن وتمعقت معانيه السامية زال عجبك الأمر ، فأول ما يجب أن بفهم من هذا الصدد هو ان الوجود الذي يقال له و المسلم ، لا قوام له إلا بالاسلام ولا تثبت حقيقته من حيث هو سلم إلا بالاسلام ، فهو إن آمن برسالة النبي محمد عن المسلم القواندين التي أنزلت عليه تحقق إسلامه ، وإن لم يكن يقلك شيئاً ما عدا الاسلام ، وبالمكس من ذلك إن هو تحلى بكل ما يعد من زبنة الحياة الدنياولكنه لم يعمر قلبه الايجان ولم تتميز حياته باتباع قوانين الاسلام ، فانه قسد يكون بكالوريوسا أو طبيباً أو مالك مصنع أو رئيس مصرف أو قائد يحد أو أميراً للبحر ولكنه لا يكن أن يكون سلما. ومن ثم لايكون الرقي في هذا المضار أو ذاك حقيقاً بأن يعد رقي فرد مسلم أو أمة مسلمة ما لم نتحقق الحقيفة الاسلامية في ذلك الفرد أو الامة ، ويدون هذا ان مكون ذلك الرقي و هذا الرقي و منها عظم أمره - رقي الوجود المسلم ، وظاهر أن مثل هذا الرقي لا يكن أن يكون عطمع أيسار الاسلام .

هذا وقد يكون من صورة واقع أن لا تكون أمة ما مسلمة أسلا وتكون أفكارها وأخلاقها وظامها الاجتماعي سنية كلما على غير أساس الاسلام . فمثل هذه الامة عكنها ولا رب أن تنهض وتنقدم بفضل المبادىء الخلفية والسياسية والاقتصادية والمدنية التي تختلف عن الاسلام، شم تبلغ الاوج والكالمن ذلك الرقي الذي تعتبره الرقي الحقيقي من زاوية تظرها . واكنه من الصورة الاخرى الخالفة للواقع ان تكون أفكار أمة ما وأخلافها ومدنوتها واجهاعها وسياستها واقتصادها مؤسسة كلها على الاسلام ، ثم تكون تلك الامة ضعيفة في هذا الاساس ـ الاسلام . ثم تكون تلك الامة ضعيفة في هذا الاساس ـ الاسلام . نفسه من ناحيتي المقيدة والعمل كليها . فمثل هذه الامة مها هيأت لنفسها من أسباب الرقي المادي لا يمكنها أبداً أن تنهض في الدنيا كأمة قوية شديدة البأس ، غالبة على غيرها من الامم . لان الاساس الذي قد رفع عليه بناء قوميتها وأخلاقها وحضارتها هو نفسه ضعيف واه . وضعف القاعدة والاساس شيء لا تتلافاه أسباب الزينة والحال الخارجي .

على انه لا براد بهذا كله أنا نذكر الأهمية الصحيحة للملوم والفنون وآسباب الرقي المادي . بن المقسود أن هذه كلها في الدرجة الثانية الاسة المسلمة ، وبتقدمها جميعاً إحكام الأساس . فادا استحكم الأساس . فلا حرج أن بتخد من وسائل الرقي كل ما بلائم هذا الأساس ، بل من المواجب أن تتخذ جميع تلك الوسائل . ولكنه إذا كان الأساس بنفسه واهياً وكانت حدرره في سويداء النفوس ضيغة وسيطرته على شؤون الحياة فارة فلا بد أن تختل الاخلاق وتسوء السيرة وتفسد الماملات من الناحية الفردية والاجتماعية . وأسترخي ضوابط النظام الاجتماعي وتنشيت القوى . ونيست النبيجة المحتومة لذلك ان تتضاءل قوة الامة وتشول كفتها في ميزان الايم الدولية يوما بعد يوم ، حتى نهاجها الايم الاحرى وتنقلب عليها. وإذا حدث ذلك فليس بغني عنها شيء من كثرة الوسائل ووقرة الجاسميين ذوي الشهادات العليا والزينة والزخرفة الخارجية .

ثم هناك فوق هذا كله أن كتاب الله يقول بكل ثقة وإحكام: (أنم الاعلون إن كنتم مؤمنين). و(ألا إن حزب الله هم الغالبون). و(ايستخلفن الذين آمنو وعملوا الصالحات. فهل ترى من أي شيء تأتي هذه الثقة ؟ وبناء على أي شيء قد ادعي في القرآن الله مها ملكت أيم الأرض من الوسائل المادية فلا جرم أن ينتصر عليها المسلمون عجرد سلاح الايمان والعمل الصالح ؟

هذه المقدة مجلها القرآن الكريم بنفسه .فهو يقول : ( يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذي تدعون من دون الله أن مخلفوا ذباباً ولو أجتمعواله وإن إسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . شمف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره . إن الله لقوي عزيز )(١) . (مثل الذين الشخذوا من دون الله أولياء كمثل المشكبوت الشخذت بيئاً . وإن أو هن البيوت السيت السكبوت )(٢) .

المقصود أن الذين يسمدون على القوى المادية إنما يسدون على أشياء لا قوة له إلى أنهم لا قوة له إلى أنهم يسودون بأنفسهم ضعفاء فاتري القوة ، وكل ما يينون عند أنفسهم من حصون محكة رصينة بأني واهنأ كبيت المنكبوت، وهم لا يستطيعون أبداً أن بقاوموا الذين يتزلون في المضار باعتماده على الله ذي القدر والمز الحقيقي (و من بكفر بالطاغوت ويتؤمن بالله فقد استتمسك بالمروة الوثقى لا انتفسام لها)(٣).

<sup>(</sup>١) الحج: آبة ٢٣ \_ ٧١ .

<sup>(</sup>٢) العنكبون : آية ١١ .

<sup>(</sup>٠) القرة: آية ٢٥٦.

ويقول القرآن بادعاء أنه كلا التقى في المضار أهل الايمان ، وأهل الكفر، كان الانتصار لا محالة لأهل الايمان (ولتو قاتلكم الذي كفروا لو للو الأد بار "شم لا تجيدون ولينا ولا نتصيراً . سننة الله التي قسد تخلق من قبيل ولتن تجيد لسننة الله تبديلاً ) (١) . ( سنك في في قالوب الذي كفروا الراعب بها أشر كوا بله تمالم ينذر ل به سلطاناً ) (٢) . وذلك بأن الذي بقاتل عن الله تمالى يكون في عونه التأييد الإلكي . ومن كان معه التأييد الإلكي فلا يد لاحد بكفاحه ( ذلك بأن الله تمولى المبني آمنوا وأن الكافرين لا مولى المبم ) (١) . ( وما رَمَيت إذ رَميت ولكن الله رمى ) (١) .

هذا من قوة المؤمن الصالح وسطوته ومن القانون الإللمي بجانب آخر \_ انه من بكون أميناً طيب السيرة ، ويتبع شريعة الله بدل أهواء النفس وتنزه أعماله من دنس الاثرة والانافية . فانه يتحبب إلى الخلق . فالقلوب تنجذب اليه مودة ، والانظار ترتفع اليه بالاحترام ، وبؤمن بصدقه أعداؤه فضلا عن أوليائه ، فيتقون بمدله وعفته ووفائه ( إن الذي آمنو! وعملوا السال لحات تسينجمل لنهم الرحمن واداً ( إن المنب الذي آمنو! والمما المات المنا في الحياة الله في الآخرة )(٥) .

<sup>(</sup>١) الفتح: آية ٢٢ و٢٢ .

<sup>(</sup>x) آل عران: آبه ۱۵۱.

<sup>. 112</sup>T: 25 (4)

<sup>(</sup> ٤) الأعال : آية ١٧ .

<sup>.</sup> ٩٦ قيآ: وي ( a )

<sup>(</sup>٦) إبراهم : آبة ٢٧ .

( مَن عَمِل صَالِحًا مِن دَكُر أَوْ أَنْثَى وَهُو مُؤْمِن فَلَنْحَبِينَـُهُ حَيَاةً طَيْبَهُ ۗ وَلَنْجَرْ بِنَـُهُمُ أَجِرَ مَ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا بِمِمْلُونَ ۖ (١).

ولكن نتيجة أي شي كل هذا ؟ ليس هذا ننيجة أن يقول المرء كلة (لا إله إلا الله) ويتسمى باسم من أسماه المسلمين ويتبع بعض النقاليد المسلومة في المجتمع الاسلامي أو يؤدي بمض الشمائر. بل يشترط القرآن لتحقق هذه النتائج الاعان والعمل السالح. إنه يريد أن ترسخ حقيقة ( لا إله إلا الله) هذه في قلوبكم ونفوسكم رسوخا بجملها غالبة على أفكاركم وتصوراتكم وأخلافكم وساملاتكم. تنطبع حياتكم بطابعها ولا يسرب إلى أذهانكم منى مختلف عن معاني هذه الكلمة ولا يصدر عنكم من محل بخالف مقتضى هذه الكلمة .

فلنكن نتيجة التفوه بكلمة (لا اله الا الله) أن بحصل معه انقلاب تام في حيانكم فتسري في كل عرق من عروقكم روح التقوى والصلاح ولا تخضع رؤوسكم لقوة غير الله ، ولا تمتد ايدبكم لأحد غيرالله ، ولا تخشى نفوسكم ما سوى الله ، فلا يكون حبكم ولا بغضكم الالله وحده ، لا ينقذ في حياتكم قانون غيرقانون الله ، فتكونوا مستمدين أبداً لبذل كل ما تحبون في سبيل مرضاة الرب، وإذا بلنكم حكم من أحكام الله ورسوله ، لم يكن عندكم بازاته الا (سمعنا وأطمنا) قولا وفعلا . فتى حصل كل ذلك فيكم لم تكن قوتكم عند ثذ قوة أفضكم وأجسادكم فحسب ، بل كانت من ورائها قوة أحكم الحاكين الذي يسجد له كل ما في السموات والأرض طوعا و كرها . و تنور وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين وجودكم بنور السما وات والأرض الذي هو المحبوب الحقيقي النخلق أجمين و

<sup>(</sup>١) النحل: آبة ٧٧.

كان هذا كله حاصلا لدى المسلمين على عهد التي يك وخلفائه الراشدين. مكان من نتائجه ما قد شهدت به صفحات التاريخ. كان ذاك انهد من قال فيه (لا اله الا الله) بدلت حياته غير الحياة. بكونخاما من قبل فيصبح كالذهب المسبوك. فكل من رآه بعد ذلك فكأنه رآى التقوى بحسدة والصدف مثلا، ومع أنه أمي مسسر يتمود الفاقة وبلبس الخشن وبجلس على الحصير ولكنه يكون من هيئته في القلوب ما لا بكون لذوي الابهة والحيلاء من الملوك. وكانه مصباح أبها ذهب، بكون لذوي الابهة والحيلاء من الملوك. وكانه مصباح أبها ذهب، اقتبس من نوره كثير من المصابيح. ومن لم يقبل هذا النور ويتجرأعلى أن مهاجه ليطفئه وحد في شعلته ما يحرقه ويفنيه.

مثل هذه القوة الاعانية والسيرة الطبية الصالحة كان علكه المسلمون حينا كانوا لا يزيدون على ثلاثهائة وخمسين والكنهم قد تحدوا العرب كالها للنضال. ولها بلغ عددهم بضمة ملايين خرجوا في الأرض بغزون المهالك ويفتتحون الايم عولم تعارضهم في هذا الطريق قوة الا انصدعت و تفرقت شذر مذر.

فقوة المسلم الحقيقية ـ كما أسلفنا على هذا الايمان والسيرة الطيبة الناتجان عن رسوخ معاني كلمة (لا اله الا الله) في القلب . فان لم ترسخ هذ المعاني في القلب ، بل نعاق بها الاسان فحسب ، ولم بنشأ عنها انقلاب في الذهن وفي الحركات والاعمال، ولم يتفير المرء بعد نطقه بهذه الكلمة بل بني كما كان من قبل ، بلا فرق بينه وبين المنكرين لهما من حيث الاعمال والأخلاق بطأطيء رأسه لنير الله كما بطأطئون ويستجدي غير الله كما يستجدون ، وبغي رضاه الله كما يضاون ، وبغي رضاه

و إشفف به حبا . ثم كان كمتلهم عبداً البوى ، يجمل القانون الالحمى وراه ظهره و يتبع القوانين الوضية أو يتبع أهواه . و يكون في أفكاره و آماله بو يناته من السوء و النجس ما يوجد في أفكار غير المؤمن بالله و آماله و تكون أقواله وأفاله و ساملاته مثل ما يكون أفير المؤمن . نقول ان كان هذا كله و اقما فلا خدري لممر الله لماذا يفضل المسلم غير المسلم ان كان هذا كله و اقما فلا خدري لممر الله لماذا يفضل المسلم غير المسلم وهل المسلم إذا انسدمت فيه روح الاعان ، وروح التقوى الا بتسر كنير المسلم ، فاذا بارى المسلم بعد ذلك غير المسلم كانت المياراة بينها باعتبار القوة الحسدية و الأسباب الهدية . و تغلب الذي هو أقوى جذا الاعتبار على الذي هو أضعف .

والفرق بين الحالتين واضح على صفحات التاريخ بحيث يدركه الناظر لأول وهلة . فني الحالة الاولى : قامت قلة من المسلمين مدكوا عروش الحكومات المظام، ونشروا رابة الإسلام على ما يمتد من شاطى، نهر ( اتك ) إلى سواحل الاطلابتيك ، وفي الاخرى : ها هم أولاء قد بلنوا آلاف الملابين على صفحة الأرض ، ولكنهم خاضمون لدول الكفر ومن البلاد ما بعمر، مثات الملابين منهم ، وقد مضت على وجوده فيه قرون ، ولكن الكفر والشرك باق فيه إلى هذا الموم .

## شرعة الأبطال ، لاشرعة الضّعاف

دين البطولة ، لا دين الفسولة

إن مقالاتي حول مسألة و الربا ۽ قد جملت بعض الناس بعيدوت ويبدڻون في إظهار فكرة بعينها هي في كلات موجزة كما بلي :

و إن زماننا هذا قد سيطر فيه النظام الرأسمالي بالقوة السياسية على المدنيا الاقتصادية كلما التي تحيط بنا اليوم . فعربة الاقتصاد متحركة على عجلات الرأسمالية . والرأسماليون م الذين يسيرونها ، ولا تظل تنقدم نحو الرفي من طريق هذه الرأسمالية إلا تلك الامم التي لاتنقيد بقيد دبني أو أخلاق في كسب الثروة وإنفاقها . وبجانب آخر أن قوننا الاجتماعية متشنتة ، وليس مفدورنا أن تتم نظام الاقتصاد الإسلامي من جديدحتى في أمتنا أنفسنا بله ال نبدل نظام الاقتصاد الهالمي . فني هذه الظروف الاعتصادي الرائيج في الدنيا اليوم ، فإنه لن يكون من نتيجته إلا أن ستتخلف أمتنا عن الامم الأخرى في الأخذ بأسباب الرفي الاقتصادي والرفاهية ، وسنزداد فقراً وحرماناً على الأبام بينها سنزداد الامم المجاورة غنى وإثراء . وإن تخلفنا الاقتصادي هذا لا بد أن يجر علينا الذل والهوان في ميادين وإن تخلفنا الاقتصادي هذا لا بد أن يجر علينا الذل والهوان في ميادين وإن تخلفنا الاقتصادي هذا لا بد أن يجر علينا الذل والهوان في ميادين

السياسة والمدنية والأخلاق أيضاً , وليس هدا كله من باب المخاوف والا وهام فحسب . بل قد غنلت هذه النتيجة \_ ولم نزل تتمثل منسد سنوات \_ أمام أعيننا في دنيا الواقع والعمل . وان المصير الذي نحن منهون إليه في المستقبل ليست أعراضه من الخفاء والا نبهام بحيث لا يبصرها ذو عينين . فلا ندري لذلك ما الفائدة في أن يبين لنا حكم الشريعة في هذه الظروف . وتسرد لنا الماديء الاسلامية للاقتصاد ؟ إغا الحاجة الآن إلى أن يبين لنا : هل من سبيل هناك إلى تعهد حالتنا الاقتصادية واجتياز منازل الرقي مع النزام الهالون الاسلامي ؟ وان لم يكن الأمر من واجتياز منازل الرقي مع النزام الهالون الاسلامي ؟ وان لم يكن الأمر من واما أن يضطروا كثأن الامم الاحرى إلى أن يتحردوا من قبود جيم القوانين التي لا نجاري العصر ! » .

إن هذه الا ومده الم المنت مقتصرة على مسألة الربا وحدها ، بل يتسع نطاقها جداً ، ولو كانت شعبة الاقتصاد من بين شعب الحياة كلها مي وحدها التي قد سيطر عليها نظام غير إسلامي لكان الا م أهون بكثير ، ولكن الواقع يشهد بغير ذلك . فانظر إلى ماحولك من الدنيا ، واستعرض ما أنت نفسك فيه من الظروف ، فاية شعبة من شعب الحياة هي التي لم يسيطر عليها نظام غير إسلامي؟ المقيل والذكر والرأي ألم يتغلب عليها الالحاد والدهرية ، أو التشكك والارتياب على الافل؟ والتعليم ألم يسيطر عليه نظلها الطريقة الافرنجية وان الحياة الاجتماعية والمدنية والحضارة الم تستول عليها الطريقة الافرنجية وان الحياة الاجتماعية

أَلَمْ تَنفذُ فَهِمَا الطربقة الفربية إلى أشماقها ؟ وهل الا خلاق بمنجاة من غلبتها ؟ وهل المعاملات سالمة من نفوذها ؟ وهل يخلو من تأثيرها : القانون والسياسة والحكومة بما فها من الأصول والفروع والنظريات والصور العملية ؟ .

وإذا كانهذا هو الواقع فلماذا تقتصر سؤالك على الاقتصاد وحده، بل على جزء واحد فحسب من أجزائه ؟ وإنما لك أن توسعه وتمده على الحياة كلها فتقول : إن نهر الحياة قد غير مجراه . إنه كان مجري فيما غير في الجهة التي توصل إلى الإسلام ، ولكنه الآن قــد عاد يجري في الجهة التي تؤدي إلى غير الإسلام . ولسنا نطيق أن نحول وجهته ، ولا نستطيع أنْ نموم ونسمي ضد تباره ، ونجد كذلك الهلكة في الوقوف والجود في مكان بعينه منه ، فدلنا إذن على خطة للممل نستطيع بها أن نيتى مسلمين بجانب ، ونرسل سفينتا مع التيار الجاري بجانب آخر ، وال نبقى من قاصدي كعبة الله، ثم لا نهجر القافلة التي هي سائرة إلى ركستان ، وأن نكون غير مسامين ، في أفكارنا ونظرياتنا وأهدافنا ومبادىء حياتك ومناهج عملنما ، ثم نكون مسلمين مع ذلك ، وان لم تقترح علينا صورة الحمم بين هذه النقائص والاضداد، فإنهسيكون من نتيجة ذلك أحدامر ن: إما أننا سنهلك على شاطى عدا النهر عواما أننا سنمحو اسم الإسلام من واجهة سفينتنا ، وستكون هذه جارية في النيار مع السفن الاخرى .

إن أصحابنا المستنبرين المتجددين إذا تكلموا في مسألة فإنه تكون حجتهم النهائية التي يزعمونها \_ عند أنفسهم \_ أدحض الحجج إن اتجماه

المصر هو هكذا ، وإن التيار بجري في هذه الجهة ، وإن الممول به في الدنيا اليوم هو هذا، فكيف النا أن نخالفه ؟ وإن خالفناه فكيف نستطيع أَنْ نَحِياً ؟ فَإِنْ كَانَ الْكَارُمِ فِي الا حَلَاقَ ء قالوا ؛ إِنْ مَقْيَاسِ هَذَا الْمُصَوِّ الأخلاق قد تغير وتبدل ، بريدون يذلك أنه كيف بـــنـمسك المسلمون بالقياس الاسلامي القديم ؟ وإن كان البحث حول الحجاب ، قالوا : إن الحجاب قد ألني في جميع أنحاء العالم ، ومرادع بذلك أن الطريقــة التي قد ألغاها العالم كيف لا يلفها المسلمون ٢ و إن كان الموضوع التعلم ، كانت حجتهم الا مخيرة في بابه أن التمليج الإسلامي لم يعد نافضاً في سوق المالم اليوم ، بقصدون بذلك أنه لماذا يتخرج أبناء المملين من الماهد التمليمية كسلمة متقادمة لا تطلب اليوم في سوق العالم ، ولم لا تكونون سلمة مي مطلوبة في كل مكان. وإن كان الخطاب في موضوع الربا ، كان فصل الخطاب أنه لا يمكن أن تجري شؤون الدنيا بدوته في هذه الأونة، يعنون بذلك أنه كيف يكون الصلين أن يتجنبوا الامر الذي قدأصبح لازماً التدبير شؤون الدنيا . محصل القول أنه أيا شعبة من شعب الحياة، من التممدن والاجتماع والأحلاق والتعلم والاقتصاد والفانون والسياسة وغيرها ربد هؤلاء أن يتبعوا فها الطريقة الافرنجية بمدول عن طريقة الإسلام ، فإنه بكون من حجتهم الهائية أتبرير فعلتهم هو اتجاه المصر ، ووجهة التيار ، وسير الزمان ، وتقدم هده الحجة كالبرهان الفياطم على جواز ذلك التقليد الغربي ۽ أو ذلك الارتداء الجزئي في حقيقة الأمر . وبظن من الواجب أن يسقط من أجزاء البنيان الإسلامي كل جزء بطمن عليه من جهة هذه الحجة .

وإنا نقول: إن مفتر حات الهدم والتخريب هذه التي تمرضها متفرقة وعلى حدة ، لم لا تجمعها وتجمل منها جميعاً اقتراحاً واحداً شاملاً ؛ الله لمن إضاعة الوقت الانفتر حدم كل جدار وكل غرفة وكل بهو من المغزل على حدة وأن تبحث في أمر كل واحد من ذلك على انفراد ، فمالك لا تقترح أن هذا البيت كله يستحق أن بهدم ، لأن لونه مختلف عن لون العصر ، ووجهته مفارة لوجهة الربيع المصرية ، وشكله مختلف عن الشكل الذي تبنى عليه البيوت في العالم البوم .

أما الذين يفكرون حقاً هذا التفكير ، فإنه من العبث أن بناقشهم المرء. وإنما الجواب القطمي الصريح لهم أنه لماذا تتكلفون أمها السادة : أن تهدموا هذا البيت ونبنوا مكانه آخر . وإنما لكم أن تنتقلوا من هذا البيت إلى سِت آخر بروفكم ويرضيكم من حيثالشكل واللون والوضع . وإن كنتم تحببون أن نجروا مع التيار فلماذا تكلفون أنفكم بمحو اسم الإسلام من واجهة السفينة، وإغا لكم أن تغادروا هذه السفينةوتركبوا واحدة من السفن التي هي جارية مع النيـــار . إنَّ الذِّينَ ليسوا مسلمين في أفكاره وأخلاقهم واحتماعهم واقتصاده وتعليمهم ولالجلة في أي ناحيــة من نواحي حياتهم ، ولا محبوث أن يبقوا مسلمين . لا نفع الاسلام في بقائهم مسلمين من حيث الاسم ، مل له فيه ضرر أي ضرر . إن القوم لا يصدون الله ، بل ه عمدة أهو أثهم ومتبعو تيار المصر . فلو أنهراجت في الله نيا البوم عبادة الأصنام ، لماد هؤلاء يسجدون الأصنام . والن عم المري في هذا العالم لنزع هؤلاء ثبابهم وعاشوا مراة كالانعام . وإن جاءت الدنيا تأكل النجس والفذر، قالوا؛ إنَّ النجس والقذر هو الطهارة.

وأن الطهارة في الحقيقة نجس ، إن قاوب القوم وأذها فهم مستبدة ، وكأنها قد خلقت للمبودية . وعا أن الغلبة اليوم للافرنج يريد هؤلاء أن يتفرنجوا في كل ناحية من نواحي شخصيتهم ، من الباطن إلى الظاهر . وإن تكن القلبة غدا للأحباش ترهم يمودون فيسودون وجوههم ويور مون شفاههم وبحد ون شمر هم تشها بالأحباش، ويقد سون كل شيء بأنهم من أرض الحبشة . إن أمثال هؤلاء المنافقين والمستبدين من سجل مثات الملايين من أفراد الاثمة ولم يمن في المالم سوى عدم آلاف من أولئك المسلمين الذين (بحبتهم ويجبونه في يمن في المالم سوى عدم آلاف من أولئك المسلمين الذين (بحبتهم ويجبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، بجاهدون في سبيل الله ولا يخافون أومة لائم )، كان الإسلام أعز وأقوى بأضماف مضاعفة عاهو الآن ، لومة لائم )، كان الإسلام أعز وأقوى بأضماف مضاعفة عاهو الآن ، وكان خروج مثات الملايين هؤلاء منه كخروج القبح والدم الفاسد من حسد عليل .

يةونون: (نختى أن تصيبنا دائرة) ،وليس هذا النداء بجديد ،بلهو فديم ما زالت تهتف به ألسنة للنافقين . وهذا هو النداء الذي يتم على مرض النفاق الكامن في النفوس . وهذا هو الذي لم يزل المنادون به بحنحوث أبداً إلى مسكر أعداء الإسلام ، وما زالوا أبداً بمتبرون حدود الله غلاقي المنق وقيداً في الأرجل ، وما زالوا منذ الأبد يستنقلون انماع أحكام الله والرسول ، ويرون في الاطاعة خسارة الأنفس والاموال وي المصيان النجاح كله في الحياة الدنيا . فل تبدل شريعة الله لأجلهم فها سبق ولا من المكن تبديلها الآن ولافي الستقبل.

فإن هذه الشريمة الإلهية لم تنزل للاقزام الخانمين ، ولا لعبدة الأهواء وموالي الدنيا ، ولا لامثال الريشة الطائرة في مهب الربح ، أو أمثال المثاء الحاري مم تيار الماء ولا للحر بالدين الذي يتلونون بكل لون من ألوان البيئة . وإنما زلت لأولئك اللبوث الأبطال الذين مجدون أنفسهم أقوياء على تشير مهب الربيح ، ومقاومة النيار وتحويل مجراه إلى الحهة الصحبحة والذين محبون صبغة الله فوق ما سواها وقد عزموا على أن يصنوا جميع العالم جذه الصبغة . أن الكائن الذي يقال له و المسلم فم بخلق للانسياق مع الثيار ، و إنما النابة من وراء خلقه في هذه الدنيا ات يوجه تيار الحياة في الوجهة التي هي وجهة الحق والصواب بحسب اعانه وعقبدته ، وائن كان هذا التيار قد غير مجراء منهذه الحهة الصحيحة، فكاذب تي دعوى الاسلام من برضي بهذا المجرى المتحول عن وجهة الصواب. وان الذي هو مسلم حقاً و بكل معنى الكلمة لاجرم أن يزاحم سير هذا النيار المنحرف ، ويبذل غاية وسعه في صرف مجراه . ولن يهمه في هذا الجهد نيل الغوز أو حصول الحبية ، بل انه سبحتمل ما يناله فيه من الخسارة والضور، ولن تنهزم روحهالمكافحة حتى وان انكسرت أعضاؤه من جهد الصراع مع التيار ، وتفككت أوصاله وألقته الامواج على الشاطئ، مهزولا مفشياً عليه , انه ان يتسرب إلى نفسه الأسى والأسف على هذه الخيبة الظاهرة . أو الحسد والنامف على فوز الكفار والمنافقين المنسانين مم التيار .

إِنْ القرآنَ فِا قوم بين أيديكم ، وسير الأنبياء عليهم السلام أمام

أنظاركم ،وأحوال الناهضين بدعوة الاسلام منذ البدء إلى الآن منشورة أمامكم ، فهل تتملمون من كل ذلك أن تطيروا مع الربح ، وتسيلوا في جهة الثيار ، وتتلونوا بكل ما يتخذه زمانكم من اللوت . ولو كان المقصود هو هذا فلماذا أزَّل الكتاب وبعث الانبياء. وانما كانت أمواج الربح كافية لتوجيهم وتيار الحباة الدنيا كافياً لارشادكم، وتقلبات الزمان كافية لتملم صنعة الحرباء. انه لم يُعزل الله تمالي كتاباً من عنده بعن هذا التملم المهين ولا بت لاجله نبياً ولنما كل ما جاء من عنده سبحانه من رسالة جاء لاجل ان بلغي جميع الطرق الخاطئة التي تسيرعلبها الدنيا ويقرو مكانهاطريقأ قاصدأ مستقياء ويمحوكل ما يخالفه من الطرق وبصد الدنيا عنها صدوداً ، وبؤلف جماعة من المؤمنين لا تكنفي بأن تسلك ذلك الصراط المستقم بل تسل على جذب الدنيا الها. وإن الأنبياء عليهم السلام ومن اتيمهم جاهدوا أبدأ لتحقيق هذا المقصود وقد أوذوا في هذا السبيل أسناف الأذي ، واحتملوا أجظ الخسار و شحوا بأتفسهم ولم يتخذ أحده سير الزمان قدود له، اما خوفاً من النكمة أو طمعاً في المنفعة . فإن كان هناك من يختى الخسارة والمشكلة والخطر في اتباع الطريق الذي شهدي إليه الهدابة السهاوية ، ولخشيته تلك يريد أن يتهج عَلَرِيقًا سِدُو لِهِ السَائِرُونَ فيه فَاحْجَيْنَ ، مَثَرَفَهِينَ ، أَعْزَةَ ، فله أَنْ يَتَخَذَّ ذلك الطربق المرضيُّ عنده ولكن ما إلى ذلك الجيان الطاع يخدع نفسه هجرهما وتبذهما وراء ظهره. ان المصيات بذاته جرعة عظيمة. فلا ندري أي نفع يقصد بإتباعه جرائم الكذب والنش والنفاق. أما الظن بأن تيار الحياة لا يمكن أن يحول من الجرى الذي قد سال فيه ، فقطاً من جهة العقل وتشهد بخلافه النجر بة والمشاهدة أبضاً . إنه قد حدثت في هذه الدنيا مثان من النورات . وكل ثورة منها جاءت فولت بجرى هذا التيار . وأبر قر الا مئلة لهذه الظاهرة الناريخية تجده في الإسلام نفسه . فإنه لما بعث الني والمالية في هذه الدنيا فحاذا - ترى - كانت وجهة التيار الحياتي عندئذ ؟ ألم يمكن الكفر والترك قد استولى على العالم كله ؟ وهل لم تمكن الفواحش مسيطرة على الاخلاق ، واتباع على الاقتصاد ، والافراط والمدوان مسيطراً على القانون ؟ ولكنه قام فلك الرجل الوحيد فتحدى الدنيا كاب ، ورفض كل تلك الاحكار فلك الرجل الوحيد فتحدى الدنيا كاب ، ورفض كل تلك الاحكار الخاطئة والطرق المهوجة التي كانت رائجة في الدنيا . وعرص بازائها عقيدة من عندالة تحصوصة وطريقة معينة ، وفي مدة قليلة من السنين حول محرى التيار وغير لون الزمان بقوة تبليغه وجهاده .

وأحدث الا مثلة لذلك الحركة الشيوعية. وذلك أنه في القرن الناسع عشر كانت سيطرة الرأسمالية بلغت منهاها . ولم يكن يخطر ببال جبان منقلب من الربح أن النظام الذي قد نسلط على الدنيا بكل تلك القوة السياسية والعسكرية الرهيبة يمكن أن بطاح به أبداً . ولكنه في تلك الظروف بهض وجل يسمى كاول ماركس وراح ببلغ التعلم الشيوعي فعارضته في ذلك الحكومات ، ونني عن الوطن وظل شريبداً بنتقل من بلد إلى آخر ، يعاني من النكة والعسر ما يعاني . ولكنه قبل أن يجوت

نجح في إنشاء جماعة دكت عرش القوة الكبرى المهيبة في روسيا في مدة أربعين سنة . ولم تقف عند ذلك ، بل زعز عت قواعد الرأسمالية في جميع العالم ، وعرضت نظرية لها خاصة في الاقتصاد والعمران تقوة جملتها تنسو وتنتشر ، حتى أن عدد أنباعها لا يزال يزداد إلى هذا اليوم ، وعادت تتأثر بها القوانين حتى في تلك الاقطار التي قد تأصل فيها الحكم الرأسمالي بكل قوته .

عى أن الثورة أو الارتقاء لا تحدث إلا بالقوة والبأس ، وليست القوة عبارة عن الانصهار ، لل هي صهر الفير في القالب المراد ، ولم يقم القوة هي الانفحال بل هي الفحل في الآخر على الوجه المطلوب ، ولم يقم الحبناء المالمون بثورة في الدنيا قط وان الذين لا يكون لهم صدأ خاص ولا غلة حياة ولا مطمح أبصار ، والذين لا يقوون على البذل في سبيل القصد الاعلى ، ولا يتشجمون على مقاومة الاخطار والمشكلات ، والذين المقصد الاعلى ، ولا يتشجمون على مقاومة والرغد ، وهم ينسكبون لا يطلبون في هذه الدنيا إلا الراحة والمهولة والرغد ، وهم ينسكبون لذلك في كل قالب ويطاوعون لكل ضغط ، لا تجدد لهم فعالا يذكر في الناريخ الانساني وإنما تشكيل التاريخ يكون من شأن الايطال وحدهم. الناريخ الانساني وإنما تشكيل التاريخ يكون من شأن الايطال وحدهم. وم الذين قد غيروا أبداً بحرى الحياة مجهاده و تضعياتهم، وبدلوا أمكار العالم ، وبدل أن يصطبغوا بصبغة العالم قد صبغوا العصر بصبغتهم أنفسهم .

لذلك لا تقولوا إنه لا يمكن أن تحول الدنيا عن الدرب الذي مي سائرة فيه وأنه لا بد من اتباع سيرة الزمن . بل يجب عليكم بدل أن تدعوا دعوى الاضطرار الكادبة أن تمغرفوا بضعفكم اعترافا أسينا . وإذا اعترفتم بذلك كان عليكم أن تقروا أيضاً بأن الضعف لا يمكن أن بكون له دين في هذه الدنيا أو مبدأ أو ضابطة . وإغا هو مضطر أن يخضع لكل قوي ويستكين لكل قاهر . ولبس من شأنه لذلك أن يتقيد عبداً من صادئه أو بضابطة من ضوابط القانون . ولئن راح دين من الادياب يبدل مبادئه لاجل هدا المتدبذب المترفع فانه لن يقي دينا أبداً .

وأيضاً من الخداع الذي تنخدءون بــه أن قبود الدين الاسلامي عائقة لكم دون الرفاهية والتقدم فقولوا بالله أي قيد من قيوده للتزمونه في هذه الآونة ؟ وأي قيد من قيوده لم تكسروه ولم اللتوا منه ؟ وأي حد من حدوده لم نتجاوزوه؟ وأي شيء من الاشباء التي قد جرت مليكم الملاك قبلا أباسه لكرالاسلام ؟ إذالذي بالككر عو إسرامكم و تبذير كم الذي يغزع الملابين من الجنهات سنويا من جبوبكم يصورة الربا وينقلهـــا إلى كنوژ الصيرفيين الهنكرين، ومن جراء هذا الاسراف لا تزال تخرج من أبديكم أملاك ذات مثات الملايين من الجنهات. قبل كان الاسلام أباح لكم هذا الاسراف و وان الذي مِلكم هو عاداتكم السبثة فلا تزال دور السبها والمسرح واللهو واللعب توحد غاسة كل مساء بأفراد أمتكم على وغم هذا الفقر والسر . و كل واحد من أفرادكم ينفق قوق وسعه كلىاللياس وأدوات الزحرية والتزين. وتذهب ملايين الجنهات من جيوبكم سدى كل شهر في القيام بالتقاليد الزائفة وأعمال النظاهر والرياء واشغال الجاهلية. فأي تبيء من هذا كان أحله لكم الاسلام والداهية الكبرى التي قد أو قتكم في المهلكة مي إلمناؤكم نظام الزكاة وإهالكم النماون فيما بينكم . وهل لم يكن

الاسلام قد فرض عليكم ذلك ؟ . . . فالحقيقة الواقمة أن المحلال حياتكم الاقتصادية ليس نتيجة التزامكم لقيود الاسلام ، بل هو نتيجة انفلاتكم منها . وأما التقيد في أمر الربا خاصة فأين يوجد اليوم في مجتمعكم إن ه في المائة على الأقل من أفراد أمتكم المسلمة يقترضون الأموال على الربا يدون اضطرار حقيقي . هذا هو التقيد بأحكام الإسلام ! ومن المسلمين بدون اضطرار حقيقي . هذا هو التقيد بأحكام الإسلام ! ومن المسلمين المنزين أيضاً فئة كبيرة تأكل الربا في صورة من صوره . وإن كانوا لم بتخذوا الصيرفة والاحتكار مهنة لهم على الوجه المتساد فأي فريق يقع بخلف . إن أكثرهم لا شك يأكلون الربا المشمول بماملات البنوك بذلك . إن أكثرهم لا شك يأكلون الربا المشمول بماملات البنوك بذلك . إن أكثرهم لا شك يأكلون الربا المشمول بماملات البنوك والتأمين والمقود المالية الرحمة والاعتماد التوفيري ( Provident Fund ) فأين هناك التقيد بحرمة الربا ، الذي يتهمونه بكونه سبراً في انحطاط كم الاقتصادي !!

ومن طريف الاستدلال أن شرف المسلمين وكرامتهم وشوكتهم القومية متوقفة عاماً على الني المالي بتوقف على الأخذ بأسباب الرفاهية والرقي الاقتصادي ، ومدار كل هذا على جواز الربا . وبيدو أن القوم لم يسلموا إلى الآن أنه أي شيء بتوقف عليه في الحقيقة الشرف القومي والقوة والعزة . إن التروة وحدها ليست الأمر الذي يضمن لأمة من الأمم القوة والعزة والشرف . وثان أصبح كل فرد من أفراد كم علك الملايين من الجنهات ولم تكن فيكم قوة السيرة والخلق ، فتقوا بأنكم ان تكونوا على شيء من الكرامة والشرف في العالم ، وإن كانت فيكم \_ بخلاف ذلك على شيء من الكرامة والشرف في العالم ، وإن كانت فيكم \_ بخلاف ذلك المسيرة الإسلامية ، وكنتم أهل صدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل صدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل صدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل صدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل سدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل سدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف السيرة الإسلامية ، وكنتم أهل سدق وأمانة ، زهاء في العلم والخوف الم

راسخين في مبادئكم وأساء في ساملانكم ، تظنون الحق حقاً والواجب واحباً وتراعون الفرق بين الحلال والحرام في كل حال ، وكانت فيسكم من القوة الأخلاقية أذلا تمدلوا عن سبيل الحق طمعاً في ربح أو خوفاً من نقصان ، ولا يكون من الممكن اشتراء ايمانكم بأية قيمة مها غلت ، إن كان فيم كل هذا وقت مهاشكم في فلوب الامم ورسخ عزكم في نفوس البالم وكان كلامكم أرجح وأوزن من كل ما يملك أصحاب الملايين من الثروة وكنتم مع كونكم ساكني الأكواخ ولابسي الخرق والرقاع أكرم عند الشعوب من أهل الدور والقسور ، وتهات لأمثكم من القوة والصولة ما لا يمكن أن يغلب أبداً . أرأيتم ما كان أفقر المسلمين في عهد أصحاب النبي ؛ كانوا يعيشون في الاكواخ وفي خيـام من الوبر ، لا يعرفون زخرفة الدنية وزهوها، لا يتألفون في الملبس ولا في المأكل ولا في الاسلحة ولا في المراكب. ولكنه كان لهم \_ رغم هـــــذا كله \_ من المهامة والرعب في قلوب العالم ما لم يتهيأ لهذه الامة لا في العهد الأموي ولا في المهد العباسي ولا في أي عهد بعد ذلك. إنهم لم يكونوا بملكون المال. ولكنهم عِلْكُونَ قوة السيرة والخلق، التي أذعن لمظمئها وكرامتها المالم كله. وأما الذين خلفوهم بمد فلا شك اجتمعت في أيديهم الاموال، والمتدت حكومتهم في الارض وتهيأت عندهم زخر فقالمدنية ولألاؤها ء واكنه لم يموضهم شيء من هذا كله من وهن السيرة والخلق الذي أصنبوا به

إنكم قد نسيم عبرة الناريخ الاسلامي . فخذوا الآن تاريخ أبة أمة من أسم العالم وانظروا فيه، لن تجدوا مثالًا واحداً لأمة نالت القوة والعزة

من طريق النساهل والاستراحة وإيثار المنفعة . وأن تجدوا بمكان الرفعة والمرُّ أمَّةً لا تَقيد عبداً أو ضابطة، ولا تنجمل ضفاً أو عسراً أو مشقة لأجل غالم سامية ، ولا تكون مستمدة لبدل أهوائها ، بل لبدل أنفسها ذاتها في سبيل مقاصدها وأهدائها . فهذا التقيد با غيود والتزام الصوابط وبذل الراحة والرفاهية والمنفمة في سبيل المقاصد المليا ستجدونه عنسد جميع الامم في لون من الألوان. فلونه في الاسلام سلوم ، ولونه عنــد الامم الراقية الأخرى مختلف عنه، وعلى ذلك فان هجرتم الإسلام ودخلتم في نظام مدني آخر، علا بد أن تضطروا هنالك أيضاً أن تنفيدوا بضابطة من الضوابط ، وتتحملوا وطأة تأديب وتنظم ، إن لم بكن جذا اللون الاسلامي فبلول آخر . ولا بد أن تشدوا لي مازمة البادي، المخصوصة، ونطالبوا بالتضحية لأجل مقسود ما أو سدأ من المبادي. واثن لمنكونوا متحلدين لهذا كله ، وكنم راغبين في مجرد السهولة والسمة والحلاوة لا تطبقون شيئاً من الشدة أو المرارة . فاذهبوا حيثًا شتَّتُم متفلتين من قبود الاسلام ، أن تنالوا مكان المز والرفعة في المالم ، ولن تجــدوا كنوز القوة والشوكة في الارض! وفد بين القرآن الكريم هذه القاعدة الكلية في كان أربع . وتلك الكابات الاربع قد شهد بصدقها تاريخ المالم كله . قال الله عز وجل : ( إن مع العُسر يُسراً ) . فالذي لا يطيق المسر ولا يصبر على المشقة ليس له أن يتمتع بيسر :



## الخطفة لتعليمية الجديدة لمسلمي لهند- ومنحاج العل محا

[ هذا محضر قدم جواباً للاسئلة التي وجيتها لجنة إصلاح برنامج تدريس الالهيات ، التابعة لجامعة عليكر في الهند . ومع أن المخاطب بيه على الظاهر هو جامعة عليكر ، ولكن المخاطب به في الحقيقة جميح المؤسسات التعليمية للمسلمين . إن الحطة التعليمية التي قد بينت في هذا المحضر نظن اختيارها المسلمين أسراً لا بد منه . إن جميع معاهدهم التعليمية ، سواء أكانت جلمة عليكر ، أم مدرسة ديوبند ، أم دار العلوم التابعة لندوة العلماء أم الحامعة الملية ، قد أمست مناهما التعليمية عتيقة بالية لا تجيب مطالب العصر . فان لم تر اجعها وتعدلها كل هسمة المؤسسات . فقدت منفعتها تماماً .

## \* \* \*

إن مجلس جامعة عليكر لجدير عوفور الشكر من قبل جميع سلمي الهند على أنه صرف عنايته أخيراً إلى المقصد الأسامي الوسسته ، وهو بعث الروح الاسلامية الحقيقة في نفوس الطلبة ، ولاجل تحقيقه عين لجنتكم هـذه . وقد نظرت بامعان فيا تسلمت من الاوراق من مكتب الجامعة ، وأعتقد أنه إذا كان الكلام في المنبح المنبع الآن لنعلم العلوم

الدينية والالهيات. فلا شك أبداً في كونه غير مطمأن اليه . فالبرنامج الذي لا يزال يدرس في الحاممة لهذه العلوم ناقص من غير شك عولكن الأسئلة التي وجهها أعضاء اللجنة الافاضل، يدل النظر فيها على أن اللجنة تعالج في الوقت الحاضر مسألة تمديل البرنامجوحدها . ولعله بظن انه بإخراج كتب معدودة من البرنامج وإدخال كت أخرى مكانها فيه يمكن أن تبعث في الطلبة الروح الاسلامية المنشودة . وإن سح قياس في الامر فاني أقول: إنه تقدير ناقص جداً الصورة الواقع الحقيقي. ومن الواجب علينا في الحقيقة أن نتممق السألة وننظر ما هو السبب في عدم نشأة الروح والاسلامية الحقيقية، في الطلبة على رغمهما هم يعلمون الآثمين تعلم القرآن والحديث والفقه والمقائد. إن كان ذلك السب هو بجرد نفص البرنامج الحالي لهذه العلوم، فإن تدارك هذا النقص لا شك سيكني لازالة ذالــ الفساد . ولكنه إن كانت أسباب ذلك أوسع وأعمى، وان كان هناك في خطتكم التعليمية بكاملها فساد جذري ، فلن يكني تعديل برنامج العلوم الالهية لإصلاح الحالة الحاضرة. بل ستضطرون لذلك إلى أن توسموا دارة الاصلاح والنرميم ، ميها كلفكم ذلك من المتاعب ومها لاقيتم فيه من الصماب. وقد فكرت في المسألة من هذه الناحية . واذكر فبا يلي \_ بما يمكنني من الايجاز \_ النتائيج التي قد وصلت اليها نتيجة هذا التفكير . وسيكون تقريري هذا على أقسام ثلاثة : ففي ائقسم الاول ستنتقد الخطة التمليمية الحاضرة للجامعة وتبرز مفاسدها الجوهرية، ويبين ماذابجب ألابكولمن خطتنا التعليمية التي تضمن مصالح الامة الحقيقية. وفي القسم الثاني ستمرض المقترحات الاصلاحية. وفي الثالث الأخير سيكون الكلام في الندابير اللازمة للممل متلك القترحات.

1

إن منهج التمليم الذي هو معمول به الآن في الجامعة بشتمل على خليط من التمليم المصري والنعليم الاسلامي لاالتحام فيه ولاانسجام وانحا أخذوا عنصرين تعليميين متمارضين لاصلة بينها فشدوها في منهج تعليمي واحد ، ولم يمالجوها الاجا بصلحان به لأن ينحولا إلى قوة علمية مركبة فيخدما ثقافة بعينها من الاثنين . ومن النتيجة انه مع هذا الاجتماع والاقتران ببقى المنصران منفصلين بمضها عن بعض ، بلهما يتمارضان ويتنازعان ذهن الطائب إلى جهتين متما كستين . وإن ننظر في يتمارضان ويتنازعان ذهن الطائب إلى جهتين متما كستين . وإن ننظر في الأسرحي من وجهة النظر التمليمية الخالصة ، باعراض عن وجهة النظر الاسلامية عنلا بد أن ترى أنه من الخطأ أصلا أن يختلط في التمليم مثل هذه المناصر التمارضة المتناقضة ، وانه لا يمكن أن تأتي هذه الخطة بنتيجة مفيدة .

وأما من وجهة نظر الاسلام فقد أصبح هذا الاختلاط أضمن للقبح والسوء لانه أولاً لايجوز الاختلاط في عناصر التمليم . ومن الآفة بعد ذلك أن هذا الاختلاط لا ترعى فيه السوية بين المنصرين ، بل المنصر الغربي فيه أقوى ، والمنصر الاسلامي بازائه أضمف . والذي يتمتع به المنصر الغربي من أسباب الرجحان هو \_ أولا \_انه عنصر عصري ، قد أدخل هذا المنصر في تمليمنا الجامعي بذلك الامتياز وثلك القوةالتي هي حاصلة له فملا\_ و لا بد أنْ تحصل له \_ في الجامه\_\_ات العصرية التي أنشئت لخدمة الثقافة الفربية ، فالعلوم والفنون الفربية تدرس عنددنا على نحو ترتسم به مبادئها ونظرياتها على الالواح الصافية الساذجة من قلوب النشء المسلم كمحقائق إيمانية لا ترد ، وتنصاغ عقليتهم كلما في القالب النربي ، محيث بعودون ينظرون بعين النرب ويفكرون بذهن الثرب. و بثلبهم الاعتقاد بأنه إن كان في هذا العالم شيء مقبول محترم فهو الذي يطابق مبادىء الحكمة الغربية وأسولها وهذا الثأثر والانفعال تقويه بمد ذلك تلك التربية التي بجري المدل عليها في جامعاتنا فملا اذ ايس هناك شيء من اللباس والعادات والحركة والاجتماع والأدب والتكلم واللمو واللمب يتخلص من غلبة الحضارة والتمدن الغربي والمبول والنوارع الغربية . وإن البيئة الجامعية إن لم نكن غربية بكاملها فاتها لاشك غربية بقدر ه، بالمائة . والذي يكون – أو عكن أن يكون \_لهذه البيئة من تأثير ونفوذ لا يخنى على عافل واع . وأما المنصر الاسلامي بخلامه فانه ضئيل جداً. وإنه أولا قد ضعف وتضاءل بنفسه بما قد ضاع عنه من القوة المدنيةوالسياسية ، ثم ان الكتب التي يدرس فيها هذا المنصر قد كانت كتبت قبل زماننا هذا ببضمة قرون. فلبس أسلوبها ولا تأليفها وتدوينها مما يروق الذهن المصري . ثم أن الادضاع والمسائل العملية التي تبحث فيها تلك الكنب وتطبق مبادىء الاسلام الابدية عليها لانواجه

أكثرها اليوم. وأما للسائل التي تواجهها اليوم فلم يعن أحد بتطبيق تلك المبادئ عليها. هذا وليس من وراء هذا التعليم الاسلامي نظام تربوي أو بيئة عصرية أو سلوك عملي بما بجمل اختلاطه بالتعليم القربي شيئاً فاقد التأثير. ومن النتيجة الطبيعية لمثل هذا الاختلاط غير المتساوي النيستحود المنصر الغربي كاملاعلى أذهان الطلبة وتلويهم ، ويعود المنصر للاسلامي عندم أضحوكة ، أو ببتى لديهم على الأكثر \_ شيئاً محترما لكونه من باقيات ما ضبئا القديم .

واني أستميحكم المقو على صراحتي هده. ولكن الذي أشاهده أظن ال من واجي ال أبينه لكم بلا نقص أو شعاط، إن النمايم المدني والديني في هذه الجامعة المسلمة مثله من حيث المجموع عندي كمثل رجل تنشئونه غير مسلم من أعلاء إلى أسفله، ثم تجعلون في إبطه حزمة من كتب الالهيات، لكي لا تهموا بجعلكم إياه غير مسلم. وال جاء ذلك الرجل فطرح تلك الحزمة من يده طرحاً عا سيكون سببه تعليمكم هذا ولا بد وأنتم ترون ان الملوم على قملته هو نفسه لا أنتم. وإذا كنتم ترجون من هذا المنهج التعليمي انه سيخرج الطلبة مسلمين صادقين عدما أنكم تتوقعون حدوث المجزة والخارق. ذلك بأن الاسباب التي قد هيأتموها لا يمكن أن تكون نتيجتها كا ترجون بحسب القانون الطبيمي. وليس من الحجة بقاء واحد أو اثنين أو أربعة في كل مائة من طلبة الجامعة مسلماً — أي مسلماً كاملاً من حيث المقيدة والعمل كلاهما — لأنه لا يرجع الفضل في ذلك إلى حسن تربية جامعتكم ، اغا هو برهان على أن لأنه لا يرجع الفضل في ذلك إلى حسن تربية جامعتكم ، اغا هو برهان على أن

الذي قد اجتاز نربيتكم تلك محتفظاً بايمانه وإسلامه كان ولد في الحقيقة على الفراد الاستثنائيين كما تعتر عليهم في خريجي جامعة عليكر تمثر عليهم كذلك في خريجي الحجامات الرحمية الوطنية ، بل الحامنات الأوربية أيضاً التي ليس في رامجها عنصر إسلامي البتة .

فإن أنتم أبقيتم الآن على هذه الأوضاع وهذا المنهج التعليمي كاهو، وأبداتم بالبرنامج الموجود لندريس علوم الالهيات برنامجاً آخر أقوى من هذا تدخلونه في هذا التعليم ، فلن يكون من نتيجته الا أن يزداد الصراع بين الطريقة الاسلامية والطريقة الافرتحية شدة ، ويصبح ذهن كل طالب ميدان النصال الذي ستتحارب فيه القوتان بكل صولة وماس وستكون خاتمة الطاف ان ينقسم طلبتكم إلى فئات تلاث ،

أولاها اوائثك الذين ستتغاب عليهم الطريقة الافرنجية ، سواء أكانت في سورة تقليد الانكليز أم في سورة الايمان باوطنية الهندية أم في سورة الجنوح إلى الشيوعية الإلحادية .

والثانية اولئك الذين ستقلب عليهم الطريقة الاسلامية ، سواءاً كان لوثها براقاً صافياً أم طامساً ضئيلاً بفعل الطريقة الفرنجية .

والثالثة الاخيرة : اولئك الذين لا يكونون مسذين كاملين ولا أفرنجيين كاملين .

والظاهر أن هذه النتيجة للنطيم ليست مما يرضي وبيسر . فلا من وجهة خلل النطيم الخالصة يمكن أن يعد هذا الجمع بين النقيضين مفيداً ، ولا من وجهة النظر القومية يمكن أن تبرر وجودها جامعة يكون التلثان أو الجانب الأكبر من نتائجها مخالفاً للمصلحة القومية ومترادفاً للضرر الكامل بالحضارة القومية . ومن الصفقة الخاسرة للامة المسلمة الفقيرة على الأقل أن تنفق ملايين من الاموال كل سنة للابقاء على دار ضرب تخرج ٣٣ في المائة من نقودها زائفة أبداً ، وتصنع ٣٣ في المائة على نفقتنا ليرمى بها في حجر غيرنا بل لتستعمل ضدنا .

ومن كل ما ذكرناه آنفاً بنضح أمران عمام الوضوح:

أولهما إن اختلاط العناصر المتعارضة في نظام تعليمي واحد خطأ مدتي . والآخر أن هذا الاختلاط لا يكون مفيداً لمصلحة الاسلام أيضاً ، سواء أكان هذا الاختلاط غير متساو كالذي كان منه إلى اليوم، أم يساوى فيه بين العناصر الممتزجة كم يراد الآن .

وبعد هذا الايضاح أريد أن أبين : ماذا مجب أن يكون الآن من الخطة التعليمية لحامعة عليكر فيما أرى .

المعلوم أن كل جامعة من الجوامع تكون خادمة لثقافة بعينها. أما التعليم الحرد الذي لا يكون له لون ولاشكل علم بلق قط في جامعة في الأرض، ولا هو بلنى البوم. وانما يكون تعليم كل معهد ذا لون خاص وذا شكل بعينه. وبنتخب ذلك اللون وهذا الشكل بعد امعان وتفكير عميق مراعاة لتلك التقافة المخصوصة التي قد أنشىء المعهد لخدمتها. فالآن أفول متسائلاً: ما هي الثقافة التي أنشأتم جامعتكم لخدمتها ، فإن كانت تلك الثقافة غربية فلا تدعو جنمتكم و مسلمة ، ولا تعرضوا الطلبة النزاع دهني داخلي ، بادخال برنامج لتدريس الالهيات فيها ، وان كانت تلك الثقافة ثقافة بادخال برنامج لتدريس الالهيات فيها ، وان كانت تلك الثقافة ثقافة بادخال برنامج لتدريس الالهيات فيها ، وان كانت تلك الثقافة ثقافة

الملامية فلا بد اكم أن تبدلوا هيئة جامعتكم كلها وان تصوغوا صيغتها التركيبية على غط يلائم روح تلك الثقافة ومزاجها من حيث المجموع حتى تمود الجامعة وهي ليست محتفظة بنلك الثقافة فحسب ، بل هي قوة رصينة لدفعها إلى الاعلم !

إِنْ جَامِعَتُكُم - كَمَا أَثْبَتْنَاء آنفاً \_ هي في حالتُها الراهنة خادمة الثقافة الفراسة . فإن اكتفيتم من تغيير هذه الحالة بان تبدلوا برنامج الالهبات وتجملوه أقوى تماكان إلى الآن ، مع بقاء الطريقة الغربية للتعليم مسيطرة على سائر شمب التعليم والتربية، فانه لا يمكن أن بمود به هذا الممهد خاد ما للثقافة الاسلامية. وإنكإن أممنت في حقيقة الاسلام تبينت بنفسك ان التفرقة بين التملم والتربية المدنية والتمليم والتربية المدينية وخلطها بمد ذلك مع إبقاء كل منها على كيانه المستقل أمرعقم لا فائدة فيه . لان الاسلام ليس كالنصر انية ديانة تفرق بين دنيا المرء ودينه ، وهو لا يحصر نطاقه على المقيدة والتعالم الاخلاقية فحسب ، تاركاً شؤون الدنيا لاهلها . فلا يمكن لذلك فصل الالهات الاسلامية \_ كالالهيات النصر أنية \_ عن العلوم الدنيومة . وأنما غاية الاسلام الحقيقية هي أن يعد الانسان لان يميش هذه الحياة الدنباو بقوم بشؤونهاعلى طربقةهي طريقة الخبر والسلام والغلبةوالمز ، من لدن هذه الحياة إلى الحياة الاخرى . ولهذا الفرض يصحح الاسلام زاوية فكره ونظره ويصلح أخلاقه ويصهر سيرتهفي قالب مخصوص ، ويمينله الحقوق والواجبات ويضع له نظاماً خاصاً للحياة الاجتماعية . ثم إنَّ له ضوابط مستقلة متباينة لتربية الافراد النظربة والعملية عوتشكيل الحجتمع وتنظيمهم

وترتب جميم شمب الحياة و تنسيقها، بها وحدها تتخذ الحضارة الاسلامية صورة حضارة مستقلة ممتازة ، وعلى اتباعها والتزامها بتوقف بقاء الامة السلمة من حيث هي أمة . فاذا كانت الحال كما ذكرنا فانه بمود مصطلح ه الالهبات الاسلامية، بلا معنى الله يبق على ارتباط وثيق بالحياة وشؤونها. وانه لنن نكد قلبل النفع للثقافة الاسلامية ذلك العالم الدبني الذي يعرف عقائد الاسلام وأسوله ولكنه لا يعرف كيف بتقدم جا في مضهار العلم والمعل وكيف يستمعلها فيأحوال الحياة ومسائلها التغيرة علىالدوام. وكذلك لا حاجة لهذه التقافة إلى عالم للملوم المدنية يؤمن بصدقالاسلام في قلبه ولا ريب ولكنه بفكر بذهنه بطريقة غير إسلامية وينظر إلى الشؤون بنظرة غير إسلامية ويشكل الحياة على سادىء غير إسلامية . والسبب الحقبق لزوال الحضارة الاسلامية وتبدد ظام التمدن الاسلامي هو الله لم يزل ينشأ في أمتنا منذ زمان علماء من هذين التمطين الاثنين فحسب . وقد انقطع ما بين العلم اللديني والعلم والعمل الدنيوي. فان كنتم تربدون أن تستسيد الثقافة الاسلاسة شبابها وقوتها ، وبدل أن تمثى خلف الزمان تنقدم فتسير قدامه ، فعليكم أن تعيدوا هذا الب المنقطع بين الدين والدنيا . ولكنه ليس وجهه الصحيح أن تجلوا برنامج الالهيات غلا في عنق الجسم التعليمي أو عبثًا محمولًا عليه . كلا بل مجب أنّ تدخلوه في كامل نظام التعليم والعربية بصورة تجعله منه كالدم الجاري والروح الحية النابضة ، والبصارةوالسمع ، والحس والادراك ، والفكر والشمور ، وتأخذ كل ما في العلوم والفنون الفربية من الاجزاءالصائحة وتدبجها في نظام التعليم الاسلامي وتجملها جزءاً لحضارة الاسلام . هكذا سيكون لكم أن تخرجوا الفلاسفة المسلمين ، وعلماء الفيزياء والكيمياء المسلمين ، ومهرة الاقتصاد المسلمين والمقندين المسلمين والمفكرين المسلمين ورجال الاختصاص المسلمين في كل علم وفن ۽ الذين سيحلون مسائل الحياة من زاوية النظر الاسلامية ويستعملون ما للحضارة المصرية من الوسائل والاسباب الراقية لخدمة الحضارة الاسلامية ، وسيرتبون من جديد آفكار الاسلام ونظريانه وقوانين حياته مراعاة لروح المصر الحديد . . . إلى أن سيحتل الاسلام مرة أخرى مكان الفيادة والاسامة في كل مجال من محسالات العلم والممل ، ذلك الكان السامي الذي بعث الأحله في الحقيقة في هذه الدنيا .

هذه في الفكرة التي بجب أن تكون الفكرة الاساسية المخطة التعليمية الجديدة المسلمين. ان الرمان قد تقدم كثيراً عن المقام الذي تركنا عليه السير سيد أحمد خان. فان جمدنا على تلك الحالة لمدة زائدة استعصى علينا أن بقى ونعيش كأمة مسلمة عدم عنك أن فرق ونتطور ا

## 7

وأريد أن أبين الآن أن الهيكل العظمي الذي قد انترحته للمتطاة التعليمية آنفاً كيف يكسى لباس الصورة والشكل :

١ - إنه لمن اللازم أن تقتلع حذور والطريقة الافرنجية ۽ من حدود

الحاصة المسلمة. واثن كنا لانربد أن نقتل حضار تنا القومية بايدينا فحم علينا أن غنم في أجيالنا الناشئة هذه المبول الافرنجية المتزابدة مم الاعلم. هذه المبول هي في الحقيقة وليدة المقلية المستميدة ومركب النقص الكامن في النفوس. ثم انها حينًا تظهر مظهر أعملياً في اللباس والاجتماع والآداب والعادات وفي البيئة كلهـا من حبث المجموع، فإنها نحبط بالنفوس وتستحود علمًا من الحينين: الداخلية والخارجية ، ولا تدع فيها ولو مسكة من الشعور فالمز القومي . ففي مثل هذه الظروف لاعكن البتة ان تحيا الحضارة الاسلامية ، وإن حضارة من الحضارات لاتنشأ عن محرد الوجـود الذهني والنظري الصوراتهـا الأساسية بل تنشأ عن الساوك المملي التابع لها ، وبه تنمو وتزكو . واثن انعدم هذا السلوك العملي مانت الحضارة موناطبيمياء ولم يمكن أن يبقى وجودها النظري إلىسيد لذَلك إن أول ما يجب من الاصلاح وأهمه هو أن تخلق في الجامعة بيئة اسلامية حية . ويجب أن تكون تربيتكم على أسلوب يعلم الاحيال الناشئة أن يفتخروا بحضارتهم القومسة وببث فبهم الاحترام لخصائصهم القوسة ء بـل الفرام بها ، ويبعث فيهم روح الخلق الاسلامي والسيرة الاسلامية، ويؤهلهم لان يتقدموا يتمدنهم القومي إلى سارج التهذب العالية بفضل علمهم وكفاءتهم الذهنية المدربة .

وان بعث الروح الاسلامية في الطلبة يتوقف ـ إلى حد بعيد على المعلمين وعلى علمهم وعملهم . فالمعلمون الذين خلوا بأنفسهم من هذه الروح بعل كانوا معاندين لهما من حيث العلم والمعمل كلاهما ، فإنى بمكن أن تنبعث الروح الاسلامية في المتعلمين تحت نفوذهم وتأثيرهم ا وأنتم

قصارا كم أن تخططوا البناء و تضموا له الوسم ، ولكن البناثين الذين و فعون فعلا قواعد هذا البناء هم أعضاء أسرتكم التعليمية ، لا أنتم , وان الرجاء من البنائين و الافرنجيين، أن بينوا البناء من الهيئةالا ـــــلاسية كالرجاء من شجيرة الحنظل ان تنتج عنقوداً من العنب. لذلك لن يجدي أبدأ أن تعينوا عدداً من د رجال الدين ، لتعليم العلوم الالهية على حين أن يكون الفائمون بتعلم سائر العلوم أو أكثرها هم غير المسلمين أو المسلمون المنحرفون في مكرهم عن الاسلام، لأن هؤلاء سيمدلون بتصورات الطلبة ونظرياتهم في الحياة ومسائلها وشؤونها عن المركز الاسلامي وأن يحكن علاج هذا السم بترياق برنامج الالهيات فحسب ، ومها كان من الفن الذي يراد تعليمه سواء هو الغلسفة أو هو العلم التجربي ( Science ) أو علم الاقتصاد أو القانون أو الناربخ، فإنه لا يكفي لتعليمه وتدريسه أن يكون المام متخصصاً فيه ، بل من اللازم كذلك أن يكون مسلماً صادقاً راسخاً في عقيدته . وان اضطررتم في بعض الظروف الهنصوصة إلى أن تنتدبوا المليم فن من الفنون أخصائياً من عبر المملين، فلا حرج عليكم فيه ، ولكنه بجب أن تكون الفاعدة السامة المراعاة في هذا الامر مي أن يكون أساتذة هذه الجامعة مجانب كونهم ماهرين في فنونهم تافعين لمقصد الحاممة الإساسي- أي الثقافة الاسلامية \_ من حيث أفكارهم وأعمالهم جيماً.

وبحب أن تدخل اللغة العربية في تعليم الجامعة كلفة ضرورية.
 فهذه أنة ثقافتنا والذربعة الوحيدة للوصول إلى مآخذ الاسلام الرئيسية.

وما دامت الطبقة المتعلمة من المسلمين لا تصل إلى القرآن والسنة مباشرة بدون واسطة فإنها ان تجد روح الاسلام ،ولن تكتسب البصيرة في الدين، بل سنبق عناحة أبداً إلى الشارحين والمترجمين .ومن ثم أن يصل البها ضياء الشمس من الشمس مباشرة ، بل يصل الها بواسطة الزجاجات الملونة ، ن أفواع مختلفة . وهؤلاء رجالنا المتقفون الجدد يرتكبون البوم في المسائل الاسلامية من فاحش الأخطاء ما يدل على أنهم لا يعرفون حتى ألم باء الاحلام . وليس السبب في ذلك الاكونهم لايملكون وسيلة للاستفادة من الفرآن والسنة مباشرة. واذا منحت المجالس التشر بعية الهندية صلاحيات النسريع الواسعة أيام الحكم الذاتي الفوض الى المقاطعات ( Provincial Autonomy ) في المستقبل ، وجرى المعلى على وضع القوانين الحديدة الاصلاح الاجتاعي، فإن مسل المسلمين في تلك الجالس آتثذ رجال م أجانب عن الاسلام ويؤمنون بالتصورات الفرية للاخلاق والاحتماع والقانون ، فلن يعود التشريع الحديد على المسلمين بإصلاح احماعي بل بإفساد احماعي ، وسيروح النظام الاحماعي المسلمين يزداد بعداً عن المبادىء التي أفيم عليها ، ولأحل هذا كله بجب ألا تطنوا مسألة اللفة العربية مسألة المة عادية بل تفهموا أرب هذه المسألة منوطة بمقصد جامعتكم الاساسي. وكل ما كالنمنوطا بالأصل والأساس (Fundamentals) فلا تراعى في أمره السهولة ولا تنتظر له مواتاة الفرص ، بل بفسح له المجال في كل حال .

٤ - إن نعلم المدارس الثانوة ( High Schoole ) يجب ان بلقن
 الآولاد فيها معلومات بدائية في المواد الآنية :

ب \_ الاخلاق الاسلامية : لا يعرض في هذه المادة بجرد النصورات الاخلافية ، بل تجمع الطلبة فيها أحداث ووقائع من حياة النبي والمخلفية وسير الأنبياء عليهم السلام والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم تعليهم ما هي خصائص سيرة المسلم ، وكيف تكون حياة هرد إسلامي .

ج- أحكام الفقه : تذكر ي هذه المادة أحكام الاسلام البدائية الضرورة فيا يتعلق محقوق الله وحقوق الساد والسيرة الشخصية ومما لا بد لكى مسلم أن يعرفه . ولكن لا تكون فيها المسائل الجزئية من غط ما حاء في كتبنا الفقية القديمة كمدد الدلاء التي يلزم إخراجها لتطهير بثر وقعت فيها الفارة . بل يجب ، بدل هذه المسائل ، أن يلقن الطلبة مغزى العبادات والاحكام وروحها ومصالحها ، ويجب أن يعلموا أن الاسلام يضع لهم برنامجاً لحياتهم الفردية والاجتماعية . وكيف يعمل هذا البرنامج لخلق مجتمع صالح .

د ـ التاريخ الاسلامي: ينبني أن تحصر هذه المادة في سيرة النبي وعهد الصحابة . وليكن الفرض من تعليمها أن يتعرف الطلبة على أصل دينهم وقوميتهم وينبعث في قلوبهم شعور سحيح بالحمية الاسلامية .

هـ اللغة المربية : بجب أن بكون ضن هذه المادة علم ابتدائي للغة المربية ، بجمل الطلبة يستأنسون إلى الأدب المربي بعض الشيء .

و \_ القوآن: تخلق في الطلبة ضمن هذه المادة ملكة يستطيعون بها أن يتلو كتاب الله بسلاسة ، ويفهموا بعض الآيات السهلة ومجفظوا بعض السور على ظهر القلب.

أما التطيم في الكلية، فيجدأن يكون له جانب عام من البرنامج،
 يمنم لجميع الطالبة على السواء ، وليكن هذا البرنامج المام مشتملاً على المواد الآتية :

المافة العربية : بجب أن يكون تمليم المفة العربية متوسطة في مرحلة الثانوية العالمية . وأما في مرحلة البكالوريوس ( B. A. ) فلتضم هذه المادة إلى تعليم القرآن .

ب \_ القوآن : بعد الطلبة في مرحلة الثانوية العالية لفهم القرآن .
وذلك أن يلفنوا بعض القدمات فحسب : ككون الفرآن من الوحي
الالحي وكتاباً محفوظاً ، وأصح وأحدر بالنقة من الناحية التاريخية،
ونفوقه على امهات الكتب لمائر النحل والديانات ، وتعليمه النوري الفذ،
وتأثيره لا في العرب وحدم بل في أفكار العالم كله ، وقوانين حياته ،
وأسلوب نيانه ، وطريقة استدلاله ومقصوده الحقيقي ( Thesis )

أما في درجة البكالوريوس ( B. A. ) فيعلم الطلاب القرآن الكريم خفسه . وبنبني أن تكون طريقة التعليم لذلك أن مجتهد الطلبة لقراءة القرآن وفهمه بأنفسهم ، ويساعدهم الاستاذ في ذلك بأن بحل مشاكلهم ويرفع شبهاتهم والنن اجتنب في هذا النعليم الرجوع إلى النفاسير المطولة والتمرض الهباحث الجزئية ، واكنفي بتوضيح الماني والمفاهيم فحسب، فإنه يمكن بسهولة أن يعلم القرآن الكريم بأكمله في سنتين اثنتين .

ج - التعاليم الاسلامية : يجب أن يعرف الطلبة في هذه المادة بالنظام الاسلامي الكامل . ويعلموا عامي النصورات الاساسية التي يقوم عليها بنيان الاسلام ، وكيف تشكل السيرة الانسانية والاخلاق بناء على هذه النصورات وما هي المبادئ التي تنظم علمها حياة المجتمع في شعب الاحتماع والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وعلى أي نحو وزعت الحقوق والواجبات في نظامه الاجتماعي بين الفرد والجماعة . وما هي حدود الله ، وإلى أي حد أعطي المسلم حربة الفكر والعمل ضمن تلك الحدود ، وما الذي بترتب من الاثر على النظام الاسلامي إذا تجاوز المراحدة الحدود ، وما الذي بترتب من الاثر على النظام الاسلامي إذا تجاوز المراحدة الحدود ، وما الذي بترتب من الاثر على النظام الاسلامي إذا تجاوز المراحدة الحدود ، وما المناس المناس الاثراء في البرناميج بصفة جامعة شاملة ،

٣ - أما ماعدا هذا البرنامج العام، فيجب أن تقسم العلوم الاسلامية وتوزع على التعليم الاختصاصي لمختلف العلوم والفنوت وتركب تعاليم الاسلام في كل علم وفن حسب ملاءمتها له وتطبيقها عليه . ان العلوم والفنون الغربية نافعة كلها بذاتها ولا يعادي الاسلام أيا منها ، بل أقول قولا أيجابياً أن الحقائق العلمية من تلك العلوم والفنون يصادقها الاسلام وهي تصادقه . والعداء في الحقيقة ليس بين العلم والاسلام ، بل بين العلم والاسلام ، بل بين العلم والاسلام ، بل بين العلم والأسلام ، بل بين العلم وقائد في أكثر العلوم والعلم .

تصورات أساسية مخصوسة ومفروضات جذرية (Hypotheses ) ونقاط انطلاق ( Starting Points ) ليست بنفسها حقائق قابقة ، بل عي مما يلهمهم وجدانهم . فهم يصوغون الحقائق العلمية في قالب مزاعمهم الوجدانية هذه وبرتبونها بحسب هذا القالب ، ويتخذون من ذلك نظاماً مخصوصاً . فالاسلام في الحقيقة محارب هذه المفروضات الوجدانية . انه لا محارب الحقائق ، بل هو عدو لهذا انقال الوجداني الذي تذاب فيه تلك الحقائق وتشكل . وذلك أن له تصوراً مركزياً وزاوية للنظر ، ونقطة الطلاق للفكر وقالب وجــــداني هو ضد ومناقض باعتبار اصله وقطرته للقوالب القربية , وتستطيع أن تفهيمين هذا انه ليس من اسباب الضلالة من وجهة نظر الاسلام انكم تأخذون الحقائق من العلوم والفنون الفربية ، بل هو أنكم تأخذون القالب الوجداني أبضاً مع دلك من الفرب نفسه . وأنتم بأنفسكم ترسخون في أذهار ِ طلبتكم الاحداث السذج تصورات النرب الاساسية في الفلسفة والعلوم التجريبية والتساريخ والسياسة والاقتصاد وما إلى ذلك من الفنون ، وتمدلون وجهة نظر هم لتطابق وجهة نظر الغرب، وتتخذون المفروضات المهربية حقائق قابئــة مسلماً بها ، وتزودونهم للاستدلال والاستشهاد والبحث والتحقيق بتلك النقطة للانطلاق وحدها التيقد تبناها أهل الغرب، وترتبون جميم الحقائق والمسائل العلمية على النحو الذي رتبها عليه الغربيون ثم تنزلونهــــــا في أذهان الناشئة . تفعلون هذا كله و تر بدون بعد ذلك ان بأتي علم الإلحيات وحده فيجعلهم مسلمين، كيف يمكن ذلك ياتري ؛ وماذا عسى أن مجدي علم الإلهيات الذي ليس فيه إلا التصورات المجردة ، ولا تطبق هذه على

الحقائق العلمية ومسائل الحباة ، بن يكون ترتيب جميع المعلومات في أذهان الطلبة على عكس هذه التصورات كلها ؛ هدف هو منبع الصلال كله . فإن كنتم تريدون سد هذا الصلال قبليكم أن تعمدوا إلى أصل هذا المنبع فتصححوه وتعدلوا وجهته ، وتهيئوا لجميع الشعب العلمية تلك النقطة للانطلاق ، وتلك الزاوية النظر وتلك المادىء الاساسية التي قد آتاكم القرآن إباها . فتى رتيت المغرمات في هذا القالب الاسلامي للوجدان ، ومتى حلت مسائل الحياة والكون بهذه الوجهة الاسلامية فيظر ، عاد طلبتكم و طلبة مسلمين ، وكان لكم أن تقولوا : اننا قد بستنا فيهم الروح الاسلامية ، وإلا فلن يكون من عاقبة وضع الاسلام في فيهم الروح الاسلامية ، وإلا فلن يكون من عاقبة وضع الاسلام في طلبتكم غير مسلمين في الملوم التجريبية ، غير مسلمين في المادة الدينة ، غير مسلمين في المسلمة ، غير مسلمين في المنادة وان ينحصر مسلمين في القانون ، غير مسلمين في المسادة ، غير مسلمين في المسادة ، غير مسلمين في المسلمة ، غير مسلمين في المنادة الدينة في مسلمين في المسادة ، غير مسلمين في المسادة ، وغير مسلمين في المسادة ، وغير مسلمين في المسادة ، وغير مسلمين في المسادة ، وان ينحصر المسلمة ، وغير مسلمين في المنادة الدينة في من المنادة الدينة في من المنادة الدينة في .

٧- يجب أن تلفى امتحانات البكالوريوس في الإلهيات ( ١٦٠ . ١٥ ) والماجستير في الإلهيات ( ٢٠٠ . ١٥ ) لأنها ليست نافعة ولاهناك حاجة الهما . أما الشعب المنسوسة العلوم الاسلامية فيجب أن تدخلوا كل شعبة منها في البرنامج التماثمي الشعبة العصرية من العلم المهائل . كأن تدخلوا في شعبة الفلسفة - مثلا - علم الحكمة الاسلامية وتاريخ الفلسفة الاسلامية ومساهمة المسلمين في ارتقاء الافكار الفلسفية ، وندخلوا في التاريخ تاريخ الاسلام و فلسفة التاريخ الاسلامية ، وفي القانون ميادى القانون

الاسلامي وأبواب الفقه المتعلقة بالمعاملات، وفي الاقتصاد مبادى، الاقتصاد الاسلامي وأجزاء الفقه المتعلقة بالمسائل الاقتصادية ، وفي علوم السياسة فظريات الاسلام السياسة وقاريخ نشأة وارتقاء العسماوم السياسية في الاسلام، ونصيب الاسلام في رقية الافكار السياسية العالم، وهكذا دواليك.

٨ ـ و بعد هذا البرنامج ، يجب أن تكون هناك شعبة مستقلة البحث والتحقيق في العلوم الاسلامية تمنح شهادة الله كتوراه ( Doctorate ) كما تفعل جامعات الغرب ، لكل من يقوم بتحقيق علمي من الطراز العالمي ويجهز في هذه الشعبة رجال يتدربون على الطريقة الاجتهادية البحث والتحقيق ، فيستعدوا القيادة النظرية والفكرية لا للمسلمين وحدم ، بل المعالم كله من وجهة النظر الاسلامية .

## \*

إن طريقة التعليم التي قد قدمت خطوطها الرئيسية في الجزء الثاني آنفاً قد تبدو لأول وهلة غير ممكنة العمل، ولسكني استنتجت بعد كثير من الامعان والتفكير انها يمكن أن يعمل بها تدريجياً يبذل ما بجب من العناية والحيد والمال.

انه لا يغيبن عنكم أنكم لا تستطيعون أن تبلغوا نهاية المطاف من فور خطوكم الخطوة الاولى في أي طريق من الطرق. وليس من اللازم لا بتداء عمل ما أن تكون الأسباب اللازمة لتكبيله موجودة عندكم كاملة من قبل. وانما عليكم في هذه المرحلة التي تواجهكم أن تضموا الاساس البنيان المنشود ، ومن الميسوران تهيأ الاسباب لهذا العمل ، إذ يوجد في الحيل الحاضر أناس بقدرون على أن يضعوا الاسس محسب هذا الطراز التعميري . فالحيل الذي سينشأ بتعليمهم وتربيتهم على هذا النمط سيكون آهلاً لأن يرفع جدر ان البناء . ثم يأتي بعدهم جبل سيكتمل على أيديهم هذا العمل إن شاء الله . وطور الكال الذي عكن أن بدرك بعدجهد مستمر لثلاثة أجيال على الأفل لا يمكن أن يبلغه المرء اليوم . ولكنه لن عكن استكال هذا التعمير في الحيل الثالث الا إذا أرهصتم له منذ الن عكن استكال هذا التعمير في الحيل الثالث الا إذا أرهصتم له منذ الآن . واثن لم تبتدئوا به اليوم نظراً إلى بعد طوره الكالي عنه كم الأن والحال أنكم تملكون الاسباب اللازمة لابتدائه \_ فإنه لن يتم هذا العمل ولن يتحقق تعمير البناء في سورته الكاملة .

ولما كنت أشير عليكم بهذه الخطوة الاصلاحية فأظن من واجبي كذلك أن أعرض عليكم تدابير العمل بها أيضا . فأربد أن أبين لكم في هذا الجزء الثالث الأخير من تقريري انه كيف يمكن أن بيتدأ هذا الطراز التعليمي وما هي الندابير التي يمكن العمل بها لذلك .

١ ـ إن تعليم المدارس الثانوية (Fligh Schools) قد أعدت لهمصلحة المعارف لولاية (حيدرآباد الله كن) أخيراً برنامجاً جاساً للمقائد والاخلاق الاسلامية وأحكام الشرع لهن الميسور أن مجمل ذلك البرنامج مفيداً لجامعتكم بعد إصلاح وتعديل لاؤم.

وإن تمليم الماخة المربية الذي قد كان إلى الآن أمراً بصعب ويهول لقدامة طرقه ومناهجه ، لم بعد الآن بفضل الله على تلك الدرجة من الصعوبة . فقد ابتدعت لتعليم المربية طرق حديثة في بلاد مصروسورية وفي قطرة الهندي كذلك ، يمكن أن تعلم بها هده اللغة بكل سهولة . فيجب أن تؤلف لجنة من رجال قد برعوا في هذه الطرق الحديثة لتعليم اللغة العربية علماً وعملاً ، فيمد بمشورتهم وتوجيهم برنامج بتخذ القرآن الكريم هو القديمة الرئيسية لتعليم اللغة العربية . وجذا الطربق لن تبقى هناك الضرورة لتوفير وقت مستقل لتعليم القرآن ، وسيستأنس الطلبة إلى القرآن الكريم منذ البداية .

أما التاريخ الاسلامي فقد ألفت فيه رسائل كتبرة باللمة الاردية. فيجب أن تجمع للك الرسائل والكتب ويدقق فيها النظر . فالذي بلفي منها أكثر فائدة ونفعا يدخل في برامج الفصول الابتدائية .

و لنطيم المادنين الاوليين \_ أي المقائد والاخلاق ، واللغة العربية \_ 

- تكفي اعقة واحدة كل يوم ، وأما التاريخ الاسلامي فإنه لا بحتاج إلى 
وقت مستقل . وإغا يمكن ضمه إلى مادة التاريخ المموصية . وعلى ذلك 
أظن أن عملية الاصلاح لن تستائره تغييراً كثيراً في النظام الحاضر لتعليم 
المدارس التافوية . وكل حاجة إلى التغيير الها هي في برامج التعليم والمعلمين 
فإلى التصور الذي قد حملتموه إلى الآن لتعليم العلوم الالهية ومعلمها بجب 
أن تقصوه من أدها نكم ، فتستخدموا لهذا التعليم معلمين يعرفون عقلية 
الصبية والصبالا لهذا العصر ونفسياتهم، وان تضموا في أيديهم برامج راقية 
التعليم ، تم تخلفوا بجانب هذا كله يئة يمكن فها وللحياة الاسلامية ، أن 
تنبت وتأخذ في النمو .

إن البرنامج المام الذي قد اقترحته لنطيع الكليات ، له أجزاء
 ثلاثة (١) اللغة المربية (ب) القرآن (ج) التعاليم الاسلامية .

فاللغة العربية منها يجب أن تنزلوها في تعليم منزلة اللغة الثانوية اللازمة. أما اللغات الاجتبية الاخرى فللطلبة أن يتعلموا لغة منها إذا شاؤوا على أساتذة مختصين ( Tutors ) لذلك ، ولكن اللغة التي هي أداة التعليم الوحيدة في الكلية بجب أن تكون بعدها اللغة العربية هي اللغة اللازمة. ولئن كانت براميج التعليم حبدة وكان المتعلمون محتكين مدربين فإنه يكن في سنتي التعليم الثانوي العالي في الكلية أن يخلق في الطلاب من طكة هذه اللغة ما بؤهلهم لأن بأخذوا تعليم القرآن في درجة الكاوريوس بلغة القرآن ففسها.

وأما الفرآن الكريم فلا حاجة إلى تفرير كتاب من كتب التفسير لتعليمه . واغا يكون قد درس لتعليمه . واغا يكون قد درس الفليمة . واغا يكون قد درس القرآن دراسة إممان وتسمن ، ويكون أهلا لتعليم الفرآن وتلقينه على النمط الحديث . وسيخلق هذا الاستاذ في طلبة النافوة المالية الملكة اللازمة لتفهم القرآن ، ثم إدا وسلوا في البكالوريوس فإنه سيعلمهم القرآن بأجمه بطريقة تتقدم بهم كثيراً وملكة اللغة المربية وتعرفه بروح الاسلام معرفة تامة .

وابرنامج التماليم الاسلامية لابد من أن يستكنب كتاب جديديشمل جميع المقاصد التي قد أشرت اليها و فقرة (ج) لرقم (٥) تحت الجزء الثاني آنفاً . ومنذ برهة من الزمن شرعت في تأليف كتاب بعنواذ : (الحضارة الاسلامية ومبادئها واصولها). واضعاً أمام عيني تلك المقاصد، ظهرت أبوابه الثلاثة البدائية في مجلة (ترجمان القرآن )في اعدادها الصادرة من محرم ١٣٥٧ه . فإن وجد ذلك الكتاب مفيداً لهذا القرض أكملته ووهبته للجامعة .

ولجيم هذه المواد لن تكون هناك ضرورة لتغيير في النظام الحاضر لتعليم الكلية . فإن اللغة العربية يكفي لها من الوقت ما فررتموه لتعليم اللغة التانوية . وأما الفرآن والتعاليم الاسلامية فيمكن أن يكفي لهما بالتناوب ذلك الوقت الذي قررتموه لتعليم العلوم الالهية .

م. وأكثر الصعوبة عنى ألايواحه في تنفيذ المقترح الذي عرضته في الرقمين ( ٩٠ و ٧) تحت الجزء الثاني آنفاً . ولحل هذه المشكلة صور ثلاثة عكن العمل بها بالتدريج :

(أ) بحب أن بيحث عرف أساندة .. وهم على ندرتهم متوفرون.
يكونون دوي اختصاص في العلوم (الجديدة) ويكونون بجانب هذا على
بصبرة في القرآن والسنة، وتكون فهم من الكفاءة ما يستطيعون به أن يفصلوا
حقائق العلوم انفر بية عن نظر ياتها وأساسها الوحداني، ويرتبوها من جديد
على الميادي، والنظريات الاسلامية.

(ب) يجب أن يفربل ما يوجد اللغة المربية والاردية والانكليزية والالمائية والفرنسية من كتب ومؤامات في العلوم الاسلامية المختلفة كفلسفة القانون ومآخذ الفانون وعلسفة التصريح وعلوم السياسة والعمران والاقتصاد والتاريخ وفلسفة الثاريخ. فكل ما يوجد منها

جديراً بالقبول كما هو، ينتخبويقبل، وكل ما كان يمكن أن يجمل نافعاً للخرض بتيء من الحذف والتعديل فيستعمل بعد هذه العملية المطلوبة. ولتحقيق هذا الفرض سيكون من اللازم أن تمين لجنة خاصة من أهل العلم .

(ج) وبجب كذلك أن يستخدم رجال من ذوي العلم والفضل يؤلفون الكتب الحديدة في كل ما ذكر آنفاً من العلوم ، ولاسها في أصول الفقه وأحكام الفقه والاقتصاد الاسلامي ومبادئ العمران الاسلامية والفلسفة القرآنية ، اذ هناك حاجة شديدة لاخراج الكتب الحديدة في جميع هذه المواضيع . ولم تعد الكتب القديمة في أمها نافعة للتعلم والتعليم . والمتد لأشك أن أهل الاجتهاد والتحقيق قد يجدون فها مادة نافعة لهم . ولكنه من العب وعما لا حدوى فيه أن تتخذ هذه الكتب كما هي وتعلم طلاب العصر الحديث .

ولا شك في أن هذه التدابير الثلاثة لن تكفل تحقيق ذلك المقصود الذي نطمح إليه بصورة كاملة ، ولا شك أيضاً في أن هذا البناء الجديد سوف توجد فيه نقائص غير قليلة ، ولكنه لا سبب هناك للفزع منه ، فان عملنا هذا سيكون أول خطوة في طريق الانشاء . وكل ما بقي فيه من النقص أو الفنور ستستدركه الأجيال الآنية ، حتى ننتج تمرانه الكالية بعد خميين سنة على الأقل .

٤ - وإن شمة البحث والتحقيق الاسلامي ليس هذا أوانها بعد ,
 وستكون الحاجة إلها بعد سنوات ، لذلك من الاستحال أن نقترح في بابها شيئاً ,

و إن مقترحاتي هذه بقل فيها مجال الخلافات المذهبية بين المسلمين على أنه لا بأس في أن يستصوب علماء الشيعة في أنه إلى أي حدسبرضون أن يتم الطلبة الشيعين في هذا المنهج التعليمي . فان شاؤوا وضعوا لطلبتهم شروعاً تعليمياً بأنفسهم. والكنه سيكون الاحسن والأقوم أن يجمل المخلافات المذهبية أقل ما يكون من النفوذ في التعليم بقدر الاسكان ، وربى الأجبال الآئية الفرق المختلفة تحت المادى، والاسول المشتركة .

٣ - وإني اتفق مع السير محمد بمقوب كل الاتفاق على أت تواظب الحاممة على دعوة أهل العلم والفن بين آن وآخر الإلقاء المحاضرات على طلبتها في مسائل هامة . وإني أود أن تجمل جامعة عليكر مركزاً ذهنياً لا للهند وحدها بل لجميع العالم الإسلامي . فعليكم أن تدعوا أهل الهملم والفضل من مسلمي مصر وسورية وإران وتركيا واوربا ، علاوة على مسلمي الهند، لأن يأتوا هذه الجامعة ويبعثوا في طلبتها روح الحياة وتنور الفكر بأفكارهم وتجاريهم ونتائج تحقيقهم . ويجب أن يستكتب مثل هذه الحاضرات مقابل أجور كبيرة عحق تؤلف بقدر واف من التحقيق والقكر والعناية والوقت ، ويكون نشرها مقيداً لا لطلبة الحاممة وحده بل للجمهور المتملم عامة ؛

اللغة نفسها. ويجب أن بكون معلمو الإلتهيات والعلوم الاسلامية جميعهم رجالاً بعرفون اللغتين الانكليزية والعربيسة معاً . وأيس لرجل ذي القافة واحدة الآن أن بكون معاماً لاهوتياً صحيحاً .

وإتي في الختام أست بحكم الهذو على إطالة تقريري هذا ولكنه لم يكن بد من هذه الإطالة ، لآني أدعو إلى طريق مختلف جديد ، قد آنفقت عدة سنوات من الفكر والتأمل لتبين ملامحه ، وقد انتهيت حمّا إلى أنه لا سبيل إلى بقاء وجود المسلمين القومي المستقل وحضارتهم الخاصة إلا أن محدث انقلاب في طريقة تعليمهم وتربيتهم ، وال مجنى فلك الانقلاب على هذه الخطوط التي عرضها عليكم ، ولا مجنى على أن هناك جماعة من الناس ، ولا يقل عدده في جامعة عليكر نفسها ، سيطنون أفكاري هذه أضغات أحلام ، فإن فلوا فلن أستغرب الأمر ، لأن الناظرين إلى الوراء قد اعتبروا الناظرين إلى الاثمام سفهاء في أكثر الاحيان . وهم محقون أف اعتباره هذا ولكن الذي أشاعده اليوم أني على ثقة بأنهم سيشاهدونه في اعتباره هذا ولكن الذي أشاعده اليوم أني على ثقة بأنهم سيشاهدونه بعد سنوات ـ وربما في غضون حياتي ـ بعيني رأسهم، وسيشمر ون بحاجة الاصلاح حينا بكون الطوفان قد عم وغير ولم بيق بأيد يهم من فرص الدارك ما فات إلا الاثمل الاثرر ا

## الذا, ودواؤه

إن الدين الإسلامي ايس بعقيدة فحس ، ولا هو مجموعة لعدد من الاعمال والطقوس الدينية ليس إلا. بل هو برنامج تفصيلي لحياة الانسان الكاملة ، ليست المقائد والعبادات ومبادى الحياة العملية وضوابطها فبه أشياء مختلفة منفصلة بعضها عن بعض، بل تتلاحم هذه كلها فيه ونؤلف مجموعة لا تقبل النجزئة ، ويكون بين أجزائها كثل الارتباط الذي يكون بين أجزائها كثل الارتباط الذي يكون بين أحزائها كثل الارتباط الذي يكون بين أحزائها كثل الارتباط الذي

فإن أنت بترت الرجلين واليدن من جسم رحل حي، وقلمت عينيه وصلمت أذنيه وقطمت لسانه واستخرجت أيضاً معدته وكبده ، ونرعت رثتيه وكليتيه . وأخرجت المخ ـ كله أو جله ـ من جمحمة الرأس ، وأبقيت على شيء واحد هو القلب ، فهل سيمكن هذا الحزء الباقي من الجسم أن محيا وبنبض ؟ وإن هو حي فهل سيكون ذا نفع وغناء ؟

هكذا الحال مع الإسلام . فالمقائد منه بمنزلة القلب ، وما بنشأ عنها من أسلوب التفكير (Attitude of Mind) و نظرية الحياة (View of Life) ومقصد الوجود ومقياس القيم ( Standard of Values ) هو منه بمنزلة المخ. والعبادات أعضاؤه وجوارحه التي هو يستوي بها قاعًا ويتولى العمل.

وكل ما عرفه الاسلام من مادى الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتنظيم الاجتماعي لحياة الانسان هو منه عثابة المسدة والكلية وسائر الاعضاء الرئيسية . والاسلام محتاج إلى عينين بصيرتين وأذنين سالمتين لكي تنقل إلى المنح بأمانة سورة صحيحة لا حوال المصر وظرونه . ويحدكم فيها المقل حكم صحيحاً . وبحتاج كذاك إلى لسان منضبط حتى بستطيع أن يعبر به عن حقيقة نفسه ، وإلى جو صالح نظيف ليتنفس فيه ، وإلى غذاء طبب صحى بلائم ممدته ويكون دماً سالحاً للجسم .

وان القلب \_ أى المقيدة \_ وإن كانت له أعظم الاهمية في هذا النظام الكامل ، فهل تأتي أهميته هذه إلا من انه يمد سائر الاعضاء والجوارح بقوة الحياة ؛ ولئن قطع أكثر الاعضاء، أو نزعت من الجسم أو فسدت بنفسها . فكيف يمكن القلب أن يحيا وبنبض مع ما بتي من الاعضاء الناقصة المريضة ؛ وان بقي حياً لماعة أو اثنتين فما جدوى هذه الحياة أسمر الله ؛

ولنتأمل الآن ما في الحالة اتي لا نزال فوى علمها الاسلام في القطر الهندي هدا . وإن القوانين الاسلامية معطلة كلما على وجه النقريب .ولا بزياد مقدار ما هو نافذ من المبادى والاسلامية في شؤون الحياة الهنافة من الاخلاق والاجتماع والاقتصاد وما سواه على قدر خمسة في المائة . وإن البيئة غير الاسلامية والتربية اللادينية والتعليم الملماني قد جملت المعقول والاذهان غير مسلمة بصورة كلية أو جزئية . فالعيون تبصر واكن راوية النظر قد زاغت وانحرفت ، والآذان تسمع ولكن حاسة

عمها قد تغيرت. واللسان ينطق ولكن نطقه لم بعد بليغاً وقوياً. والرثنات لا تنسيان الهواء الصالي لأنه قد أحاط بها من كل الاطراف جو متسمم. ولا تنال المدة غذاء صالحاً لأن خزائن الرزق كلها قدفسدت وتعفلت. والسادات التي هي عكانة الجوارح والاعضاء لهذا الجسم قد أصيت بالفشل بقدر ٢٠ فالمائة . وأما التي بقيت منها على صورتها فلم يعد لها من تَأْثَير في النفوس ، لانها قد فقدت صلتها بسائر الاعضاء الرئيسية . فلا يزال الشلل والخدر يسري في عروقها أيضاً . ففي مثل هذه الحالة هل أنت تستطبع أن تقول: إن هذا الاحلام الذي بين أيدبكم هو اسلام كامل اكم من عضو وكم من جارحة أصبت بالشلل وكم نها باقية ولكنها مأووفة لاتممل عملاصحيحاً . وفي وسط هذه كلها قلب واحد قد تعرض للضف والمرض ؛ لأنه كما كان يمد كل تلك الأعضاء بالحياة كان يستمد هو نف، أيضاً منها القوة والحيوية . فلما فعد عمل المنح والرئلين والمعدة والكلية جميماً فأنى للقلب أن يُظل سالماً معافى . ومن القوة الفذة لهذا القلب الحيوي الجيار انه لا بزال حيًّا بنفــه . وليس هذا فحسب ، بل هو لا يزال محرك أبضا تلك الاعضاء المريضة الباقية كيفها أمكنه . ولكن هل عكن أن يكون هـ ذا الاسلام المشود المبنور على شيء من الحاذبية ايجتذب إلى نفسه الناس ؟ وهل له من القوة ما يؤثر به تأثيراً في حياة أهن الهند ؟ بل أتساءل \_ ولا قدر الله ذلك \_ هل عكن الاسلام في مثل عذا الموقف أن يستنقذ بقية أعضائه من مزيد القطم والبقر ، بل ينجو من عوادي الموت في وجه تلك الكوارث التي لا يزال سيلهايمند اليه بسرعة متزايدة على مرور الأيام ؟

ومن النتيجة لهذه الحالة القائمة أنه بدل أن يتحقق ڤول الله عز وجل (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) قد انتشرت بين المسلمين موجة البغي والانحراف عن الاسلام. وليس هناك موضع في الهندأوفيا بكتنفها من البلاد يوجد فيه النظام الاسلامي عاملا بأجزائه وأعضائهــــه الكاملة ، حتى بجنلي الناس جماله وكاله وبعر فوا الشجرة من ثمره . وإنما الذي هم يشاهدون الآن هو هذا الاسلام الأبـ قر الأعرج، فيظنون أن بمسلمين ، وهذاك آخرون بفعلون كل ما يشاؤون اللهم إلا الاباءالصر بح لكونهم مسلمين ، مما لا يبقى جده من فرق بينهم وبين المنكرين للاسلام. ومنهم كثيرون فد زاخت فلوجم ، والكنهم لما لم يكونوا أقدموا بعد على البغي الصريح، ولا يزالون مندبجين في جماعة المسلمين وينشرون فها جراتم البغي ء حتى إذا وقعت الفوضى العامة قاموا فرفسوا أيضأ رابتهم أنفسهم . وهناك طائفةلا مجهرون بما في أنفسهم ولكنهم لا يزالون مصوف بانه يجب أن يستمد المــلمون للاندماج في قومية جديدة وفي حضــارة مستحدثة ، لأن هذا الحسم اليت الذي هم محملونه لا ينفيهم بنفسه ولاهو يتسِح لهم أن يتمتموا بتلك المنافع التي قد تنالهم بفضل اندماجهم في الأمم المواطنة الاخرى. كما أن هناك رجالاً رون أن الحل الصحيح لهمذه المسألة هو أن بينر الاسلام وبجز عن كثير نما فيه . فهم يدعون أن المرء يجب أن بكون مسلماً مها يخص العقائد الدينية والحركة والعمل الدبني فحمب , وأما البرنامج الكامل لسائر شمب الحياة فيتُحَدُّ حسمًا تعلمناه من

منحَدعون بأنفسهم أم هم يريدون أن يحدعوا النبر . وأيا كان فالحقيقة التي قد نسوها أو هم ينسونها الآن هي أنالعقائد الدينية والحركة والعمل الديني يسود كل ذلك شيئًا لا روح له ولا قوة فيه إذا ما اتخذت في الحياة النظريات غير الاسلامية وجرى الممل البادي، غير الاسلامية. فلايمكن أن يدوم مِهَا الأنمان طو بلا ولا أن يستمر علمها العمل طويلا . لأن هذه المقائد والعبادات هي الاسس التي قد أحكمت لأجل أن برفع علمها بنيان الحياة بكامله . فاذا ارتفع البنيان على أسس أخرى غيرهذه الاسس الاسلامية فإلى متى عكن أن قدوم المنابة مهذه الآثار البالية القدعة في غير ما حاجة ولا نفع . وأنه سيتساءل الطفل الذي سوف بنشأ ويترعرع في نظمام الحياة الجديدة : لادا جعل في عنقي هذا المل التقيل من النقائد الفضولية والشمائر غير المنتجة شيئا ؛ ولمادا أقرأ وأومن بالفرآن الذي قد أسبحت أحكامه معطلة الآن ۽ ولماذا أوسن بان ذلك الرجل الذي قد مضى قبسل أكنر من ثلاثةعشر قرناً كان نبياً حقاً ؟ ولما كان لا يهدبني ولايوجهني في هذه الحياة فأي نفع لي في الاعتراف برسالته ، وأي ضرر سيلحقني إِنْ لَمْ أَعْتَرَفَ بِهَا ؟ وأي فر فيقع بأداء الصلاة وتركها وبالتزام السوم واهاله في النظام الحياتي الذي أنامتهمه ؟ وأي ارتباط هناك بين تلك الاعمال وهذه الحياة ٢ ولماذا أبقي على هذه الرقاع غير المثلاحمة مع أجزاء حياتي ١.

 إذا انفصل عن سائر النقام الجسدي بفسد و بتعطل . كذلك إن العقائد والعبادات متى انفصلت عن الحياة فانه لا يبقى لها من أهمية . إن العقائد والعبادات نمد الحياة الاسلامية بالفوة والحيوبة ، والحياة الاسلامية بنو بتها عمد ملك العقائد والعبادات بالقوة والحرارة. وإن بينها — كما منت آنفا — لصلة ما بين أعضاء النظام الجمعائي الحي ، وليست نتيجة قطع هذه الصلة فيا بينها إلا مونها جميعاً. وانترقيع الحياة غير الاسلامية بالعقائد والعبادات الاسلامية كثركيب المنح والاعضاء الانسانية في جسم انقرد .

ولا تذهبن إلى أن حالة الاسلام الحاضرة لا يزال أثرها السيء هذا يترتب على طائفة قلبلة من المتقفين الجدد فحسب ، بل الحق أنه قد استد حقيلاً أو كثيرا - إلى الذين ع مسلمون من صمم قلبم ويحملون في قلوبهم حيا لهذا الدينول كراما لهسواء أكانوا من أهل القديم أو الجديد وان تفكك الحياة الاسلامية انكية عامة لم يسلم أحد من المسلمين من فتائجها الطبيمية ولا هو عكن أن يسلم ، فكلنا لايزال بصل اليه نصيب من تلك النتائج على حسب استعداد، وان لملائنا ومشايخنا آيضاً نصيباً منه مثل نصيب المتخرجين من المدارس والكليات .

على أن الخطر الاكبر قد أحاط بمامتنا الذين تشمّل ملايين منهم مساحة ( ١٥٦ ) مليون سين مرح في هذا القطر . فهؤلاء لم يبق لديهم إلا اسم الاسلام ، الذي هم يحبونه حباً شديداً ، ولكنه لا من الناحية العلمية بعرفون حقيقة التيء الذين هم منهالكون عليه ، ولا هناك من الناحية المملية نظام للحياة يقبهم من المؤثر ان غير الاسلامية . فلكل مضل

أنْ يستغل جهالتهم فيمدل بمقائده وبحياتهم عن صراط الاسلام المستقم. كلءا بكفيك لذلك هو أذنقنع القوم بان هذه الضلالة التي تمرضها عليهم هي عين الهــدى والصواب، أو هي ايست خالفة الاسلام على الأقل ، ولك بعد ذلك أنَّ نسوقهم في أيطريق تشاء ، سواء اكان ذلك طريق النبوة الفاديانية أو طريق الشيوعية أو الفاشية . وإن الأزمات التي قد خلقها إفلاسهم الزائد على مر الأيام وانحلال حالتهم الاقتصادية ليس هناك في حالة الفوضي الحاضرة من يعني بحلم حسب مبادىء الإسلام. فليـس بين المسامين جماعة منظمة تنهض في وجه الشيوعيـــة بمبادى. الاسلام الاقتصادية والتمدنية وتحل تلك المسائل التي هي في الوانع ذات أهميــــة كبيرة لعامة الخلق. ومن نتيجة دلك أن الحشد العظم من ملايين، ﴿ لا ه المسلمين الفلسين الحيام قد أصبح لفسة سائنة العبلغين الشبوعيين . وأما العابقة البورجوازية فالالذين همنهم دوو الامل الواسع والطموح المفرط إلى فيل الملطة فهم لايزالون أبدأ يلتممون الطرق الجديدة لاحر از القوة السياسية . وقد علمت التورة الروسية طائفة من هذه الطبقة الآل:ندبير أ جديداً هو أن بلصوا لبوس أنصار المهال؛ الفلاحين فيستهووا العامة الفقراء وبجيلوه تحت يده ، ويذكوا في أنفسهم نار الحرص والأثرة والحسد ، ويطمعوه في ايتائهم نصيباً من الثروة أكثر من حقوقهم الشرعيــــة ويمدوه حتى باغتصاب الثروة الجائزة من الطبقات المرفية وتوزيمها علمهم وبذلك يجمل السواد الا عظم من أهالي القطر في قبضهم فيكتسبوا السلطة التي هي حاصلة فيالنظام الرأسمالي الملوك والطفاة وأصحاب الملايين. هذه الطائفة رجاؤهم في العامة المسلمين أقوى منه في العامة غير المسلمين،

لأن هؤلاء أسوأ حالا من الناحية الاقتصادية . فهم محتالون لذلك فعلا للنفوذ إلى قلبهم من طريق معدتهم ، التي هي أبداً أضعف ثفرة في جسم الانسان الحائم . إنهم بنادون القوم: « تعالوا نبين لكم الطريق الذي تزول به فوارق النبي والفقر و تسود الرقاهية ي . فاذا هرول الهم الحائم الحائم الملا في رغيفين يقتات بهما ، دعاه هؤلاء إلى تأليه المعدة بدل تأليه الرب تمالى ، وألقوا في روعه أن الدين والاعسان ليس بنيء، وان المقصود الحقيقي بجب أن بكون الخيز . فكل طريق يوفر الخيز هو الدين بعينه وهو وحده الكفيل بالنجاة .

و إن الفقير والمعوز والعبد لا دين له ولا مدنية . ان دينه الاهم هو تعطمة من الخبر بأكلها وان تمدنه الا كبر هو خرقة من النوب يلبسها. نهم ذلك الخبر والنوب اللذين هو يضطر أحياناً إلى أن يرتكب السرقة لاجلها . وإن إيانه الاعلى والأسمى هو التخلص مما هو فيه من النكبة والافلاس...الحق أنه لادين لهاليوم في دفيا الافلاس والعبودية هذه ع(١).

هذا هو الدرس الاساسي لدين الشيوعية . وعندما يلقن المسامون الاميون المفلسون هذا الدرس يُقنعون في الوقت نفسه بان دينهم التقليدي ان بناله أحد بسوء .

 وأي خطر يخنى على اللدين والمقائد من هذا كله ؟ وأي صلة بينة وبين هذا ؟ وإنما قد بتي الدين حياً وقوباً ومنيراً أبداً مادام محتفظاً بقوته الأخلاقية والروحية ، (١).

 <sup>(</sup>١) هاتان العبارتان اقتباعها من مقال فاضل مسلم في جريدة سلمة سيارة .
 ٢٨٩ - نحن و الحضارة م- ١٩٨٥ -

وان التأثيرات التي قد أثرتها الشيوعية الروسية في أجيال المسلمين الناشئة فيروسيا خلال العشرين سنة الماضية لاتخنى على أهل الخبرة. ومثل هذا المستقبل بتهدد مسلمي الهند الآن. فنار الجوع لاتزال تنتشر لكي تلتهم مناع الايمان وتحوله رماداً. ومنبع الفساد صغيرهين بعد بحيث يمكن سده الآن بحصاة. ولكنه إن استمرت غفلتنا وإهمالنا على هذا النحو على سنوات ذوات عدد فان هذا النبع بخشى أن يتحول إلى سيل عات لاتئبت أمامه الاطواد.

ومن التدبير الذكد المقيم في هذه الظروف أن يزاول تبليغ الاسلام على طريقة المشرين النصرانيين ، وذلك أنه لاعكن أن تمود الا وضاح إلى استقامتها وإن نشرت آلاف من الرسائل والكتب لاجل اسلاح المقائد. وأي غناه الآن – ياترى – في سرد محاسن الاسلام بالقلم واللسان ؟ وإغا الضرورة الحقيقية في أن تمرض هذه المحاسن في دنيا الواقع . وانه أن تنجل مسائل الحياة بمجرد قولنا ان مبادىء الاسلام تضمن حل تلك المسائل كلها . بل المطلوب في الحقيقة أن يجمل ما هو موجود في الاسلام بالقوة موجوداً فيه بالفعل . هذه الدنيا دار نزاع وصراع . ولا يمكن أن يغير مجراها بمجرد الكلام . وإغا محتاج لتفييره وصراع . ولا يمكن أن يغير مجراها بمجرد الكلام . وإغا محتاج لتفييره الله ويضربوا سلطتهم و نفوذهم على جانب كبير من هذا المالم ، وأمكن الفاشية أن تتقدم بمناهجها المعيدة عن القصد و تلقي هيئها و جبرونها على ربوع المالم ، وأمكن الفاشية أن تتقدم بمناهجها المعيدة عن القصد و تلقي هيئها و جبرونها على ربوع المالم ، وأمكن الفلسقة الغائدة في عدم الايذاء أن تروج و تنتشر

على رغم كونها شيئاً لا الائم الفطرة بمجرد السمي والجهد، فلا سبب هذاك لان لا يمكن المسلمين الذين عنده مبادى، الحتى والمعدل الأبدية الخالدة أن ينالوا الغلبة والسلطة في هذا العالم من جديد. ولكن هذه الغلبة لا تتحقق بمجرد الوعظ والخطابة ، بل هي تتطلب الجهد والسمل. وأن يُتولى العمل على تلك المناهج التي تؤدي إلى الغلبة في العالم حقا محسب السنة الالحمية .

إن و الكفاح الثائر ، كلة غامضة عامة ، لهما كثير من الصور المملية وقد يكون أكثر . فأيما فوع من أنواع الثورة يراد تحقيقه فلا بد أن تتحذله تلك الصورة المملية التي تلاثم فطرته .

وإن الثورة التي نقصد البها لانحتاج إلى أن غلتمس لإحداثها صورة جديدة إن هذه الثورة قد حدثت قبل هذا . وان الانسان القدسي المغلم وين الذي أحدث هذه الثورة كان يعرف فطرتها جيداً ويمكن أن تحدث هذه الثورة مرة أخرى اليوم بانباع الطريقة التي اختارها لذلك . وانسبرة ذلك الانسان المطهر معجزة من ناحية ، وأسوة من ناحية أخرى . وذلك أنه من أن يمكون لأحد اليوم أن بأتي بتلك الأخلاق العالية والتقوى والحكمة والعدل والشخصية القوية وخصائص الانسانية العليا ؟ ومن تم كيسف والعدل والشخصية القوية وخصائص الانسانية العليا ؟ ومن تم كيسف الناحية معجزة ، وسيبقي معجزة إلى يوم القيامة . ولكن المثال الذي قد تركه لأمنه ذاك الرجل العظيم ان خاصته الطبيعية هي الروح الثورية التي قد شهد العالم انموذجها قبل ثلاثة عشر قرنا . فكام احتذي ذاك المشال الكثر وكام نسج على منواله أكثر كانت النتائج اتم واشحل للروح الثورية التي وأقرب إلى تلك النتائج التي ظهرت بقوة ذلك الانموذج الأصدلي . فهو

من هذه الناحية أسوة وسيبقى أسوة إلى يوم القيامة . وسواء اكنت في القرن العشرين أم الأربعين . وكنت في الهند أو في أميريكا أو في روسيا يمكنك في كل زمان ومكان أن تحقق مثل تلك الثورة بشرط أن تضع أمام عينيك تلك الاسوة الحسنة .

إن الطربقة التي أختارها النبي ويتخليج لإحداث الثورة في هذه الدنيا قبل نيف وثلاثة عشر قرفا لا مجال همنا لسرد تفاصيلها . وإنها المقصود في هذا المقام هو الاشارة إلى أن فكرتي و دار الاسلام ، (١) قد نشأت عن دراستي المميقة لنلك الاسوة الطيبة .

إنه لما بعث الذي عِنْ للمنا . وأصبح الناس يدخلون في دن الله روبداً وبدأ ، أحاد ومنى وثلاث . وأصبح الناس يدخلون في دن الله روبداً روبداً ، أحاد ومنى وثلاث . وهؤلاء الافراد مع أنهم كانوا يؤمنون إيمانا أقوى وأرسخ من الجال ، وكانوا يوالون الاسلام ولاء تسجز الدنيا عن أن تأتي له بنظير في الناريخ كله ،ولكن لما أنهم متفر قون ومنحصرون بين الكفار ولا يملكون الجبلة ولا القوة كانوا على رغم ما يرهقون أنفسهم إلى حد الكلال في محاربتهم لبيئتهم ولا يتجحون في تغيير الظروف التي يحتهد لاسلاحها م أنفسهم وهاديهم ومرشدهم — فداء أبي وأمي إفظل النبي وهذه الفترة ثلة من المؤمنين الفدائيين . وعند ذلك أرشده الله تعالى في هذه الله تعالى قدير آخر للكفاح — وهو أن يجمع أوائك الفدائيين ويخرج بهم إلى تدبير آخر للكفاح — وهو أن يجمع أوائك الفدائيين ويخرج بهم

<sup>(</sup>١) 'ضمت هذ. الادارة في نظام الجماعة الاسلامية منذ الصطس سنة ١٩٤١م

من بيئة الكفر إلى مكان مأمون بعمل فيه على تشكيل بيئة إسلامية ، ويبنى دارأ الاسلام ينفذ فيها برنامج الحياة الاسلامية كاملاء ويؤسس موطناً تتهيأفيه القوة الاجهاعية في المسلمين وينشىء مركز فوليد كهرباني يولد الطاقة الكهربائية ويرسلها بطريق منضبط لملى أطراف البلاد يم لكي تستضيء بفعلماكل رقعة وكل زاوية على وجه الا رض. فكانت هجرته عَيْنِينَ إِلَى المدينة تحقيقاً لهذا الغرض. إنه أمر جميع المسلمين الذين كانوا مبعثرين في مختلف قبائل المرب أذينضموا إلى دار الاسلام هذه و مجتمعوا فيها . وهنالك عرض الاسلام على العالم منفذاً في صورته العملية . وفي هذه البيئة الطاهرة دربت الجاعة كلها على الحياة الاسلامية تدريباً جدل كل فرد من أفرادها صورة حية للاين الاسلامي، يكني النظر في شخصينه وفي حركاته وأعماله ابعرف: ما الاسلام وما هي رسالته في العالم.وبلغ من شدة اصطباغ هذه الجاءة اصبغة الله أنهم حيثًا ذهبوا يصبغون غيرهم بصبغتهم بدل أنْ يقبلوا صبغة غيرهم ، وبلغ من قوة السيرة التي خُلقت فيهم أنهم لا يعلمون الهزيمة والتكول أمام أحده ، بل ينهزم أمامهم كل من يواجههم. وركترتف نفوسهم غابة الحياة الاسلامية بحيث أصبحت في المقام الا ول في كل عمل من أعمال حياتهم ، وأصبحت المطالب الدنيوية الآخرى في الدرجة الثانوية . ويفضل التمليم والتربية كليها حُملوا أهلا لآن ينفذوا اينما ذهبوا ذاك البرنامج الحياتي الذي آناهم الفرآن والسنة، ويقلُّبُوا كلُّ صورة من صور فسادالا حوال ويجبلوها تابعة لهذا البرنامج .

فكان هذا التنظيم من اعاجيب التاريخ الالسابي . وانه ليجدر كل

جزء من اجزائه بأن نتناوله بدراسة غائرة وتفكير دقيق . اد. هذا النظيم قدكان و'ز"ع العمل فيه على اربعة شعب كبيرة :

اولاها — ان تمد طائفة من الامة ، بتفقهون في الدين ، وعلكون الكفاءة اللازمة لان بملسوا النياس الدين واحكامه على أحسن طريق . (فلولا نقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليتذروا قومهم أذا رجعوا البهم)(١٠).

والثانية – ان بعد نفر من الناس تكون حياتهم مكرسة السعي والجهد لاقامة نظام السل الاسلاميونشره وتعميمه . وتكون على الجاعة ان تكفي هؤلاء مؤونة الكدح في سبيل العيش . اما هؤلاء النفوس فلا يبالوا به ابداً .وسواء أيستقيم مر معاشهم ام لايستقيم، ليدفعهم كلفهم اللح بهذا العمل الذي هو الهدف الوحيد لحياتهم ان يواظبوا عليه جاهدين . (واتكن منكم اما يدعون إلى الخيرويا مرون بالمروف وينهون عن المنكر) (٢٠)

<sup>(</sup>١) التوبة: ١٢٢ (٢) آل عمران: ١١٤

التمارض بين الفوائد الدنيوية ومبادى، الاسلام فلينبذ الفوائد ولا يشوره سمعة الاسلام بالفاء مبادئه. ثم عليه ان ينفق في سبيل الاسلام كل ما استطاع ان يوفره من الاموال والفرص ، بعد قضاء حاجاته الضرورية ، فيشارك في هذا الممل تلك الطائفة التي قد كرست حباتها له . (كنتم خير المئة أخر حت الشاس ، تأمرون بالمروف و تشهوان عن المنتكر و تثومنون بالذاس

والوابعة – ان تناح الفرص لغير المسلمين ان يأتوا دار الاسلام ويمكنوا فيها وبدرسوا كلام الله في محيط تكون الحياة فيه كلها تفسير عملي لهذا الكلام الكريم. وذلك بانهم لا جرم ان بفهموا القرآن فها احسن واتم في البيئة الاسلامية منه في بيئة الكفر ، وان يرجعوا بتأثر اقوى واعمق . ( وإن أحد من المشركين استجارك فأجر من حتى يسمع كلام الله الله المحمد مأتمته ) (٧) .

وجذه المناهج والطرق تمكن الهادي الاعظم وَ الناهج والطرق تمكن الهادي الاعظم وَ الناهج والطرق تمكن الهادي الاعظم وَ الناهج والطرق مركز التوليد الكهربائي بيترب في مدة ثماني سنوات قوة هاثلة جسارة غمرت جزيرة العرب كلها بضيائها واشعاعها عن غير بعيد . ثم امتدت اشعبا من العرب إلى ربوع العالم ، وحتى اليوم بعد الله مضى على ذلك نيف وثلاثة عشر فرنا لا يزال ذلك المركز التوليدي مشحوناً بذخائر القوة والطاقة .

ولما أصيب النظام الاسلامي ، بعد الخلافة الراشدة ، بكثير من

<sup>(</sup>١) آل عران: ١١٠.

<sup>(</sup>٢) التوبة : ٩ .

النفكات والانحلال ، فاتباعا لهذه الطريقة النبوية اقام الصوفية المسلمون زوايام هنا وهناك ، ان مفهوم الزاوية ، اليومقد انحط عندفا إلى در جة انه كا سم المرا بهذه الكلمة تبادر إلى ذهنه تصور مكان ناء في مفاور الجبال لا يحر فيه الحواء ولا النور ولا يتغير مظهره في شيء على طول الازمنية والقرون . ولكن هذه و الزاوية ، كانت في بداية امرها صورة البيئة التي اقامها النبي ويتعلق في المدينة ، فكانت الصوفية بختارون كل من يستأنسون فيه قابلية ، فينزعونه من البيئة الفاسدة الدنيا الخارجية ، ويصطنعونه عندم في الزاوية لمدة من الزمان ، يربونه اجود التربية ويعد ونه لذلك عندم في الزاوية لمدة من الزمان ، يربونه اجود التربية ويعد ونه لذلك العمل الذي كان بعد النبي \_ ويتعلق \_ اسحابه له .

فالذين يربدون ان بحدثوا ثورة من العلراز الاسلامي فعلمهم ان يرجعوا إلى تلك العلريقة نفسها من جديد. وائن كنا لانجد خارج الهند بيئة حرة مستقلة يمكن ان تقام فيها و دار الاسلام ، كالمدينة الطبية ، فعلمينا ان نقيم في هذا القطر على الاقل مراكز للتربية تهيأ فيها بيئة اسلامية خالصة . فتكون الاخلاق فيها اسلامية ، وبكون الاجتاع اسلاميا ، وتكون الحياة العملية على طريقة المسلمين ، وبكون الاسلام ارزا في كل جهاتها بروحه وصورته ... بيئة يكتي للدلالة فيها على كون شيء من الاشياء صحيحاً انه قد اذن به الله والرسول او أمر به ، وبمترف بكون شيء من الاشياء خاطئاً لمجرد أن الله والرسول لا يرضانه أو بنيان عنه ، . . . . بيئة لايسود فيها هذا البني والمصيان وهذا الجوغير بنيان عنه ، . . . . بيئة لايسود فيها هذا البني والمصيان وهذا الجوغير الاسلامي الذي قد احاط بنا من كل جانب ، وحيث بكون الينا

خلك التي نجدها ملاقة للروح الاسلامية ، ونستطيع أن ندفع المؤثر ات التي نجدها منافية لهذه الروح ، وغنمها من التغلب على ارواحنا والنفوذ إلى قلوبنا واذهاننا ، ، حيث يتوالنا جو " نستطيع ان نفكر فيه كمسلم و ننظر فيه قلوبنا واذهاننا ، ، حيث يتوالنا جو " نستطيع ان نفكر فيه كمسلم و ننظر فيه إلى الاشيا ، بدين المسلم ، و نتمكن من تنمية تلك الصفات الاسلامية التي لا تزال تضمحل في هذا الجو المتسمم السائد على دار كفرنا هذه ، و نطهس حياتنا من تلك الحبائت والادفاس التي قد تسربت إلى أفكار فا واعمالنا لكوننا قد فتحنا اعيننا و ترعم عنا في بيئة غير اسلامية ، والتي رجما لا نحس مها ، وإن أحسسنا مها في بعض الاحليين فان البيئة الحيطة لشدة تأثيرها لا تدعنا نحب انفسنا اياها على رغم جهدنا ، ومثل هذه المراكز تأثيرها لا تدعنا نحب ان تجمع فيها افاس بر بدونان مخدموا الاسلام ، فيربوا تربية التربوية يجب ان تجمع فيها افاس بر بدونان مخدموا الاسلام ، فيربوا تربية حسنة قوعة لهذه الحدمة . وليكن تخطيط الممل في هذه المراكز كالذي كان لحمل الذي يقتيلي . فيقسم العمل — كمثله — على أربعة شعب ، ويدبير الامر لصوغ الآدمية في قالب الاسلامية — كمثله — في كل شعبة من تلك الشعب ؛

١ ـ فلتكن هناك شعبة تشتمل على رجال ذوي كفاءة علمية عالية . فاما الذين كانوا منهم نابنين في العادم الدينيسة ، فيعلمون اللغات الفربية والعادم الجديدة، واما الذين كانوا متخرجين في العادم الجديدة فيعلمون اللغة العربية والعادم الاسلامية . ثم يدرس هؤلاء كلهم القرآن والسنة دراسة غائرة ليتفقهوا في الدين ويتبصروا فيه ، ويفر قوا بعد ذلك على فئات مختلفة ، تنساول كل فئة منهم شعبة واحسدة من شعب العسل ، فترتب فيها مبادى الاسلام وتفارياته على النمط المصري

الحديث ، وتفهم مسائل الحياة الجديدة وتلتمس حلما بحسب مبادى الاسلام ، وتنتزع وجهة النظر الغربية التي قد تأصلت في اساس العلوم، وتشكلها من جديد من وجهة نظر الاسلام ، وتتخرج بتحقيقها انتاجاً علميا صالحا علمك من القوة والتأثير ما يحسدت به تورة فكرية في تأبيد الاسلام .

٧ - ولتكن بعد هذه شعبة ثانية ، يتى فيها باعداد و العاملين ، الا كفاء لخدمة الاسلام، عن يجب أن يكونوا دوي الاخلاق الطاهرة، والسيرة القوية ، والمزم الراسخ، مستعدين لبذل كل ما علكون في سبيل عايتهم ، ويكونوا منظ مين في حزب ثوري قوي ، بعيشون أبسط الحياة ، ويألفون الكدح، وفي أعمالهم وسلوكهم كامل النظام والانضباط، ويألفون الكدح، وفي أحمالهم وسلوكهم كامل النظام والانضباط، ويكون سلوكهم العملي كسلوك الملين الراسخين في الدين , فلينهض هذا الحزب ببرفانج لبناء نظام اجتماعي ( Social Order ) جديد ، وتعمير حضارة جديدة على مبادئ الإسلام ، وليعرض برقانجه على عامة فقى الله يتذرع بذلك إلى احراز أكثر ما يكون من القوة السياسية، خلق الله يتذرع بذلك إلى احراز أكثر ما يكون من القوة السياسية، حق بقبض آخر الأمر على آلة الحكومة ليكون من الميسور تحويل حكم حق بقبض آخر الأمر على آلة الحكومة ليكون من الميسور تحويل حكم الغللم والمدوان إلى حكم المدل والنصفة .

 ويكونوا أشداء في مبادئهم راسخين في عقائده ولا يحيوا حياة لا تستهدف غاية ، بل يجب أن تكون أمامهم غاية للحياد في كل حال ، ويكتسبوا أرزأتهم بوسائل شرعية طبية ، ويكونوا مستمدين في كل حين لماضدة الماملين في الشعبة الثانية التي ذكرت آنفا وعسدوه أيضاً بالاموال ، وبشار كوهم فعلاً في الكفاح ، وحيثما عاشوا بعملوا على إعداد الجو هناك لمناصرة الحزب الثوري .

٤ - والشمية الرابعة : يجب أن تضم المسلمين وغير المسلمين الذين الذين بريدون أن بأتوا حركز التربية ليستفيدوا منه في المسائل العلمية ، أو هم يريدون أن بطالموا الحياة كما هي فيه . فيؤلاء بجب أن يتاح لهم كل ما يمكن من الفرص لذلك ، الكي يرجموا حاملين في أنفسهم تأثراً عميقاً بالاسلام وتعليمه .

هذه خطوط بارزة للنظام الذي هو عندنا بمثابة المقدمة اللازمــــة الاحداث التورة الاسلامية . ويتوقف نجاح هذا النظام تماماً على أن بأتي أكثر ما يكون مماثلا في روحه وجوهره لذلك النظام الانموذجي الذي أقامه النبي وَلِيْكِيْنِ فِي المدينة الطيبة .

ولا يفهمن أحد من هذا الامتثال لحياة المدينة الطيبة أيام النبي أننا تقصد المائلة في المظاهر والماون الخارجي ، وتربد أن نرحع القهةرى من مرحلة التمدن هذه التي قد وصلت إلها الدنيا إلى مرحلة التمدن التي كانت عليها العرب قبل نيف وتلائة عشر قرة . إن هذا المفهوم لاتباع الرسول وأصحابه بيئن الخطأ وأكثر رجالنا الدينيين يستمدون منه خطأ

هذا الفهوم لا غير . فاتباع السلف الصالح عندم عبارة عن أن نلبس مثل ما كافوا يلبسون ، ونأكل ماكافوا يأكلون ، ونتبع الطراز الحياتي الذي كان يتبع في بيوتهم، وأن نحاول الابقاء على الحالة المدنية والحضارية التي كانت تسود عصره . بصورة متحجرة ( Fossilized ) إلى يوم القيامة. وأن نفعض أعيننا عن كل ما يحدث من تطور فها خارج بيثننا من المالم ، وافضر ب حول عقولنا وحياتنا سياجاً لا تدخل فيـ حركة الزمان ولا تطورات المصر . أن تصور الاتباع هذا الذي لم زل غالباً على أذهان رجالنا الدينيين منذ قرون من التقهقر والانحطاط يناقض في الحقيقة روح الاسلام . وليس من التعليم الاسلامي في شيء أن نعيش في هذه الدنيا كماديات أثرية نحيا وتتنفس، ونمرض حياتنا على أهل الدنيـــا كمسرحية تاريخية للتمدن البائد إن الاسلام لا يعامنا الرهبانية ولا التعبد القديم ، ولا من غايته أن ُ بخرج في الدنيا أمة لا تنفك تحاول منعالتطور والار ثقاء . بل هو يريد \_ بخلاف هذا \_ أن يخرج أمة تعمل على عدل التطور والارتقاء عن الطرق الخاطئة وتسبيره على الطريق القاصد الصحيح فهو لا بعطينا قالباً بعينــه لا يتبدل ، بل هو يزودنا بالروح وبريد منا أن نصب هذا الروح في كل ما يتجدد من قالب للحياة نبعاً لتغير الزمان والمكان إلى يوم القيامة . ولما كنا جُعلنا في هذه الدنيا خير أمة فمن رسالتنا في هذه الدنيا .. من حيث أننا مسلمون .. أن نتولى القيادة والزعامة؛ لا أن ننجر كساقة الجيش ( Rear - Guard ) وراءالسارين في طريق الارتقاء إلى الامام وقد خلقنا حقاً لان نكون مقدمة الحيش، ويكمن سر كوننا خير أمة في كلة د أخرجت للناس ۽ .

إن الاسوة الحقيقية لرسول الله ويتطلق وأصحابه ، التي بجب علينا أن نتبعها الآن هي أنهم استخدموا القوائين الطبيعية نسأ للقوائين التبرعية . فقاموا بخلافة الله في الأرض أحسن ما يكون من القيام فالتمدن الذي كان يسود عصر هم حينفذ بث هؤلاه في قاليه روح الحضارة الاسلامية . وكل ما كان قد وقع نحت يد الانسان من القوى الطبيعية اتخذه هؤلاه خادماً لثلك الحضارة . وكل ما جاه به التمدن من وسائل الغلية والرق استعمله هؤلاء قبل أن يستعمله الكفار والمشر كون لكيا تكون حضارة الفائمين بخلافة الله غالبة على حضارة الباغين على الله . وهذا هو الذي الفائمين بخلافة الله غالبة على حضارة الباغين على الله . وهذا هو الذي كان علمهم الله تمالى في كتابه ، حيث قال : (وأعد والهم ما استطام) . فكانوا أرشدوا إلى أن المسلم هو أحق وأجدر من الكافر باستخدام قلك القوى التي خلقها الله ، بل المسلم هو وحده الحقيق بذلك .

وبناء على ذلك كله فإن الصورة الصحيحة لانباع النبي وأصحابه اليوم هي أن فأخذ الوسائل التي قد تجددت بفضل ارتفاء التمدن وأكنشافات القوانين الطبيعية فنممل على تسخيرها للحضارة الاسلامية كا فعلوا في المصور الاولى. إن ماهنالك من النجس والدنس ليس في هذه الوسائل بذاتها ، يل هو في تلك الحضارة المادية الالحادية التي تروج وتنتسر بقوة هذه الوسائل، فالاذاعة ليست بشيء نجس في نفسها، وإغا النجس هو الحضارة التي تجعل مدير الاذاعة فاشراً للخلاعة والحون ومنادياً للاكاذب والاضاليل، وليست الطائرة بشيء نجس ، وإغاالنجس هو الحضارة التي تستخدم ملك المحواء هذا تبعاً لفريات الشيطان بدلامن مرضاة الرحمن، وليست السيئا كذلك شيئاً نجساً، وإغاالنجس في الحقيقة هو الحضارة التي تستميل هذه القوة الفعالة من تخليق الله لإشاعة الوقاحة الحضارة التي تستميل هذه القوة الفعالة من تخليق الله لإشاعة الوقاحة

والفحشاء في الناس. وليس من السبب في رواج هذه الحضارة النجــة وانتشارها في الأرض سوى أن أصحابها لايزالون يستخدمون الشرها وترويجها كل ما خلق الله من القوى الطبيعية التي اكتشفها الانسان إلى الآن . فإن كنا زيد الآن أن نقوم بهذا الواجب الذي يقع علينا لتشر الحضارة الإلهية في الارض، فلا بد أن نستخدم نحن أيضاً تلك القوى الطبيعية . إن تلك القوى مثلها كمثل السيف كل من استعملها انتصر ، سواء أكان استمعاله لفرض خبيث أو مقصد شريف. وان اقتنع ذو المقصد النمريف بشرافة مقصده ونبله، ولم يستعمل السيف ، فهذا حَعاقِه ولا بدأن يلقى عاقبته في مضار الحياة . لان سنة الله في عالم الاسباب والسبيات هذا لم تكن لتبدل من أجل فرد من الافراد أو امة من الاعم. ويتضح جلياً من هذا البيان أن هذه الحركة التي أقدم فكرتما ليست بحركة رجمية (Reactionary) ولامي حركة تقدمية تستهدف الرقي المادي قسب. وأن المركز التربوي الذي أطمع اليه ينصري لا أغود جله في (جروكل كانجرى)(١) ولا في (صومعة سنياجرا)(١) ولافي مدرسة (شانق عَكَمَن ) (١) ولا في معمد (ديال باغ ) (١) ، وكذلك إن الحرب الثوري الذي أتخيله في ذهني لا انموذج له في (الحزب الفاشي الابطالي) ولا في (الحزب الاشتراكي الالماني ) . وان كان لذلك المركز وهذا الحزب انموذج في شيء فماهو الا مدينة ( الرسول ) و (حزب الله ) . الذي تم تشكيله على يد النبي المربي علي .

<sup>(</sup>١) كل هذه مؤسسات تعليمية أقامها الهنادك القوميون في الهند لتربية الجبل الناعى، منهم على الحاس القومي والحضارة الوطنية الهندكية في تلك العصور. وكان من الثمرات الملموسة لهذه المفاهد في العباب الهندكي ماجعل بعض رجال السلمين ينظرون اليها بعين الإعجاب ويودون لو يقيمون أشالها عندهم.

## الفهرس

	ص
āndān	
عبوديتنا الفكرية وأسبامها	١
انحطاط حضارة الاسلام في الهند	14
الأمم المريضة في العصر الحديث	per +
بين التمريعة الربّانية والقانون الوضعي	F des
انتحار الحضارة الغربية	4.
خطبة اللورد لوثين	44
النزاع بين الشرق والفرب في تركيا	98
خداع المذهب المقلي	١ - ٨
خدام المذهب المقلي _ أيضاً	140
تهافث مذهب التحداد	140
النقص الاساسي لخطئنا التطيمية	101
المنهج السديد لتعمير كيان الامة	144
طلائع الثورة على الدين	110
القساد الإحباعي	191

p. 9 الاعان والاطاعة

٧١٧ المفهوم الحقيقي لكلمة والسلم ،

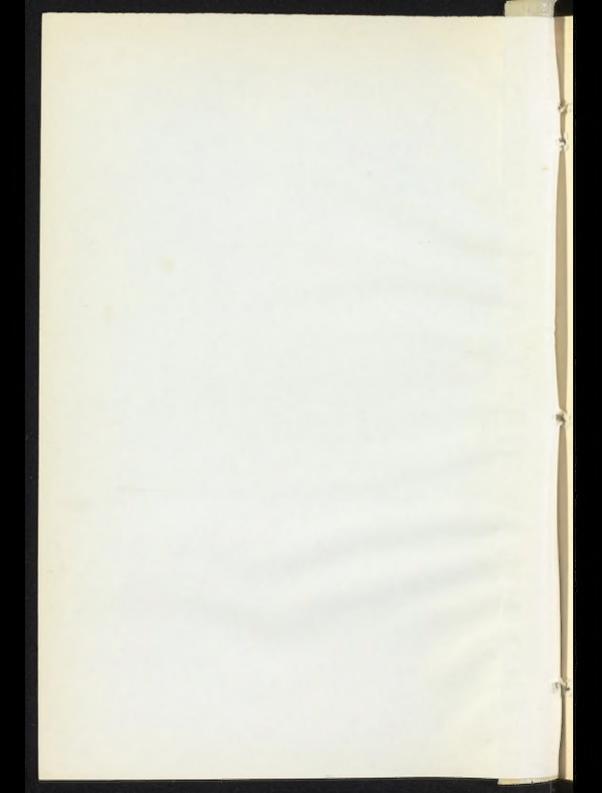
٧٣٩ المصدر الحقيقي اقو"ة المسلم

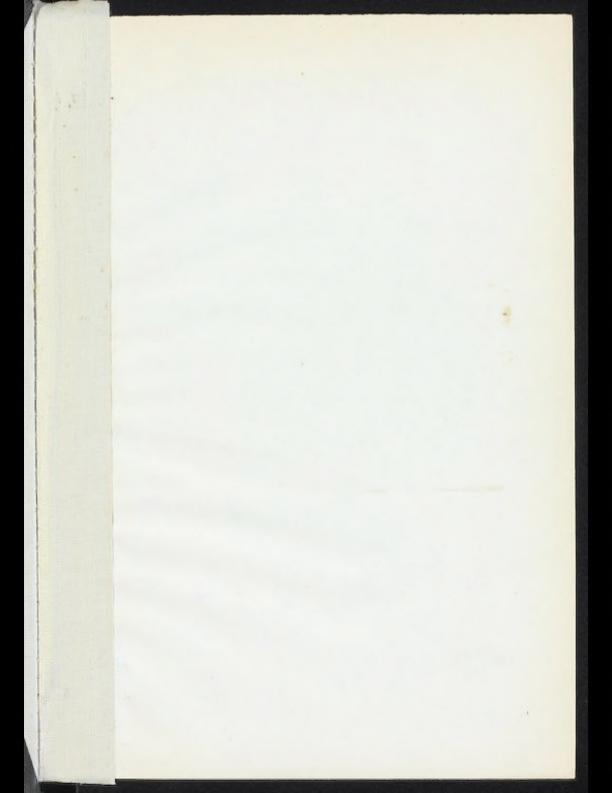
٣٤٣ شرعة الإبطال ، لا شرعة الضَّعاف الانكال

٢٥٧ الخطة التعليمية الجديدة لسلمي الهند .. ومنهاج الممل بها

٣٨٧ الداء ودواؤه







LIBRARY .

OF

PRINCETON UNIVERSITY

